چون بيفير

فخ إبليس

The Bait of Satan

John Bevere

فخ إبليس

بقلم: جون بيفير

ترجمة: د. نيفين سامي

الطبعة الأولى

الكتاب: **فخ إبليس**

الناشر: دار النشر الأسقفية

العنوان: ٣٠ أ ش شبرا – القاهرة

التليفون: ٥٧٩٠٨٤٨، ٥٧٦٦٧٠٢

المؤلف: جون بيفير

المترجم: د. نيفين سامي

التصميم الداخلي: أ/ هايدي فوزي

تصميم الغلاف: م/ كمال انور

رقم الإيداع: ٢٠٠٢/٢٠٠٤٣

الترقيم الدولي: ٩٧٧-٥٨٨٤-٤١-١

المطبعة: شركة الطباعة المصرية

(جميع حقوق الطبع في اللغة العربية محفوظة للناشر وحده، ولا يجوز استخدام أو اقتباس أي جزء منه بدون إذن الناشر، وللناشر وحده حق إعادة الطبع).

الفهرس:

تمهيد ٦
المقدمة ١٠
١- هل أنا جرحت؟! ١٥
٢- كثيرون يعثرون ٢٥
٣- كيف يمكن أن يحدث لي هذا؟! ٣٩
٤- أبي ... أبي!! ٥١
٥- كيف يولد التشرد الروحي؟؟ ٦٧
٦- الهروب من الحقيقة ٨٣
٧- الأساس الثابت ٩٥
٨- يزعزع الأشياء المتزعزعة ١١١
٩- صخرة عثرة ١٣٣
١٠- لئلا نعثرهم ١٥٣
١١- الغفران: إذا لم تغفر .. لن يُغفَر لك ١٦٣
١٢- فخ الانتقام ١٧٧
١٣- الهروب من الفخ ١٩١
١٤- المصالحة هي الهدف ٢٠٥
الخاتمة: فلتبدأ الآن ٢١٩

تمهيد:

إن هذا الكتاب الذي بين يديك قد يصنع معك أعظم مواجهة مع الحق في حياتك وأنـــا أســـتطيع أن أقـــول هذا بثقة ليس لأنني كاتب هذا الكتاب ولكنني أقول هذا بسبب الموضوع الذي يتناوله.

إن التعرض للإساءة ممن هم حولنا وكيفية مواجهتها هو موضوع هذا الكتاب وهو بحق من أصعب المواجهات التي يمكن أن يتعرض لها أي شخص وعليه أن ينتصر عليها.

لقـــد شاهد تلاميذ الرب يسوع العديد من المعجزات العظيمة، فقد رأوا بانبهار العمي يبصرون والموتى يقومون وسمعوا يسوع وهو يأمر الرياح والعواصف أن تهـــدأ فتطـــيعه وشـــاهدوا آلاف مـــن الناس يشبعون بقليل من الأرغفة والسمك وغـــيرها الكثير والكثير فقائمة المعجزات التي صنعها يسوع لا يمكن حصرها بل أن كتـــب العالم كله لا تستطيع أن تحتويها - كما قال الكتاب. وبالرغم من أنه لم يشـــهد العـــالم مـــن قـــبل مثل هذه الآيات والعجائب التي تبهر العقول إلا أن تلك المعجـــزات لـــم تكن هي التحدي الحقيقي أمام التلاميذ، فالتحدي الحقيقي واجههم قبيل نهاية خدمة الرب يسوع على الأرض حينما كان يعلمهم قائلاً: "إن أخطأ إليك أخوك ... ... سبع مرات في اليوم ورجع إليك سبع مرات في اليوم قائلاً أنا تائب فاغفر له"، حينئذ قالوا له على الفور: "زد إيماننا" (لوقا ١٧: ٣-٥).

لـــم يصـــرخ التلامـــيذ هذه الصرخة طالبين من الرب أن يزيد إيمانهم أمام ما شـــاهدوه من معجزات الشفاء أو إقامة الموتى أو تهدئة العاصفة إنما أمام وصية الرب لهم أن يغفروا للذين يسيئون إليهم!

لقـــد قـــال يســـوع : "لا يمكـــن إلا أن تأتي العثرات (المضايقات / إساءات)" (لو ١٧: ١)، لذا فالسؤال المطروح هنا ليس هو هل يمكن أن تتعرض لمضايقات

وإســـاءات أم لا إنمـــا السؤال هو كيف سيكون رد فعلك حينما تتعرض لها؟! فمع الأسف إن الذين تعرضوا للإساءة في حياتهم وأسروا بسببها في فخ العدو ليسوا بقليلين.

لقـــد مضـــى الآن ثلاث سنوات منذ نشر هذا الكتاب لأول مرة وفي خلال هذه الفـــترة وصلتنا العديد من الخطابات وسمعنا شهادات لا حصر لها تعكس كيف أن الحق الذي تعلنه كلمة الله من خلال هذا الكتاب قد حرر حياة كثيرين وصنع شفاء وتغيير في الكثير من الأسر والكنائس.

فاســـمح لنا أيها القارئ أن نشاركك ببعض من تلك الشهادات والاختبارات لكي نشجعك بها، وفي نهاية الأمر ليس لدينا سوى أن نبتهج بالرب ونعطيه هو وحده كل المجد!

لقد شاركنا راعي أحد الكنائس باختباره قائلاً:

"لقد كانت كنيستنا تعاني من أزمة شقاق وانقسام شديدة كنا قد فقدنا الأمل في علاجها، حتى كان اليوم الذي أهديت فيه نسخة من كتاب "فخ إبليس" إلى كل فرد مـــن شيوخ الكنيسة والخُدّام ومنذ ذلك اليوم تغير الحال تماماً وانتهت هذه الأزمة ولم يعد لها أثر بيننا!"

أيضـــاً وصـــلتنا العديـــد من الرسائل تشهد بأن هذا الكتاب كان سبباً في إنقاذ الكثير من الأسر التي كانت على وشك الانهيار والتفكك.

ففـــي أحـــد الأيـــام بعـــد أن انتهيت من العظة في أحد الاجتماعات في مدينة (نبراسكا) تقدم إليّ زوجين واعترفت لي الزوجة قائلة:

"لقد جُرحت وأُعثرت منذ عشر سنوات بسبب قادة الكنيسة التي كنت أنتمي لها ولقد ملأني هذا بالمرارة والشك في كل من حولي حتى أنني كنت دائماً آخذ موقف الدفـــاع عن نفسي باستمرار وقد بدأ زواجي يتأثر بكل هذا الغضب والانفعال الذي كنـــت أعاني منه لدرجة أن زوجي كان قد بدأ بالفعل في إجراءات الطلاق خاصة أنه في ذلك الوقت لم يكن مؤمناً ولم يرد أن يكون له أي علاقة بالكنيسة.

وفي يوم أعطاني أحد الأشخاص نسخة من كتاب "فخ إبليس" فقرأته وفي وقت قصير جداً تغيرت حياتي بالكامل وتحررت تماماً من الإحساس بالمرارة ومن تأثير الإساءة التي كنت قد تعرضت لها في الماضي وعندما رأى زوجي التغيير الذي حدث في حياتي سلَّم حياته للرب يسوع وآمن به من كل قلبه كما أوقف إجراءات الطلاق!".ولقد كان زوج هذه السيدة يقف بجوارها مبتسماً وعندما انتهت من حديثها أكّد لي بدوره ما حدث في حياتهما وفي بيتهما من تغييرات مذهلة بعد قراءة هذا الكتاب.

ومن أكثر الاختبارات التي لمست قلبي فعلاً هو اختبار سمعته أثناء رحلتي إلى مدينة نابلس بفلوريدا، فقبل أن أصعد إلى المنبر لأعظ جاءني رجل متوسط العمر وطلب أن يحكي اختباره أمام كل الناس فوقف بالفعل يسرد علينا قصته وهو يبكي قائلاً:

"عشت طوال حياتي وأنا أشعر بأن هناك حاجزاً يفصل بيني وبين الرب، فكم من اجتماعات حضرتها وكان كل من حولي يشعرون بحضور الرب ويتمتعون به أما أنا فكنت أقف بينهم لا أشعر بشيء ومهما صليت كنت لا أشعر بأي تغيير. وظل الحال هكذا حتى قرأت كتاب "فخ إبليس" فبعد أن انتهيت من قراءته أدركت أنني كنت أسيراً لفخ إبليس طوال هذه السنوات، فلقد عشت طوال حياتي وأنا أكره أمي لأنها تركتني وهجرتني وأنا طفل صغير أبلغ من العمر ستة أشهر فلم أستطع أن أغفر لها ما فعلته بي طوال هذه السنوات ولكنني أدركت في تلك اللحظة أنني يجب أن أغفر لها وأسامحها. وبالفعل اتصلت بها تليفونياً وكانت هذه هي المرة الثانية التي أتحدث فيها إليها طوال ستة وثلاثين عاماً كاملة، وصرخت لها باكياً: "لم أقدر أن أغفر لكِ يا أمي تخليكِ عني وهجرتك لي طوال هذه السنوات!"، فبدأت تبكي بحرارة وتقول: "يا بني لقد كنت أكره نفسي طوال هذه السنوات على ما فعلته معك". وأكمل الرجل قائلاً : "لقد غفرت لها وهي غفرت لنفسها وتصالحنا أخيراً ومنذ تلك اللحظة سقط الحاجز الذي طالما كان يفصلني عن حضور الرب".

وهـــنا فقـــد الرجل السيطرة على مشاعره وبدأ يبكي ويذرف الدموع وتلعثم وهو يقول كلماته الأخيرة: "الآن أنا أستطيع أن أبكي كالطفل في محضر الرب"!!

إننـــي أدرك حقيقة هذا الأسر وقوته، فلقد كنت أنا نفسي أحد ضحاياه لسنوات عديـــدة. إن هذا الكتاب لا يقدم نظرية فلسفية أو نفسية إنما هو إعلان لكلمة الله الحية فهو يمتلئ بالحق الذي اختبرته شخصياً وأنا أثق أنه سوف يشجعك ويقويك أيضاً.

لـــذا فأنا أسألك قبل أن تبدأ في قراءة هذا الكتاب أن تطلب من الرب أن يملأك بالإيمـــان وأن يزيد إيمانك وعندما تنمو في الإيمان ستمتلئ بالفرح وسنعطي معاً للرب كل المجد!

نعمة الرب تكون معك.

بيفير

المقدمة

إن كل من يعمل في صيد الحيوانات يعلم جيداً أنه لكي يكون الفخ الذي يصطاد به الحيوان محكماً يجب أن يتوافر فيه أحد شرطين؛ أولهما أن يكون الفخ مختبئاً ومخفياً عن العيون حتى يقع فيه الحيوان بسهولة، وثانيهما أن يحتوي الفخ على الطُعم المناسب الذي يجذب الحيوان إليه.

وهكـــذا فإن إبليس - الذي هو العدو الحقيقي لنفوسنا - دائماً ما يستخدم كلا الأمريـــن وهو ينصب لنا فخاخه الخادعة المميتة فدائماً ما ينصب لنا الفخ مختبئاً ويضـــع فيه الطُعم المناسب. فالوضوح ليس من صفات إبليس وجنوده كما يعتقد البعض بل على العكس تماماً هو يتميز بالمكر والدهاء وهو ماهر جداً في أساليب الخـــداع فـــلا تنســـى أن الكتاب المقدس يقول عنه أنه يستطيع أن يخفي حقيقته ويظهر كملاك نور، وإذا لم نكن متمرنين بكلمة الله على التمييز بين الخير والشر فإنه يصبح من الصعب جداً أن نميز فخاخه الخادعة.

ويعتـــبر الـــتعرض للإســـاءة أو الأذى من أكثر أنواع (الطُعم) التي يستخدمها إبليس خداعاً وهو أمر يواجه كل مؤمن كثيراً، ولكن مثل هذا الطُعم لا يكون مميتاً أو مؤذيـــاً إن لم يلتقطه أحد ولكن إذا التقطناه وتغذينا به في قلوبنا فإنه في هذه الحالة فقط يكون العدو قد نجح في إسقاطنا في الفخ.

إن هـــذا الطُعـــم دائماً ما يثمر في الشخص الذي يلتقطه ثماراً واضحة مثل : جـــروح، غضب، انفعال، غيظ واستياء، نزاع وخصومات، مرارة، كراهية، غيرة وحســـد. وإذا ذكرنا بعض من النتائج التي يمكن أن تحدث نتيجة الوقوع في هذا الفـــخ نذكـــر على سبيل المثال التعدي والهجوم على الآخرين، الإساءة للآخرين، الانقسام، الانفصال والانعزال، العلاقات المفككة والمحطمة، الخيانة والارتداد.

وعــادة ما يكون الشخص الذي يسقط في هذا الفخ غير مدرك أنه في فخ فهو لا يعــي حقــيقة حالته ووضعه بسبب أن كل تفكيره يكون منحصراً في كم الخطأ الــذي وقع عليه والإساءة التي تعرض لها، فإن من أنجح الطرق التي يستخدمها إبليس لكي يعمي عيوننا عن الحقيقة هي أن يجعلنا نركز على أنفسنا وننحصر في أمورنا وحالتنا.

إن هــذا الكــتاب يكشف هذا الفخ المميت ويوضح السبيل للتحرر من قبضته، فإنه من الهام جداً أن يعرف كل مؤمن كيف ينال الحرية من هذا الفخ إذ أن يسوع قــال بوضــوح أنــه مســتحيل أن تحيا في هذه الحياة دون أن تتعرض للعثرات (المضايقات / الإساءات) (لوقا ١٧ : ١).

لقــد وعظــت بهذه الرسالة في العديد من الكنائس في أمريكا وفي غيرها من الــدول فــي جمــيع أنحــاء العالم ودائماً ما كان أكثر من ٥٠ % من الحاضرين يســتجيبون لهــذه الدعــوة، وعلى الرغم من أن هذه النسبة تبدو كبيرة إلا أنها مازالــت ناقصة فليس الجميع يستجيبون لهذه الدعوة بالرغم من احتياجهم بسبب أن الكبرياء كثيراً ما يمنعهم من الاستجابة.

فكــم من أشخاص رأيتهم ينالون الشفاء والحرية ويمتلئون بالروح القدس بل وينالون استجابات سريعة لصلواتهم نتيجة أنهم أعتقوا من هذا الفخ اللعين ودائماً مــا يشهدون بعد ذلك أنهم استطاعوا أن ينالوا في لحظات ما كانوا يبحثون عنه لسنوات عديدة وكل ذلك بسبب أنهم نالوا الحرية.

ونحــن فــي القرن الواحد والعشرين ازدادت المعرفة كثيراً في كنائسنا ولكن بالــرغم مــن كل هذه المعرفة ما زلنا نعاني من الانقسام والتحزب بين المؤمنين والقــادة وذلــك لأن العــثرات والجــروح تنتشر بين الناس عندما تنقص المحبة الحقيقية في قلوبهم، "العلم ينفخ ولكن المحبة تبني" (١ كورونثوس٨: ١)

لهذا تجد الكثيرين مأسورين في هذا الفخ الخادع لدرجة أننا بدأنا نعتقد أنه أن نحيا هكذا هو أمر طبيعي. ومع ذلك فإن إيماننا أنه قبل مجيء يسوع الثاني سوف يتحد المؤمنون كما لم يتحدوا من قبل، فأنا أؤمن أن هذه الأيام سوف تشهد تحرير للكثيرين من هذا الفخ وأن هذا سيكون البداية الأساسية لكي نرى النهضة تغمر أراضينا وبلادنا وسيستطيع العالم الخاطئ أن يرى يسوع من خلال محبتنا بعضنا إلى بعض بعد أن ظلت عيونهم غير قادرة على رؤيته لسنوات طويلة.

أنا لا أُقدِم أبداً على كتابة كتاب لمجرد الرغبة الشخصية في الكتابة ولكن الرب قد وضع هذه الرسالة في قلبي بقوة وحتى هذه اللحظة أستطيع أن أرى ثمارها في حياة الكثيرين. فلقد قال لي يوماً راعي أحد الكنائس بعد إن وعظت بهذه الرسالة في كنيسته : " لم أرى في حياتي هذا العدد من الناس يحررون في يوم واحد! " ولقد قال لي الرب أن هذه هي فقط البداية، فأنا أؤمن أن كثيرين سوف يحررون ويشفون ويرجعون إلى الطريق الصحيح عند قراءتهم لهذا الكتاب وعندما يطيعون ما يعلنه الروح القدس لهم، وأؤمن أنه وأنت تقرأ صفحات هذا الكتاب سيساعدك الروح المعزي والمرشد لكي تطبق ما تقرأه بشكل شخصي جداً على حياتك وعندما يفعل الروح القدس هذا فإن كلمة الله المعلنة لك سوف تثمر في حياتك وفي خدمتك بالحرية والانطلاق.

لذا فقبل أن نبدأ دعونا نصلي معاً هذه الصلاة :

أبي السماوي، بإسم ابنك يسوع أسألك أن تعلن لي
عن كلمتك بالروح القدس وأنا أقرأ هذا الكتاب.
اكشف كل مناطق مختبئة في داخل قلبي منعتني
وأعاقتني عن أن أعرفك وعن أن أكون أكثر
تأثيراً في خدمتي لك. أنا أرحب بتبكيت روحك

القدوس لي وأطلب أن تُغَيِّرني نعمتك وأن تفعل بي كما تشاء أنت، كما أسألك أن أسمع صوتك بوضوح من خلال قراءتي لهذا الكتاب حتى أستطيع أن أعرفك أكثر وأكثر وأن أتمتع بعلاقة حميمة معك

...... آمين.

الفصل الأول

هل أنا جرحت ؟؟!

إن رد فعلنا للإساءة هو الذي يحدد مستقبلنا

لا يمكن إلا أن تأتي العثرات (المضايقات / الإساءات)" (لوقا ١٧: ١)

فـــي أثـــناء رحلاتي المتعددة للخدمة استطعت أن أرى بنفسي واحداً من أكثر فخاخ العدو خداعاً وأشدهم أذى، فهو فخ يأسر عدد لا نهائي من المؤمنين ويمزق الكثير من العلاقات ويوسع المسافات بين بعضنا بعض، هذا الفخ هو فخ الإساءة والجـــروح. فكـــم مـــن أشـــخاص أصبحوا غير قادرين على الإثمار والعطاء في دعوتهـــم بســـبب الجـــروح التـــي ملأت حياتهم نتيجة ما تعرضوا له من إساءة ومضايقات من آخرين، فجعلهم هذا عاجزين ومعاقين عن أن يتمموا دعوتهم.

وكثيراً ما تأتي الجروح للمؤمنين من مؤمنين مثلهم فيصاحب الشعور بالإساءة شـــعوراً آخر بالخيانة. ففي مزمور ٥٥: ١٢-١٤ يقول داود بحسرة: "لأنه ليس عدو يعيّرني فأحتمل، ليس مبغضي تعظم عليّ فأختبئ منه، بل أنت إنسان عديلي إلفـــي وصـــديقي الـــذي معـــه كانت تحلو لنا العشرة، إلى بيت الله كنا نذهب في الجمهور".

فقد تأتي الإساءة من هؤلاء الذين نجلس بجانبهم في الكنيسة ونشترك معاً في تســـبيح وعبادة الرب بل قد تأتي من الخادم الذي يقوم بالخدمة في الاجتماع. قد نُجـــرح ممـــن نقضـــي معهم إجازاتنا ونتبادل معهم الزيارات أو نشترك معهم في العمـــل بـــل من الممكن أن تكون العلاقة أقرب من هذا بكثير فقد يكونون هم من نشأنا معهم ووثقنا بهم بل وتشاركنا في كل شيء حتى غرفة نومنا. وعلى قدر ما تكـــون العلاقة حميمة على قدر ما يكون الجرح أعمق وأقسى فتجد أن الكراهية يمكـــن أن تصـــل إلـــى ذروتهـــا بين من كانوا يوماً أقرب الناس بعضهم لبعض! فالمحاميـــن دائمـــاً ما يشهدون أن أعنف وأقسى القضايا هي قضايا الطلاق، كما تخـــبرنا وســـائل الإعلام كل يوم عن عدد هائل من حوادث القتل التي تحدث في الأُســـر ويكون مرتكبيها هم من أفراد الأسرة نفسها بعد أن تملك اليأس والإحباط

منهم. فالأسرة التي من المفروض أن تكون هي الملجأ الذي نجد فيه الحماية والرعاية ونتعلم في كنفها العطاء والحب هي نفسها يمكن أن تكون الجذر الحقيقي لآلامنا وجروحنا. ليس هذا فقط فالتاريخ يشهد أن أكثر الحروب قسوة ودموية هي الحروب الأهلية حيث يحارب الأخ أخيه والابن أبيه والأب ابنه.

وتبقى الحقيقة الثابتة: إن من تهتم بهم وتتعلق بهم أكثر هم أقدر الناس على أن يسببوا لك الجرح والألم، فأنت دائماً ما تتوقع منهم الكثير فهم من وضعت كل ثقتك فيهم وأعطيتهم نفسك ولكن بقدر ما تتوقع منهم بقدر ما تكون الصدمة والجرح أمام الإساءة أعمق وأكبر.

إن الأنانية تسود على مجتمعاتنا بدرجة كبيرة فأصبح الناس الآن يسعون وراء مكاسبهم ومصالحهم حتى لو كان هذا على حساب من حولهم. وفي الواقع يجب ألا يدهشنا هذا إذ أن الكتاب المقدس يعلن بوضوح أنه في آخر الأيام سيكون الناس "محبين لأنفسهم" (٢تيموثاوس ٣: ٢)، فكثيراً ما نظن أن هذا يشير فقط إلى غير المؤمنين ولكن في الواقع لم يكن بولس يتحدث هنا عن غير المؤمنين بل عن المؤمنين داخل الكنيسة.

إنه يوجد الكثير والكثير من الناس يعانون من الجروح والآلام النفسية ويمتلئون بالمرارة بسبب أنهم تعرضوا للإساءة من آخرين ولكنهم غير مدركين أنهم بهذا يكونون قد سقطوا في فخ إبليس!

خطأ مَن هذا يا تُرى؟ هل هو خطؤنا؟ لقد قال يسوع بوضوح أنه من المستحيل أن تحيا في هذه الحياة دون أن تتعرض للعثرات أي المضايقات والإساءات ومع ذلك نجد الكثير من المؤمنين يُصدمون ويتعجبون حينما يتعرضون لها بل وينظرون إلى أنفسهم وكأن ما تعرضوا له لم يتعرض له أحد من قبل ولكن هذا الأسلوب في التفكير يجعلنا فريسة سهلة للمرارة والجروح. لهذا يجب أن نسلح

أنفسـنا لنكون مستعدين لمواجهة الإساءة والمضايقات إذ أن رد فعلنا تجاهها هو الذي سيحدد مستقبلنا.

الفخ الخادع

إن الكلمـة اليونانـية المرادفة لكلمة (عثرة) في لوقا ١٧: ١ هي مشتقة من كلمـة (سكاندالون/scandalon) وهي تعني في الأصل الجزء من الفخ الذي يثبت فـيه الطُعـم، لـذا فكلمة (عثرة) تشير إلى فخ ينصب لشخص في الطريق وهي تستخدم عادة في العهد الجديد لتصف الشبكة أو الفخ الذي يستخدمه العدو للإيقاع بنا لذا فالعثرات (المضايقات) هي إحدى وسائل إبليس التي يقتنص بها الناس إلى أسرِه.

لقد أوصى بولس الرسول تيموثاوس قائلاً: "وعبد الرب لا يجب أن يخاصم بل يكـون مـترفقاً بالجمـيع صـالحاً للتعليم صبوراً على المشقات مؤدباً بالوداعة المقاومين عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق فيستفيقوا من فخ إبليس إذ قد اقتنصهم لإرادته" (٢تيموثاوس ٢: ٢٤-٢٦).

إن الذين في خصام والمقاومين هم في الواقع أسرى لفخ إبليس الذي اقتنصهم لإرادتـه أي لـيحققوا إرادته، ولكن الخطير في الأمر هو أنهم غير مدركين أنهم مأسـورين فهـم مثل الابن الضال محتاجين إلى أن يستفيقوا وأن يدركوا حقيقة حالتهم حتى يستطيعوا أن يرجعوا إلى الطريق الصحيح. فحينما يكون الشخص في خداع فهو يرى نفسه دائماً أنه على حق حتى إذا كان مخطئاً.

والأشخاص الذين يعانون من الجروح والمرارة هم في الحقيقة نوعان:

النوع الأول: هم الذين تعرضوا بالفعل للإساءة والظلم.

والنوع الثاني: هم الذين يظنون خطأ أنه قد أسيء إليهم.

والأشخاص الذين ينتمون للمجموعة الثانية دائماً ما يصدقون بكل قلوبهم أنهم قـد تعرضوا للإساءة والظلم ولكن عادة ما يكون اعتقادهم هذا إما استنتاج مبني على معلومات غير صحيحة أو أن معلوماتهم صحيحة ولكن استنتاجهم الذي بنوه علـيها يكـون غـير صحيح. وفي كلا الحالتين هم يُجرحون ويضلون وذلك لأن حكمهم يكون مبنياً إما على افتراضات أو إشاعات أو مظاهر خارجية.

حقيقة ما في القلب

مـن إحـدى الطـرق التي يستخدمها العدو لكي يظل الشخص أسيراً لمشاعر الجـرح والمـرارة هـي أنـه يخفـي هذه المشاعر ويخبئها ويغطيها بالكبرياء، فالكبرياء يمنعك من الاعتراف بحقيقة ما تشعر به.

لقـد تعرضـت يوماً للإساءة من اثنين من الخدام في كنيستي وقد كان كل من يعرف ما حدث يقول لي: "لا أستطيع أن أصدق ما عملاه معك. من المؤكد أن هذا سبب لك جرحاً عميقاً"، وكنت دائماً أجيبهم وبسرعة: "لا ... لا، أنا لست مجروحاً مما حدث. أنا على ما يرام".

فلقـد كنت أعرف أنه من الخطأ أن أُجرَح وأُعثَر لذا كنت أنكر أنني أشعر بهذا وكنـت أكبت مشاعري داخل قلبي بل أنني كنت أقنع نفسي أنني لست متضايقاً أو مجروحاً ولكن لم تكن هذه هي الحقيقة. فكبريائي كان يغطي ويخفي حقيقة ما كان في قلبي.

إن الكبرياء يمنعك من مواجهة الحقيقة فهو يعمي عينيك ويقسي قلبك، فطالما أنـك تـرى أن كـل شـيء فـيك على ما يرام فلن تتغير أبداً بل ستظل كما أنت

وسيعوقك هذا عن أن تغير اتجاهك أي تتوب وبالتالي سيعوقك عن أن تنال الحرية (اقرأ ٢تيموثاوس ٢: ٢٤-٢٦).

إن الكـــبرياء يجعلك تنظر إلى نفسك على أنك الضحية ويقول لسان حالك: "لقد ظُلمت وأُسيء إليّ لذا فأنا لي العذر في الطريقة التي أسلك بها". فلأنك ترى نفسك مظلومـــاً فإنك تعطي لنفسك الحق في أن ترفض أن تغفر. ولكن اعلم أنه إن كانت حقــيقة ما في قلبك مخفية عنك فهي ليست مخفية عن الرب وحقيقة أنك تعرضت للإساءة لا يعطيك الحق في أن تبقى مجروحاً ومليئاً بالمرارة وعدم الغفران.

العلاج

في سفر الرؤيا ابتدأ الرب يسوع حديثه إلى كنيسة اللاودكيين بأنه أوضح لهم كــيف أنهــم يــرون أنفسهم أغنياء ولا حاجة بهم إلى شيء ولكنه بعد ذلك أخذ يكشف لهم حقيقة حالتهم فقال: "ولست تعلم أنك أنت الشقي والبئس وفقير وأعمى وعــريان " (رؤيــا ٣: ١٤-٢٠). لقــد كانوا يظنون أن قوتهم تكمن في غناهم المادي، فلقد كان كبرياءهم يمنعهم من أن يدركوا حقيقة حالتهم.

إن هــذه الحالة تنطبق على الكثيرين اليوم فهم لا يستطيعون أن يدركوا حقيقة مــا فــي قلوبهــم كمــا كنت أنا عاجزاً عن أن أدرك حقيقة ما في قلبي من غيظ واســتياء تجــاه هاذين الخادمين اللذين أساءا إليّ بل أنني كنت مقتنعاً أنني لست مجروحاً أو متضايقاً.

لقد أوضح الرب يسوع لكنيسة اللاودكيين كيف يتخلصوا من هذا الخداع، وهذا بأن يشتروا من الرب ذهباً مصفى.

• اشتري ذهباً من الرب!

كــان أول شـــيء طلبه الرب يسوع من كنيسة اللاودكيين حتى يتسنى لهم أن يـــتحرروا مــن الخـــداع هو: "اشتروا مني ذهباً مصفى بالنار" (رؤ٣ : ١٨). إن الذهــب المصفى بالنار يتميز بأنه يكون طريّاً ومرناً وخالياً من الشوائب فالذهب يكــون صلباً غير قابل للتشكيل وسهل التآكل فقط حينما يكون مخلوطاً بغيره من المعادن (مثل النحاس، الحديد، النيكل ... إلخ) وهذا الخليط يدعى (الأُشابة allo). وكلما زادت نسبة الشوائب من المعادن الأخرى كلما زادت صلابة الذهب والعكس صحيح فكلما قلت نسبة الشوائب كلما أصبح الذهب مرناً وسهل التشكيل.

وهكذا يمكننا أن نرى وجه الشبه : فالقلب النقي يكون مثل الذهب المصفى .. طــري ومرن وسهل التشكيل. ففي عبرانيين ٣: ١٣ يقول أن السبب وراء قسوة القلــوب هو غرور الخطية، لذا إذا لم نعالج ما في قلوبنا من جروح فإنها سوف تنـــتج المزيد من ثمار الخطية مثل المرارة، الغضب، الغيظ وغيرها مما يزيد من قسوة قلوبنا بالضبط مثلما تزيد الشوائب من صلابة الذهب وهكذا نفقد جزءاً كبيراً مــن حساســيتنا الروحية فنصبح عاجزين عن سماع صوت الرب بوضوح ونفقد القدرة على الرؤيا الواضحة والتمييز وبهذا نصبح فريسة سهلة للخداع.

إن أول خطــوة فـــي خطوات تصفية الذهب وتنقيته هي أن يُطحن الذهب حتى يصبح مسحوقاً ثم يخلط بمادة تدعى (الصَّهور flux) ثم يوضع الخليط في الفرن ويصـــهر في درجة حرارة مرتفعة جداً فتنجذب الشوائب من المعادن الأخرى إلى مـــادة الصَّهور وتتحد بها وتصعد إلى السطح بينما يبقى الذهب النقي مستقراً في القـــاع (إذ أنـــه أثقل وزناً) وفي النهاية تُزال الشوائب التي على السطح بسهولة (التي هي النحاس، الحديد، الزنك وغيرها متحدة مع الصَّهور) ويبقى الذهب نقياً مصفى.

والآن انظر لما يقوله الرب: "هاأنذا قد نقيتك وليس بفضة (ليس كالفضة)، اخترتك في كور (فرن) المشقة" (أشعياء ٤٨: ١٠) ويقول أيضاً: "الذي به تبتهجون مع أنكم الآن إن كان يجب تحزنون يسيراً بتجارب متنوعة لكي تكون تزكية إيمانكم وهي أثمن من الذهب الفاني مع أنه يمتحن بالنار توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح" (بطرس الأولى ١: ٦-٧).

إن الرب ينقينا من خلال المحن والتجارب والصعاب فتلك هي النار التي تنزع الشوائب (مثل عدم الغفران، المرارة، الغضب، الحقد وغيرها) من حياتنا. فالخطية تبقى مختفية غير ظاهرة بعيداً عن نيران التجارب والضغوط ففي الأوقات الرحبة والسلسة من السهل على أي شخص حتى لو كان شريراً في داخله أن يظهر بصورة طيبة وتقية ولكن تحت نار الضغوط والتجارب تظهر الشوائب وتصعد إلى السطح.

لقد كان هناك وقتاً في حياتي حين مررت بظروف قاسية وضغوط شديدة لم أتعرض لمثلها من قبل وحينذاك بدأت أن أتعامل بعنف وقسوة مع كل من حولي حتى أقرب الناس لي لدرجة أن أسرتي وأصدقائي بدأوا يتجنبون التعامل معي. وفي يوم صرخت إلى الرب قائلاً: "من أين يأتي كل هذا الغضب والانفعال الذي في داخلي؟! إنه لم يكن موجوداً من قبل!" .

فأجابني الرب قائلاً: "يا بنيّ إن الشوائب التي في الذهب لا تظهر إلا حينما ينصهر الذهب في النار"، ثم سألني الرب سؤالاً: "هل تستطيع أن ترى الشوائب التي في الذهب قبل وضعه في النار؟".

فأجبت: "لا، لا أستطيع".

فقال الرب: "لكن هذا لا يعني أنها غير موجودة. وهكذا عندما تتعرض إلى نار التجارب والضغوط تظهر الشوائب التي في داخلك وتصعد إلى السطح، فبالرغم من أنها كانت مخفية عنك فلم تكن مخفية عني. والآن لك الاختيار، فإما أن تظل غاضباً تلوم زوجتك وأصدقائك وراعي كنيستك وكل من حولك أو أن تعترف بالخطية التي فيك وتتوب عنها وتقبل غفراني لك وهنا سوف أمد يدي وأنزع تلك الشوائب (الخطايا) من حياتك".

اعرف حقيقة حالتك

لقد قال يسوع أن قدرتنا على الرؤيا الصحيحة هي مفتاح آخر يعيننا على التحرر من الخداع. فحينما نتعرض للإساءة والجرح دائماً ما ننظر لأنفسنا كأننا ضحايا ونبدأ في إلقاء اللوم على من جرحونا وأساءوا إلينا بل أننا نبرر إحساسنا بالمرارة وعدم الغفران والغضب والحقد والغيظ في كل مرة تظهر مثل هذه المشاعر على السطح بل أننا كثيراً ما نثور على أي شخص يذكرنا بمن جرحونا وأساءوا إلينا. لهذا السبب قال يسوع لكنيسة اللاودكيين: "كحل عينيك بكحل لكي تبصر" (رؤيا٣: ١٨)، تبصر ماذا؟؟ تبصر حالتك الحقيقية. هذه هي الطريقة الوحيدة لكي تصبح "غيوراً وتتوب" كما أمر يسوع بعد ذلك. سوف تتوب فقط عندما تكف عن إلقاء اللوم على الآخرين فعندما نلوم غيرنا وندافع عن موقفنا ونبرره نكون في الواقع عميان نصارع لكي نخرج القذى من عيون أخوتنا بينما هناك خشبة في عيوننا. إن إعلان الحق هو الذي يحررنا، فالروح القدس عندما يكشف لنا عن خطايانا يفعل ذلك بطريقة لا تديننا ولكنها تبكتنا.

إن صلاتي هي أنه وأنت تقرأ هذا الكتاب تنير كلمة الله عيون ذهنك حتى تستطيع أن تبصر حقيقة حالتك وتتحرر من الجروح التي تخبئها في داخلك، فلا تدع الكبرياء يمنعك من أن تبصر وأن تتوب.

الفصل الثاني

كثيرون يُعثرون

المؤمن المجروح يأخذ الحياة داخله ولكن بسبب خوفه يرفض أن يعطيها لغيره

"وحينئذ يعــثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضاً ويبغضون بعضهم بعضاً ويقوم أنبــياء كذبة كثيرون ويُــضـلون كثيرين ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلــص". (متى ٢٤: ١٠ – ١٣)

فــي هذا الإصحاح من إنجيل متى يعلن الرب يسوع لتلاميذه عن علامات آخر الأيــام بعد أن سأله تلاميذه قائلين: "ما هي علامة مجيئك ؟ " (متى ٢٤: ٣). إن معظــم الدارسين يتفقون على أننا الآن في آخر الأيام قبل مجيء السيد المسيح. فبالرغم من أنه لا فائدة من محاولة معرفة اليوم الذي سيجيء فيه الرب بالتحديد لأن الآب وحده هو الذي يعرف هذا اليوم ولكن لقد قال يسوع أنه يمكننا أن نعرف الوقــت أي الزمن ومن المؤكد أن الوقت هو الآن، فلم نشهد من قبل ذلك التطابق فــي تحقيق نبوات الكتاب المقدس فنحن نراها هذه الأيام تتحقق بدقة في الكنيسة وفي إسرائيل وفي الظواهر الطبيعية ولهذا يمكننا أن نقول بثقة أننا في تلك الفترة الزمنية التي كان يتحدث عنها يسوع في متى ٢٤.

والآن لاحظ معي إن إحدى علامات مجيء الرب يسوع هي أنه: "يعثر كثيرون ..."، ليس البعض أو قليلون بل كثــيــرون. ودعونا نتساءل أولاً: من هم هؤلاء الذين سيعثرون ؟ هل المقصود أنهم من المؤمنين أم من المجتمع بوجه عام ؟ إن الإجابة نجدها في ما تلي هذا من كلمات الرب يسوع حين قال:

"لكــثرة الإثــم تبرد محــبــة الكثيرين " (متى ٢٤: ١٢). إن الأصل في اللغة اليونانية لكلمة (محبة) في هذا العدد هو كلمة (أغابي Agape). فهناك العديد من الكلمــات اليونانــية المــرادفة في الترجمة لكلمة (محبة) في العهد الجديد ولكن كلمتين هما الأكثر استخداماً وهما كلمة (أغابي Agape) وكلمة (فيليو Phileo).

(فيلـــيو) تشـــير إلـــى المحبة بين الأصدقاء، إنها محبة نفسية مشروطة لسان حالها يقول: "سوف أعاملك بمثل ما تعاملني، واحدة أمام واحدة ". ولكن (أغابي) تشـــير إلى المحبة التي من الله والتي يسكبها في قلوب أولاده، إنها نفس الكلمة التي تطلق على المحبة التي يحبنا بها يسوع مجاناً فهي غير مشروطة لا تعتمد علـــى أدائـــك أو سلوكك أو حالتك ولا حتى على محبتك أنت له فهي المحبة التي تعطي حتى وهي مرفوضة.

بـــدون الرب كل ما يمكننا أن نقدمه هو المحبة النفسية الأنانية (الفيليو)، تلك المحبة التي لا تعطي إلا لمن يقدِّرها ويرد بمثلها. أما (الأغابي) فهي المحبة التي لا تعتمد على رد فعل الآخر ولا على تجاوبه معها، إنها المحبة التي أعلنها الرب يسوع على الصليب وهو يغفر لمن صلبوه وقتلوه.

لكـــل هذا نعرف أن "الكثيرون " الذين أشار إليهم يسوع في متى ٢٤: ١٠ هم مؤمنون ولكنهم مؤمنين بردت فيهم المحبة الأغابي.

لقـــد كان هناك وقت بذلت فيه كل ما بوسعي لكي أظهر المحبة لأحد الأشخاص ولكـــن فـــي كـــل مـــرة كنت أمد يدي فيها بالمحبة له كان كل ما أتلقاه هو النقد والجفاء والمعاملة القاسية. واستمر الحال هكذا لمدة شهور طويلة حتى جاء يوم شـــعرت فيه باليأس والإحباط فصرخت إلى الرب قائلاً: "لقد تعبت! فكل مرة أظهر محبتـــي لهـــذا الشخص لا أجد منه سوى الغضب والحقد!"، فأجابني الرب قائلاً: "جون، عليك أن تتعلم أن تنمو في الإيمان بمحبة الله".

فسألت الرب: "ماذا تعني بهذا يا رب؟"

فقـال: "مـن يـزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً، ومن يزرع للروح فمن الـروح يحصد حياة أبدية. فلا نفشل في عمل الخير لأننا سنحصد في وقته إن كنا لا نَـكِـل" (غلاطية ٦: ٨ – ٩).

هـذا يعنـي أننا يجب أن نؤمن أنه حينما نزرع المحبة التي من الله فإنه يجب وأن نحصـد محبة أيضاً، فهذا قانون روحي يجب أن نؤمن به حتى لو لم نحصد المحـبة من نفس "الحقل" الذي زرعناها فيه أو لو لم نحصدها بسرعة كما نتمنى ولكننا حتماً سنحصد.

لقـد قال لي الرب في ذلك اليوم: "إنني في أكثر الأوقات التي مررت بها قسوة وألمـاً تخلى عني أقرب الناس لي؛ يهوذا خانني وبطرس أنكرني وهرب الباقون وتركونـي وحـدي فلم يبقى معي سوى يوحنا يتبعني من بعيد. لقد ظللت أرعاهم جمـيعاً لمـدة ثـلاث سـنوات كاملة فكنت أطعمهم وأعلمهم وفي النهاية تركني الجمـيع. ولكننـي وأنـا أقدم حياتي على الصليب ثمناً لخطايا العالم كله غفرت للجمـيع، لقـد أطلقـت الجمـيع للحرية – من أصدقائي الذين تخلوا عني وحتى الحـارس الرومانـي الذي علّـقني على الصليب – لقد سامحتهم مجاناً دون أن يطلـبوا منـي أن أسـامحهم وذلك لأنني كنت أثق في محبة الآب، فكنت أثق أنه بسـبب أنني زرعت المحبة فحتماً سوف أحصدها من خلال أولادي في الملكوت، فبسبب ذبيحة الحب التي قدمتها لهم مجاناً أثق أنهم هم أيضاً سيحبونني.

فلقد قلت لكم: أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذيـن يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات فإنه يشـرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين، لأنه إن أحببـتم الذيـن يحـبونكم فأي أجر لكم، أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك؟ وإن

سـلمتم علـى اخوتكـم فقط فأي فضل تصنعون، أليس العشارون أيضاً يفعـلون هكذا؟" (متى ٥: ٤٤ – ٤٧).

توقعات عظيمة

لقـد أدركـت حيـنذاك أن المحبة التي كنت أقدمها لذلك الشخص كانت زرعا للروح ولهذا حتماً سوف أحصد ثمارها. لا أعلم من أين سوف يأتي الحصاد ولكنه حتماً سوف يأتي. ومنذ ذلك الوقت لم أعد أشعر بالإحباط حينما كنت لا أجد مقابل للمحبة التي كنت أقدمها لذلك الشخص فلقد تحررت وتلك الحرية جعلتني أستطيع أن أحبه أكثر بكثير من ذي قبل.

لـو أدرك كـل المؤمنيـن هـذه الحقـيقة لكانوا تحرروا من الفشل والإحباط والجـروح، ولكـن مـع الأسف ليست هذه هي نوع المحبة التي نحب بها بعضنا بعضـاً فمحبتنا هي المحبة الأنانية التي تجعلنا سريعاً ما نُحبَـط عندما لا نجد من الطرف الآخر ما نتوقعه منه. فعندما تتوقع شيئاً محدداً من الآخرين فما أسهل أن تُخـذل إذا لـم تجـد منهم ما كنت تتوقعه وتنتظره، ولكن إذا لم تتوقع شيئاً على الإطـلاق فـإن أقل القليل الذي يمكن أن تجده منهم سوف يكون بالنسبة لك نعمة كبـيرة ولـيس ديناً هم مديونون لك به. إننا نجعل أنفسنا عرضة للجروح عندما نـتوقع سلوكيات محددة تجاهنا ممن هم حولنا، فبقدر ما تتوقع من الآخرين بقدر ما تتعرض للجروح والصدمات.

أسوار للحماية

"الأخ (المجـروح أو المعـثر / A brother offended (NKJ)) أمنع من مدينة حصينة والمخاصمات كعارضة قلعة" (أمثال ١٨: ١٩).

إن الشــخص الذي يعاني من الجروح والمرارة يكون الاقتراب إليه أصعب من الاقــتراب إلـــى مدينة محصنة، فالمدن المحصنة تبني أسواراً حولها لكي تضمن ســلامتها وأمنها، فتلك الأسوار تمنع دخول المعتدين والغير مرغوب في دخولهم فدائمــا ما تكون مداخل المدينة تحت المراقبة فلا يُسمح بدخول أي شخص يمثل خطــراً يهــدد مصلحة وأمن المدينة كما لا يُسمح بدخول من عليه دين إلا بعد أن يســدد مــا عليه. وبالمثل فنحن نبني أسواراً حولنا عندما نُجرح لكي نحمي بها قلوبــنا مــن أي جــروح أخــرى في المستقبل، وهكذا نصبح انتقائيين أي ننتقي ونختار من نسمح له بالدخول ومن نطرده خارجاً فلا نسمح بدخول من نخاف من أن يجرحونا أو يسيئوا إلينا ونرفض دخول من نظن أنهم مديونون لنا بشيء حتى يسددوا أولاً ما عليهم بالكامل، فتصبح حياتنا بهذا مغلقة ما عدا أمام من نثق أنهم في صفنا، ولكن عادة يكون هؤلاء الذين "في صفنا " هم أيضاً يعانون من الجروح والمــرارة ولهــذا بــدلاً من أن يساعدونا لكي نتحرر من جروحنا هم في الواقع يكونــون حجــارة إضافية تضاف إلى الأسوار التي نبنيها حول أنفسنا، ودون أن نــدري تــتحول أســوار الحماية هذه إلى سجن، فهي ليس فقط تمنع دخول الغير مرغوب فيهم إلى حياتنا ولكننا نحن أيضاً نصبح عاجزين عن الخروج منها بسبب الخوف.

إن المؤمن الذي يشعر بالجرح والمرارة يكون دائماً تركيزه على نفسه حريصاً علــى حقوقه ويبذل كل ما في وسعه لكي يضمن ألا يتعرض للجروح مرة أخرى في المستقبل. ولكن إذا لم نكن مستعدين للمجازفة بأننا يمكن أن نتعرض للإساءة والجــروح لن نستطيع بهذا أن نقدم محبة غير مشروطة للآخرين، فالمحبة الغير مشــروطة تعطي الحق للآخرين أن يجرحونا! فالمحبة لا تطلب ما لنفسها، ولكن الشــخص المجروح (المُعثَر) يكون محصوراً في نفسه فقط وهكذا تبرد محبة الله في داخله.

ومـــن الظواهـــر الطبيعية التي تعطي مثالاً مشابهاً لهذه الحالة هي الفرق بين بحـــر الجليل والبحر الميت الموجودين في الأراضي المقدسة. فبحر الجليل تجري فـــيه المياه منه وإليه فمياهه تخرج منه عن طريق نهر الأردن لتصب في البحر الميـــت ولهـــذا فهو يفيض بالحياة فتحيا فيه العديد من الكائنات الحية من أسماك ونـــباتات. أمـــا البحر الميت فهو يستقبل المياه فقط ولكنه لا يعطيها، فتصب فيه المـــياه ولكن لا تخرج منه لتصب في أي بحر آخر ولهذا فهو يخلو من الحياة فلا تحـــيا فيه أي كائنات حية على الإطلاق، فالمياه الحية التي تخرج من بحر الجليل تمـــوت عـــندما تخـــتلط بالمياه الراكدة التي في البحر الميت. فالحياة لا يمكن أن تســـتمر إذا حبسناها في داخلنا ورفضنا أن نعطيها لغيرنا مجاناً. وهكذا يمكننا أن نقـــول أن المؤمـــن عندما يستسلم للجروح والمرارة يصبح شخصاً يمتلك الحياة ولكـــنه بســـبب خوفه يحبسها في داخله ولا يطلقها للآخرين ولهذا تتحول الحياة التـــي بداخلـــه إلى موت، وتصبح كالمياه الراكدة محبوسة بداخل أسوار أو سجن الجروح والمرارة.

إن العهـــد الجديد يصف تلك الأسوار بأنها حصون؛ "إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون هادمين ظنونا وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستأســـرين كل فكر إلى طاعة المسيح" (٢كورونثوس ١٠: ٤-٥). إن هذه الحصون تكوّن في أذهاننا أسلوب خاص في التفكير نحلل به جميع ما نستقبله من معلومـــات ومـــا نـــتعرض له من مواقف وهكذا بدلاً من أن تكون هذه الحصون لحمايتـــنا تصبح مع الوقت سبباً لآلامنا وعذابنا لأنها في الواقع تعوقنا عن معرفة الله معـــرفة حقيقـــية. فنحن عندما نقيس كل الأمور من خلال خبرات الماضي بما فيها من فشل ورفض وجروح نصبح بهذا عاجزين عن أن نصدق الله ونثق فيه، فنجد أنفسنا غير قادرين أن نصدق كل ما يقوله لنا الرب وبالتدريج نفقد الثقة في صـــلاحه وأمانته لأننا دون أن ندري نحكم على الرب بنفس المقاييس التي نحكم

بهـا علــى البشر. ولكن "ليس الله إنسانا فيكذب" (عدد ٢٣: ١٩)، فأفكاره ليست كأفكارنــا وطرقه ليست كطرقنا (أشعياء ٥٥: ٨-٩). إن الشخص المجروح عادة مــا يبحث في كلمة الله لكي يجد ما يؤيد موقفه ضد من أساءوا إليه ولكن ليست هذه هي الطريقة الصحيحة في دراسة كلمة الله إذ أن معرفة كلمة الله بدون محبة تــتحول إلى قوة محطمة لأنها تجعلنا ننتفخ بالكبرياء والحرفية (١كو ٨: ١-٣)، وهــذا يجعلــنا نبرر موقفنا بدلاً من أن نعترف ونتوب عن عدم الغفران الذي فينا وبهذا انصح أكثر عرضة لأن نُخدَع من العدو، فالعلم بدون محبة يخدع.

لقــد أعلن يسوع أن كثيرين سيعثرون وبعد هذا مباشرة حذر من أنه سيكون هناك الكثير من الأنبياء الكذبة:

"ويقــوم أنبــياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين" (متى ٢٤: ١١). تُرى من هم "الكثــيرون" الذيــن ســوف يضــلون؟ إنهــم هؤلاء الذين عثروا وبردت محبتهم (متى ٢٤: ١٢).

أنبياء كذبة

لقــد وصف الرب يسوع الأنبياء الكذبة بأنهم "ذئاب في ثياب حملان" (متى ٧: ١٥)، فهم أشخاص يتصفون بالأنانية ومحبة الذات لهم صورة المؤمنين (ثياب الحملان) ولكــنهم في حقيقتهم ذئاب. فالذئاب دائماً تحوم حول الخراف، كذلك أيضاً الأنبياء الكذبــة فدائما ما تجدهم بين المؤمنين في الكنائس بل قد تجدهم حتى بين الخدام علــى المــنابر يستخدمهم العدو لكي يخدع ويضلل، لهذا من الهام جداً أن نكون قادريــن علــى أن نمــيزهم ونعرفهم وذلك من خلال ثمارهم وليس من خلال ما يعظــون بــه أو يقولونه، فكم من أشخاص يعظون ويعلمون بكلمات رنانة منمقة

بينما الثمار التي تظهر في حياتهم وخدمتهم عكس ذلك تماماً، فالخادم أو المؤمن هو حياة وليس وعظ أو كلمات.

ودائماً ما تطارد الذئاب الخراف الصغيرة أو الضعيفة والجريحة. وهم يقولون للناس ما يريدون أن يسمعوه وليس ما يحتاجون أن يسمعوه، فكثير من الناس لا يريدون من يواجههم بالتعليم الصحيح ولكنهم يريدون من يربت على كتفهم ويؤيد موقفهم في كل الأحوال، فلقد تنبأ بولس الرسول عن آخر الأيام قائلاً:

"ولكن اعلم هذا أنه في الأيام الأخيرة ستأتي أزمنة صعبة لأن الناس يكونون ... ... بـلا رضى (لا يرضوا أن يغفروا unforgiving) ... ... لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها. فاعرض عن هؤلاء!" (٢تيموثاوس ٣: ١-٥)، "لأنه سيكون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح بـل حسـب شـهواتهم الخاصة يجمعون لهم معلمين مستحكة مسامعهم فيصرفون مسامعهم عن الحق وينحرفون إلى الخرافات" (٢تيموثاوس ٤: ٣-٤).

لاحظ أنهم سيكون لهم صورة التقوى - أي الإيمان - ولكنهم منكرون قوتها. كيف ينكرون قوتها؟ إذ أنهم ينكرون أن الإيمان بالمسيح يستطيع أن يغيّـرهم من عـدم الغفـران (بلا رضى) إلى الغفران، فهم يفتخرون بأنهم تلاميذ يسوع وأنهم يتبعونه وأنهم اختبروا الولادة الجديدة ولكنهم لم يسمحوا لما يفتخرون به هذا أن يغيّر قلوبهم ويُـظهر سمات الرب يسوع في حياتهم.

جيل المعلومات

لقـد اسـتطاع بولـس الرسـول أن يـرى بعين النبوة أن هؤلاء الأشخاص المخدوعيـن سيكون لديهم كم ضخم من المعلومات والمعرفة الروحية ولكنهم لا يطبقون ما يعرفونه بأذهانهم على حياتهم اليومية، فهو يصفهم بأنهم "يتعلمن في

كل حين ولا يستطعن أن يقبلن إلى معرفة الحق أبداً" (٢تيموثاوس ٣: ٧). أعتقد أنــه لو كان بولس ما زال يعيش بيننا اليوم لكان سيحزن كل الحزن على أن يرى بنفســه مــا سبق وتنبأ به، فلقد كان سيرى جموعا من الرجال والنساء يواظبون على حضور الاجتماعات والمؤتمرات والندوات الروحية ويجمعون المزيد والمزيد مــن المعرفة الروحية والآيات ويلهثون وراء الجديد من الإعلانات الروحية ومع ذلــك يســتمرون في الحياة بأنانية ومحبة للذات ... وكان سيرى الخدام يشكون بعضهم بعضاً في المحاكم مبررين موقفهم بالعديد من الأعذار والأسباب ... وكان ســيرى المؤمنين ينتقلون من كنيسة إلى أخرى هاربين من الإساءة والمضايقات والعثرات.

يفعلون كل هذا وهم يعلنون أن يسوع هو الملك والسيد على حياتهم، يعلنون سيادته عليهم بينما هم لا يغفرون لبضعهم البعض. أعتقد أن بولس كان سيصرخ فيهم قائلاً: "توبوا وتحرروا من ضلالكم أيها المراءون المحبون لذواتكم!"

فلا يهم كم الإعلانات والمعلومات الروحية التي تعرفها ولا كم الدراسات للكتاب المقــدس ولا عــدد المؤتمرات التي حضرتها أو عدد الكتب التي قرأتها ولا حتى عــدد الساعات التي تقضيها في الصلاة والدراسة لكلمة الله، فلا يهم كل هذا لأنك إذا كنــت قد تعرضت للإساءة وما زلت مجروحاً أو معثراً وغير غافر لمن أساءوا إلــيك وترفض أن تعترف بهذه الخطية وتتوب عنها لكي تتغير، إذن فأنت مخدوع بــل وتخدع كل من حولك وتربكهم بحياتك التي تمتلئ بالرياء والعرج. فلا يهم ما تقوله لهم من إعلانات ومعلومات روحية لأن الثمر الذي يظهر في حياتك يناقض ما تقوله وما تعلنه.

الخيانة

"حينئذ يعثر كثيرون ويسلمون (يخونون betray) بعضهم بعضاً ويبغضون بعضهم بعضاً" (متى ٢٤: ١٠)

إذا تأملت في هذه الآية فستجد أن العثرات (المضايقات) تؤدّي إلى الخيانة والخيانة إلى الكراهية. فكما ذكرت من قبل إن الشخص الذي يعاني من الجروح والمرارة يبني حول نفسه أسوار لحمايته ويصبح كل هدفه هو أن يحمي نفسه من أن يتعرض للإساءة مرة أخرى مهما كلفه هذا من ثمن وهكذا يصبح هذا الشخص قادراً على الخيانة، فأن تخون يعني أنك تبحث عن مصلحتك على حساب شخص آخر عادة ما يكون قريباً منك أو له علاقة بك وكلما كانت علاقة هذا الشخص بك حميمة كلما زاد هذا من قسوة الخيانة ووقعها عليه. فأن تخون شخصاً يعني أن تنقض عهدك معه وهذا يجعل من الصعب جداً أن تسترد علاقتك به مرة أخرى إلا بعد توبة حقيقية من جانبك.

والخيانة تؤدي إلى الكراهية والبغض وما يلي هذا من عواقب جسيمة، فالكتاب المقدس يعلن بوضوح:

"كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه" (١يو ٣: ١٥).

كم هو محزن ومؤسف أن نرى أمثلة عديدة من حالات الخيانة والجروح والكراهية بين المؤمنين هذه الأيام، فلقد أصبحت هذه الحالات منتشرة جداً في الكثير من الأسر والكنائس لدرجة أننا أصبحنا ننظر إليها وكأنها سلوك طبيعي، فلم نعد نهتز عندما نسمع عن خادم يقاضي خادماً آخر ولم نعد نتعجب عندما نسمع عن زوجين مسيحيين يسعيان للانفصال والطلاق بل أصبح الانقسام

والتحزب في كنائسنا أمراً طبيعياً ومتوقعاً وأصبح المؤمنون في كل مكان يسعون بكل الطرق لحماية مصالحهم وحقوقهم وضمان ألا يتعرضون للإساءة أو الاستغلال من مؤمنين آخرين!

هل نسينا ما يدعونا له العهد الجديد؟!

"لماذا لا تُظلَمون بالحري؟ لماذا لا تُسلَبون بالحري؟" (١كورونثوس ٦: ٧).

هل نسينا كلمات الرب يسوع؟!

"وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم" (متى ٥: ٤٤).

هل نسينا ما أمرنا به الرب؟!

"لا شيء بتحزب أو بعجب بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم" (فيلبي ٢: ٣).

لماذا لا نحيا بقوانين المحبة هذه؟ لماذا نحن سريعو الاندفاع نحو الخيانة والكراهية بدلاً من أن نعطي حياتنا للآخرين حتى لو كان في هذا مجازفة تعرضنا للإساءة والظلم ؟ السبب هو أن محبتنا قد بردت وهذا أدّى إلى أننا أصبحنا نسعى لحماية أنفسنا، وما دمنا نهتم بما لأنفسنا فلن نستطيع أبداً أن نهتم بما للرب.

فعندما تعرض يسوع للإساءة والظلم لم يحاول أن يرد على هذا الشر بشر ولكنه أسلم نفسه للرب الذي يقضي بالعدل. ونحن مدعوون لأن نحذو مثاله ونتبع خطواته:

"لأنكم لهذا دعيتم فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته، الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر الذي إذا شتم لم يكن يشتم عوضاً وإذا تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضي بعدل " (١بطرس ٢: ٢١ -٢٣).

يسوع المعين

يجـب أن نصـل إلـى مرحلة نضع فيها كل ثقتنا في الرب وليس في الجسد. فهـناك الكثيرون الذين يعبدون الرب ويخدمونه بكلماتهم وأفواههم ولكن حياتهم بعـيدة كل البعد عنه، فهم يقودون حياتهم بأنفسهم بينما هم يعلنون بأفواههم أن يسوع هو ملكهم وسيدهم.

وهكذا نرى خطورة الاستسلام "لخطية" العثرات والجروح، فاستسلامنا لها ينتج موتـاً في حياتنا ولكننا إذا قاومناها ورفضنا الوقوع في فخها فإننا بالتأكيد سوف نحظى بنصرة الرب العظيمة.

الفصل الثالث

كيف يمكن أن يحدث لي هذا؟!

لو كان بإمكان إبليس أن يؤذينا وقتما أراد لكان قضى علينا تماماً منذ زمن بعيد

فقال لهم يوسف لا تخافوا. لأنه هل أنا مكان الله. أنتم قصدتم لي شراً أما الله فقصد به خيراً لكي يفعل كما اليوم. ليحيي شعباً كثيراً". (تكوين ٥٠: ١٩ - ٢٠)

في الفصل الأول قسّمنا كل من يعانون من الجروح والعثرات إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى .. هم الذين تعرضوا بالفعل إلى الإساءة

والمجموعة الثانية ..هم الذين يعتقدون خطأ أنهم تعرضوا للإساءة ولكن هذا غير صحيح.

في هذا الفصل أريد أن أخاطب هؤلاء الذين ينتمون إلى المجموعة الأولى. ودعونا نبدأ بأن نطرح سؤالاً: إذا كنت بالفعل قد تعرضت للإساءة، فهل يعطيك هذا الحق أن تُعثَر وتشعر بالجرح؟

ولكي نجيب على هذا السؤال دعونا نتأمل في حياة يوسف .. الابن المفضل ليعقوب (انظر تكوين ٣٧-٤٨).

الحلم يتحول إلى كابوس

كان يوسف الابن الحادي عشر ليعقوب ولقد كان مكروهاً من أخوته الأكبر منه لأن والده كان يفضله عنهم جميعاً وميّزه بقميص ملوّن دونهم. وفي يوم أعطى الرب ليوسف حلمين، في الحلم الأول رأى حزماً في الحقل ورأى حزمته تقوم وتنتصب بينما أحاطت بها حزم أخوته وسجدت لها، أما في الحلم الثاني فقد رأى الشمس والقمر وإحدى عشر نجماً (إشارة إلى أبيه وأمه وأخوته) يسجدون له. وعندما قص يوسف على اخوته هذين الحلمين بالطبع لم يشاركوه ما كان يشعر

بـه من حماس وفرح بل على العكس زاد هذا من كراهيتهم له أكثر وأكثر. وبعد ذلـك بوقـت قصير خرج أخوة يوسف العشرة الأكبر منه إلى الحقل ليرعوا غنم أبـيهم فأرسـل يعقوب ابنه يوسف إليهم ليطمئن على سلامتهم وعندما أبصروه قادمـاً مـن بعيد تآمروا عليه قائلين "هوذا صاحب الأحلام قادم. فالآن هلم نقتله فنرى ماذا تكون أحلامه. ألا يقول أنه سوف يصبح رئيساً علينا؟ فلنرى إذن كيف سـيتحقق هـذا وهو ميت!". وهكذا طرحوا يوسف في بئر ليموت وأخذوا قميصه الملـوّن ومزقوه وغمسوه في دم حيوان حتى يقتنعوا والدهم أن حيواناً مفترساً قد افـترس يوسف. ولكن بعد أن ألقوه في البئر أبصروا قافلة إسماعليين قادمة في طريقها إلى مصر، وهنا ربما قال يهوذا لباقي أخوته:

"انـتظروا لحظة يا رفاق .. ما الفائدة التي ستعود علينا إذا تركناه يلقي حتفه في البئر؟ ولكن دعونا نبيعه كعبد للإسماعليين فنربح بعض المال وفي هذه الحالة سـيكون وجـوده مـثل موته ولن يعود يزعجنا بعد الآن!". وهكذا باعوا يوسف بعشـرين من الفضة. لقد كانوا مجروحين من يوسف ولهذا خانوه واغتصبوا منه ميراثه وعائلته. تذكر من فعل هذا .. إنهم أخوته.. نفس الأب ونفس اللحم والدم.

قـد يصعب علينا الآن أن نستوعب مدى قسوة ما فعله هؤلاء الرجال بيوسف، فقد نعتقد أن ما فعلوه كان أهون من قتله ولكن في ذلك العصر كان من الهام جداً لأي رجل أن يكون لديه أبناء حتى يحملوا اسمه وميراثه وقد حرم هؤلاء الرجال يوسف من أن يحمل اسم أبيه وميراثه فلقد اغتصبوا منه اسمه وهويته وأضاعوا مـن بين يديه كل ما كان يملك في الحياة. في تلك الأيام كان عندما يباع شخص كعـبد لدولـة أخرى كان هذا يعني أنه سيظل عبداً هناك إلى الأبد فلا يحق له أن يـتزوج إلا مـن العبـيد وكل أبنائه كانوا يولدون عبيداً. كان من السيئ أن يولد الإنسـان عـبداً ولكن من الأسوأ بكثير جداً أن يولد شخص في عائلة ثرية وأن يكون له ميراث ومستقبل باهر ثم يفقد كل هذا في لحظة ويجد نفسه يعيش الباقي

من عمره عبداً. أعتقد أن يوسف في هذه اللحظة كان يفضل أن يقتله أخوته بدلاً من بيعه.

وهكذا ندرك كم كان ما فعله أخوة يوسف به عملاً شريراً وقاسياً بدرجة تفوق كل وصف.

رؤية مستقبلية كاملة

وأنت تقرأ ما أقصه عليك من قصة يوسف فأغلب الظن أنك تعرف نهايتها. إنها قصة مشجعة جداً متى عرفت نهايتها ولكن يوسف لم يكن يعرف فكل ما كان يبدو له أنه لن يرى أبيه مرة أخرى ولن يتحقق حلمه أبداً، فلقد أصبح الآن عبداً في دولة غريبة لن يستطيع أن يغادرها طوال حياته وأصبحت حياته ملكاً لرجل آخر إلى أن يموت.

لقد بيع يوسف لرجل اسمه " فوطيفار" الذي كان خصي فرعون ورئيس الشرطة في ذلك الوقت ولقد ظل يوسف يخدم في منزل فوطيفار لمدة عشرة سنوات كاملة دون أن تصله أي أخبار من أسرته وأدرك يوسف وقتذاك أن والده لابد وأن صدق خبر موته والآن قد اعتادت أسرته الحياة بدونه وهكذا لم يكن له أي أمل في أن يأتي الإنقاذ على يد والده. ومع مرور الوقت وجد يوسف نعمة في عينيّ سيده فكان يحسن معاملته ووكله على كل بيته ودفع إلى يده كل ما كان له. ولكن في نفس الوقت الذي بدأت فيه الظروف تتحسن مع يوسف بدأ ينمو في داخل زوجة فوطيفار شهوة شريرة تجاهه فكانت ترغب أن تزني معه وهكذا بدأت تطارده لتوقعه في شباكها ولكنه كان دائماً يرفض ويقاوم حتى جاء يوم كانت فيه بمفردها معه في المنزل فبدأت تلح عليه حتى يخطئ معها ولكنه رفض وهرب منها تاركاً ثوبه في يدها. وعند ذاك اغتاظت السيدة وبدأت تصرخ وتنادي أهل

بيـــتها مدعية أن يوسف حاول اغتصابها وكانت النتيجة أن فوطيفار ألقى بيوسف في السجن.

ويجـــب أن تعلـــم أن السجن في عصر الفراعنة لم يكن مثل سجون هذه الأيام فلقـــد زرت الكثير من السجون أثناء خدمتي وعلى الرغم من قسوة الحياة بها إلا أنهـــا لا تقارن بسجون الفراعنة. فقد كانت عبارة عن حجرة صغيرة جداً مدفونة تحـــت الأرض لا يدخلها نور أو دفء وكان المسجونون يلقون فيها تحت ظروف قاسية غير إنسانية ويطعمون "بخبز وماء الضيق" (١ملوك ٢٢: ٢٧).

وبحســـب مـــا هـــو مكتوب في مزمور ١٠٥: ١٨ فإن يوسف قد "آذوا بالقيد رجليه .. في الحديد دخلت نفسه". فلقد ألقي يوسف في السجن لكي يموت هناك. ربمـــا لـــو كان يوسف مصرياً لكان هناك أملاً في إنقاذه ولكنه عبد أجنبي ومتهم باغتصـــاب زوجـــة سيده لذا فالأمل يكاد يكون معدوماً. وهكذا وصل يوسف إلى أسوأ حال يمكن أن يصله شخص في الحياة.

هـــل يمكنك أن تتخيل معي الخواطر والأفكار التي يمكن أن تكون قد بدرت إلى ذهـــن يوســـف وهو حبيساً في تلك الزنزانة الحالكة الظلام؟! ربما فكر في نفسه قـــائلاً: " لقـــد خدمت سيدي بأمانة وإخلاص طوال عشرة سنوات كاملة وقد كنت وفـــياً له أكـــثر من زوجته كما ظللت طوال هذه السنوات أميناً للرب كما لسيدي مقاومـــاً إغراء الخطية كل يوم. والآن ما هي مكافأتي؟؟ الحبس؟!! يبدو أنه كلما حاولت أن أفعل الصواب كلما زادت الأمور سوءاً . لماذا سمح الرب أن يحدث لي كـــل هـــذا؟ هل سيسمح أن ينجح اخوتي في حرماني من وعده لي أيضاً؟ لماذا لم يـــتدخل الـــرب العظـــيم الأمين لكي ينصفني؟ هل هكذا يرعى الرب المحب عبيده المخلصـــين؟ ولماذا أنا بالذات؟ ما الذي فعلته لأستحق كل هذا؟ إن كل ذنبي أنني صدقت ما سمعته من الرب وآمنت به!!"

قـد تكون مثل هذه الأفكار صارعت يوسف في ذلك الوقت، فبالرغم من أنه لا يتمـتع بحريـته في كثير من الأمور إلا أنه ما زال يملك حرية الاختيار في كيفية الـتفاعل مـع الأحـداث التي يمر بها. فهل سيختار أن يُجرَح ويُعثَر ويمتلئ قلبه بالمـرارة تجـاه أخوته وتجاه الرب؟ هل سيستسلم لليأس ويفقد الأمل في تحقيق وعد الرب له وبالتالي يفقد الشيء الوحيد الذي يعينه على الحياة؟

• هل الرب هو المتحكم؟

أعتقد أنه لم يخطر على بال يوسف أبداً أثناء تلك الفترة أن كل ما حدث له كان فـي خطة الله لكي يعدّه للحكم. فكيف كان يوسف يمكن أن يستخدم سلطانه المعد له في المستقبل ضد أخوته الذين خانوه؟ فلقد كان يوسف يتعلم الطاعة من خلال مـا تعرّض له من آلام ومعاناة ولقد كان أخوته مجرد أدوات في يد الرب. فربما عـندما حلـم يوسـف هذين الحلمين اعتبرهما بمثابة تأكيد لما كان يتمتع به في حـياته من امتيازات فلم يكن قد تعلم بعد أن السلطة تعطى للإنسان لكي يخدم بها آخرين وليس لكي يتميز بها عن الآخرين.

وعـادة في فترات الإعداد التي نمر بها في حياتنا نركز أنظارنا على الظروف الصـعبة التي نجوز فيها بدلاً من أن نركز على عظمة الرب وقدرته ونتيجة هذا كثـيراً مـا نُحـبَط ونبدأ في إلقاء اللوم على من نعتقد أنه مسئول عما نحن فيه وعـندما نواجـه بحقـيقة أن الرب كان بإمكانه أن يمنع كل هذه الصعاب من أن تحدث لنا ولكنه على العكس سمح بحدوثها فإننا عادة ما نبدأ في إلقاء اللوم على الـرب أيضاً. قد يكون هذا ما كان يدور في فكر يوسف: "لقد عشت طوال حياتي خاضـعاً للرب لم أخطئ إلى وصاياه ولم أخطئ إلى شخصه فكل ما فعلته هو أنني قصصت حلماً أخذته منه هو، وماذا كانت النتيجة؟! أخوتي خانوني وباعوني كعبد وأبي يعتقد أنني ميت ولن يأتي أبداً إلى مصر ليبحث عني". ففي نظر يوسف كان

أخوته هم السبب المباشر لما وصل إليه الآن كسجين في زنزانة، فكم كانت حياته ستصير مختلفة تماماً إذا لم يكن أخوته قد تدخلوا وأهدروا مستقبله.

وكم من مرات نسمع أخوة وأخوات لنا يسقطون في هذا الفخ الذي يبدأون فيه بإلقاء اللوم على آخرين. فنسمع مثلاً:

– "لولا زوجتي لكنت الآن ذو شأن عظيم في الخدمة ولكنها أعاقتني وحطمت أحلامي " ... أو

– "لولا والديَّ لكنت أحيا الآن حياة طبيعية فهم السبب في الحال الذي وصلت إليه الآن. فلو لم يكونا قد انفصلا لكنت أفضل حالاً في زواجي. لماذا لم أنعم بوالدين متفاهمين مثل باقي الناس؟" ... أو

– "لولا راعي كنيستي الذي يطفئ موهبتي لكنت الآن أكثر انطلاقاً في خدمتي ولكنه دائماً يعوقني عن أن أتمم دعوة الله على حياتي وهو السبب في أن كل من في الكنيسة ينقلبون ضدي " ... أو

– "لولا زوجي السابق لما كنت أنا و أولادي نعاني من هذه الضائقة المالية التي نحن فيها الآن" ... أو

– "لولا تلك السيدة التي في كنيستي لكنت الآن في علاقة طيبة مع الجميع ولكنها هي التي بسبب نميمتها وثرثرتها ضدي حطمت كل أمل لي في أن أحظى بالاحترام من الآخرين " ...

والقائمة لا تنتهي. فما أسهل أن تلوم الآخرين على المشكلات التي تعاني منها وما أسهل أن تعتقد أنك ربما كنت في حال أفضل بكثير لو لم يوجدوا في حياتك بل وتصدق أن ما أنت فيه من خيبة أمل وجروح هو خطأهم وحدهم.

والآن أريــد أن أوضح لك أمراً هاماً جداً: ليس في استطاعة أي امرأة أو رجل أو طفــل أو حتى الشيطان نفسه أن يخرجك رغماً عنك خارج مشيئة الرب. الرب وحــده هو المتحكم في مصيرك ومستقبلك. فلقد حاول أخوة يوسف بكل قوتهم أن يفسدوا الرؤيا التي أعطاها الرب ليوسف واعتقدوا أن بفعلتهم هذه قد نجحوا في أن يقضــوا عليها تماماً. فلقد قالوا لبعضهم البعض: "فالآن هلم نقتله ونطرحه في إحــدى الآبــار ... فــنرى مــاذا تكون أحلامه" (تكوين ٣٧: ٢٠). لقد خططوا لــيحطموه فلــم يكــن ما حدث ليوسف مجرد حادث عارض إنما خطة مدبرة كان الهدف منها هو تحطيم كل أمل ليوسف في النجاح. فهل تعتقد أن بفعلتهم هذه قد أفســدوا خطة الرب ليوسف؟ هل تعتقد أن ما فعلوه كان مفاجأة للرب اضطرته أن يبحث عن خطة بديلة ليحاول بها أن ينقذ ما يمكن إنقاذه؟ هل تعتقد أنه إذا فُصلت مــن عملك بسبب تآمر بعض زملائك ضدك سيضع هذا الرب في مأزق لكي يبحث لك عن عمل بديل؟! أم هل تظنين أيتها الفتاة أنك لم تتزوجي حتى الآن بسبب أن الشــخص الذي كان الرب قد عيّنه لك قد أخطأ وتزوج بأخرى والآن الرب يحاول جاهداً أن يبحث لك عن زوج آخر؟! إن هذا يبدو سخيفاً ولكن في الواقع كثيراً ما تبدو ردود أفعالنا تجاه المواقف المختلفة التي نمر بها أننا بالفعل نفكر عن الرب بهذه الطريقة.

والآن دعونا نتخيل ماذا سيكون رد فعل يوسف لو أنه كان يفكر مثل الكثير من المؤمنيــن هــذه الأيــام. هل تعرف ماذا كان سيفعل؟ سوف يخطط للانتقام. فكان ســيعزي نفسه قائلاً: "لو وقعوا في يدي سوف يدفعون الثمن غالياً!!". ولكن في الواقع لو كان يوسف فكر هكذا أعتقد أن الرب كان سيتركه في السجن إلى الأبد، هذا لأنه لو كان خرج من السجن وفي قلبه هذه النية لكان قتل عشرة من رؤساء أسباط إسرائيل الإثنى عشر! فقد كان أخوته سيصبحون شيوخ إسرائيل الذين وعد الــرب إبراهــيم أنهــم سيكونون أمة عظيمة والذين من نسلهم كان سيأتي الرب

يســوع مخلص العالم. ولكن يوسف ظل حراً من الشعور بالجرح والمرارة، حراً من العثرات وهكذا تمم الرب خطته في حياة يوسف وحياة أخوته أيضاً.

هل يمكن أن تزداد الأمور سوءاً؟

لقــد كان السجن فترة لتنقية يوسف ولكنه كان في نفس الوقت فرصة عظيمة له، ففي يوم حلم اثنان من المسجونين معه أحلاماً أزعجتهما وعندما قصاها على يوســف نجــح فــي تفسيرها لهما بدقة متناهية فقال لواحد منهما أنه على وشك الخــروج مــن الســجن وقال للآخر أنه سوف يتم إعدامه، ولقد طلب يوسف من الرجل الذي كان على وشك الخروج من السجن أن يذكره أمام فرعون عندما يعود لخدمــته، وبالفعل خرج الرجل من السجن وعاد لخدمة فرعون ولكن مرت سنتان دون أن يذكــر يوسف بكلمة أمام فرعون، وبالتأكيد زاد هذا من خيبة أمل يوسف وكان يمكن أن يكون هذا الموقف بمثابة دافع آخر يدفعه للشعور بالظلم والمرارة.

• الرب دائماً لديه خطة

وحــدث بعــد ذلــك أن فرعون حلم حلماً مزعجاً جداً ولم يستطع جميع سحرة مصــر وحكمائها أن يفسروه له وهنا تذكر خادم فرعون يوسف وذكر لسيده كيف فســر يوســف له ولزميله الآخر في السجن أحلامهما بدقة. وهكذا أُحضر يوسف إلــى فــرعون وبالفعل استطاع أن يفسر له الحلم والذي كان ينبئ بقدوم مجاعة شــديدة ونصــحه يوسف بحكمة كيف يمكن أن يستعد لمواجهة هذه الأزمة. وفي الحــال أصــدر فــرعون أمراً بأن يعيّن يوسف الرجل الثاني بعد فرعون على كل أرض مصــر ونجــح يوسف بحكمته المعطاة له من الرب أن يُعدَّ البلاد لمواجهة المجاعة الشديدة المنتظر قدومها. وانتشرت المجاعة في كل الأرض فاضطر أخوة

يوسف أن ينزلوا إلى مصر لكي يبتاعوا طعاماً. لو كان يوسف يحمل أي ضغينة أو كراهية لأخوته أعتقد أن هذه كانت أفضل فرصة لكي يخرج ما في داخل نفسه من مرارة وينتقم لنفسه من أخوته، فكان من الممكن أن يسجنهم مدى الحياة أو يعذبهم أو حتى يقتلهم ولم يكن لأحد أن يلومه أو يمنعه فهو الرجل الثاني بعد فرعون. ولكن على العكس فقد انتهت القصة بأن أعطاهم يوسف كل ما كانوا يحتاجونه مجاناً بل ومنحهم أفضل قطعة أرض في مصر ليقيموا فيها مع عائلاتهم يتمتعون بخيرات أرض مصر. لقد بارك يوسف من لعنوه وصنع خيراً لمن كرهوه وأساءوا إليه (متى ٥: ٤٤).

لقد كان الرب يعلم ما كان أخوة يوسف مزمعين أن يفعلوه معه من قبل أن يفعلوه بل في الواقع كان يعلمه من قبل أن يعطي يوسف الحلم بل من قبل أن يولدوا جميعاً. فانظر ما قاله يوسف لأخوته بعد أن جمع الله شملهم: "والآن لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعتموني إلى هنا لأنه لاستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم لأن للجوع في الأرض سنتين وخمس سنين أيضاً لا تكون فيها فلاحة ولا حصاد. فقد أرسلني الله قدامكم ليجعل لكم بقية في الأرض وليستبقي لكم نجاة عظيمة. فالآن ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله ..." (تكوين ٤٥: ٥-٨). ولتنظر ما هو مكتوب في مزمور ١٠٥: ١٦ - ١٧: "دعا بالجوع على الأرض كسر قوام الخبز كله، أرسل أمامهم رجلاً، بيع يوسف عبداً".

من أرسل يوسف ... أخوته أم الرب؟ من فم شاهدين نرى أن الرب هو الذي أرسل يوسف. لقد قالها يوسف بوضوح لأخوته: "ليس أنتم أرسلتموني"، فلتسمع جيداً ما يقوله الروح القدس.

كما ذكرت من قبل لا يوجد إنسان أو شيطان يستطيع أن يخرجك رغماً عنك خارج مشيئة الرب وخطته لحياتك. لو تمسكت بهذه الحقيقة وآمنت بها فحتماً

سـتحررك. ولكن يوجد شخص واحد فقط يستطيع أن يخرجك خارج مشيئة الرب وخطته .. هذا الشخص هو أنت نفسك!

انظـر إلـى شـعب إسـرائيل .. لقد أرسل الرب لهم موسى مخلصاً ليقودهم وينقذهم من عبودية المصريين ويدخل بهم إلى أرض الموعد وبعد أن أمضوا سنة كاملـة فـي البرية أرسلوا رجالاً ليتجسسوا الأرض فرجع هؤلاء الرجال يشكون ويـتذمرون، فلقـد كانوا خائفين من سكان الأرض لأنهم كانوا أقوى وأعظم منهم عسـكرياً ولقـد اتفق كل الشعب مع هؤلاء الرجال ماعدا كالب ويشوع، فلقد ظن الشـعب أن الرب أحضرهم إلى هناك ليميتهم لهذا أُعثروا في موسى وفي الرب، وظل الحال هكذا سنة كاملة كانت نتيجتها أن ذلك الجيل قد حُرِم من دخول الأرض التي كان الرب قد وعدهم بامتلاكها.

والـيوم يوجـد الكثيريـن الذين كانوا يخدمون الرب ويتبعونه بإخلاص حتى تعرضـوا لظـروف صـعبة في حياتهم بسبب إساءة بعض الناس لهم سواء من المؤمنين أو الخطاة. نعم إنهم بالحقيقة ظلموا وتعرضوا للأذى ولكن لو تركوا هذا يُعثرهم فستكون النتيجة هي نجاح إبليس في إخراجهم خارج مشيئة الرب وخطته لحياتهم.

لو بقيت حراً من العثرات والجروح فحتماً ستبقى في مشيئة الرب لك ولكن لو أعـثرك ما تعرضت له من إساءة وأذى فمع الأسف ستكون قد وقعت أسيراً لفخ إبلـيس. لـك وحدك حرية الاختيار ولكنني أثق أنه من الأفضل كثيراً لك أن تبقى حراً من العثرات.

ويجـب أن تتذكر دائماً أنه لا يمكن أن يحدث شيئاً في حياتك دون معرفة الرب المسـبقة له، فلـو كان العدو يستطيع أن يؤذينا أو يدمرنا وقتما شاء لكان قضى علينا تماماً منذ زمن بعيد لأنه يكرهنا من كل قلبه.

لذا لتضع أمامك دائماً هذه الكلمات: "لم تصبكم تجربة إلا بشرية ولكن الله أمين الـذي لا يدعكـم تجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتسـتطيعوا أن تحتملوا" (١كورونثوس ١٠: ١٣). لاحظ أنه يقول (المنفذ) وليس (مـنفذ)، فالـرب يرى كل ما سوف نتعرض له في حياتنا سواء صغيراً أم كبيراً ودائمـاً عنده (المنفذ) أي الطريق المحدد للخلاص. بل هناك ما هو أروع من ذلك .. فالأمر الذي يبدو لك أنه تسبب في إفساد خطة الرب لك عادة ما ستكتشف في الـنهاية أنـه كـان هو السبيل إلى تحقيق هذه الخطة إذا استمر تمسكنا بالطاعة والخضوع للرب وإذا بقينا أحرارا من الوقوع في العثرات.

لـذا تذكر هذا: فلتستمر خاضعاً للرب بأن لا تستسلم للعثرات والجروح، وقاوم العـدو وبالتأكـيد سيهرب منك (يعقوب ٤: ٧). نعم قاوم العدو ولا تستسلم لفخ العـثرات والجروح والمرارة، فقد يتحقق وعد الرب بطريقة مختلفة عما تصورته ولكـن ثق أن كلمة الرب ووعوده لا تسقط أبداً. عدم طاعتنا فقط هو الذي يفقدنا وعود الرب وخطته لحياتنا.

نوع آخر من الخيانة

قد لا يوجد الكثيرين الذين تعرضوا لمثل ما تعرض له يوسف من إساءة وأذى. فمن الممكن أن يكون ما تعرض له يوسف أقل ألماً لو كان تعرض له من أعدائه أو مـن غـرباء عـنه ولكن مع الأسف لقد كانوا أخوته .. لحمه ودمه .. هؤلاء الذين كان يجب أن يشجعوه ويؤيدوه ويحاموا عنه ويهتموا بأمره.

فهل يمكن أن يكون هناك إساءة أصعب وأقسى مما تعرض له يوسف؟؟؟

الفصل الرابع

أبي .... أبي!!

صعب أن تتعرض للرفض والأذى من أخوتك ولكن أن تتعرض للرفض والأذى من أبيك أصعب بكثير

فانظــر يا أبي ... أنه ليس في يدي شر ولا جرم ولم أخطئ إليك وأنت تصيد نفسي لتأخذها". (صموئيل الأول ٢٤: ١١)

فـــي الفصل السابق رأينا كيف حاول أخوة يوسف أن يدمروه ورأينا قدر الألم والأذى الـــذي تعــرض له يوسف بسبب خيانة أخوته له. وربما تكون أنت أيضا تعرضـــت لموقــف مشــابه .. ربما تعرضت للخيانة من أقرب الناس إليك .. من هؤلاء الذين كنت تتوقع منهم الحب والتشجيع.

فـــي هــذا الفصل سوف نتأمل موقفاً أشد صعوبة وقسوة من خيانة الأخ. فمن الصـــعب أن تتعرض للرفض والأذى من أخوتك ولكن أن تتعرض للرفض والأذى من أبيك أصعب بكثير. وأنا لا أقصد هنا الأب الجسدي فقط ولكنني أقصد أيضاً كل قائد روحي أو راعي وضعك الرب تحت رعايته، فهؤلاء هم الأشخاص الذين يجب أن يمنحوك ما تحتاجه من الحب والاهتمام والرعاية والتعليم.

علاقة حب وكراهية

لكـــي نـــدرس معاً مثالاً لأب خائن دعونا نتأمل العلاقة بين شاول الملك وداود (صموئيل الأول ١٦ – ٣١)

فلقـــد بـــدأت علاقتهما قبل أن يلتقيا عندما قام نبي الرب صموئيل بمسح داود لـــيكون ملكاً على إسرائيل بعد شاول ومن المؤكد أن داود تهلل فرحاً ولاسيما أن صـــموئيل هـــو نفسه الذي مسح شاول ملكاً. في نفس الوقت بدأ شاول يعاني من روح رديء كان يباغته بسبب عصيانه للرب وكان لا يشعر بالراحة إلا إذا عزف لـــه أحـــد على العود لذا بدأ غلمانه في البحث عن شاب يحسن العزف على العود

ليقيم في القصر ويعزف لشاول كلما أراد، ولقد اقترح أحد غلمان شاول أن يأتي بداود إبن يسي ليقوم بهذه المهمة وبالفعل أرسل شاول لداود. وربما فكر داود حينذاك قائلاً: "من المؤكد أن هذه هي بداية الطريق لتحقيق وعد الرب الذي وعدني به عن طريق صموئيل النبي. فلقد وجدت نعمة في عينيّ الملك وهذه أول خطوة على الطريق!"، ومضى الوقت وفي يوم طلب يسي من ابنه داود أن يأخذ بعض الطعام لأخوته الذين كانوا يحاربون الفلسطينيين وعند وصول داود إلى جبهة الحرب رأى البطل الفلسطيني "جلياط" وهو يهزأ من شعب الرب ويعيّره وعلم أن الحال مستمر هكذا منذ أربعين يوماً دون أن يستطيع أحد أن يتصدى له حتى أن شاول الملك قد وعد بأنه سوف يعطي ابنته زوجة للرجل الذي يهزم هذا العملاق. فذهب داود إلى الملك يطلب منه السماح له بقتال "جلياط" وبالفعل استطاع داود أن يقتل "جلياط" وفاز بابنة الملك شاول كزوجة له كما فاز برضى الملك عليه ومكث داود في القصر مع شاول وارتبط به يوناثان إبن الملك ودخل معه في عهد صداقة إلى الأبد. وكان داود ينجح في كل ما كان شاول يسنده إليه لأن الرب كان معه حتى أن الملك أمر بأن يأكل داود معه ومع أولاده على مائدة الملك كل يوم. وهكذا تهلل داود فرحاً فقد كان يعيش في قصر الملك يأكل على مائدته وله ابنة الملك زوجة وابنه يوناثان صديقاً حميماً كما أنه كان ناجحاً في كل ما كان يفعله ونال إعجاب كل الشعب وحبهم. لقد بدأ بالفعل يرى بعينيه تحقيق نبوة صموئيل له، لقد كان شاول يفضله على جميع رجاله وأصبح أباً له وأعتقد أن داود لم يشك لحظة في أن شاول سوف يستمر في رعايته وتدريبه له حتى يأتي يوم يوليه بنفسه عرش المملكة خليفة له وكم فرح داود بأمانة الرب وصلاحه معه ولكن .. في لحظة وفي طرفة عين تبدد كل هذا! ففي يوم كان شاول وداود عائدان من المعركة جنباً إلى جنب فخرجت النساء من جميع مدن إسرائيل للقائهما بالغناء والرقص وكن ينشدن قائلات: "ضرب شاول ألوفه وداود ربواته" (الربوة = عشرة آلاف)، فساء هذا جداً في عينيّ شاول وحمي غضبه

على داود ومنذ ذلك اليوم بدأ شاول يكره داود بل أنه حاول أن يقتله مرتين بينما كـــان داود يعزف له كعادته. لقد قال الكتاب المقدس أن شاول كان يكره داود لأنه كـــان يعـــرف أن الرب كان مع داود وأنه ليس مع شاول. وهكذا وجد داود نفسه مـــرغماً علـــى الهـــرب من وجه شاول فهرب إلى البرية إذ لم يكن له مكان آخر يذهب إليه.

ربمـــا تعجـــب داود حينذاك مفكراً: "ما هذا الذي يحدث؟ لقد كنت بدأت أن أرى تحقـــيق الوعد والآن كل شيء يتحطم!! فالرجل الذي كان لي بمثابة الأب والمعلم الآن يـــريد أن يقتلنـــي، فماذا أفعل؟!! فشاول هو مسيح الرب وخادمه، هو الملك المعيّن من الرب على شعبه، فلماذا سمح الرب بكل هذا أن يحدث؟؟!!"

وظـــل شـــاول يطـــارد داود أينما ذهب ومعه ثلاثة آلاف رجل من أفضل جنود إســـرائيل كـــان كـــل هدفهم هو قتل داود! في تلك اللحظة أصبح وعد الرب لداود مجرد خيال فلم يعد داود يعيش في قصر الملك ولا يأكل على مائدته بل كان يسكن الكهـــوف المظلمـــة ويأكل فتات الطعام في البرية وأصبح مطارد من رجال كانوا يومـــاً يحاربون تحت قيادته. لقد فقد كل ما كان يتمتع به حتى زوجته أُخذت منه ولم يبقى له الآن سوى الوحدة والغربة.

لاحظ أن الرب - وليس إبليس - هو الذي وضع داود تحت رعاية شاول، فلقد كان هذا بتخطيط من الرب. فلماذا خطط الرب لهذا أن يحدث؟ هل كان يعطي داود كل هذه البركات لكي يفقدها بعد ذلك؟ لماذا؟!

كـــم كـــان ســـهلاً في هذه اللحظة أن يقع داود في فخ العثرات ليس فقط تجاه شـــاول ولكـــن تجاه الرب أيضاً، فكل هذه التساؤلات التي ليس لها إجابة واضحة كان يمكنها أن تجعل داود يشك في حكمة الرب وخطته لحياته.

وظل شاول مصمماً على قتل داود بأي ثمن فذهب داود إلى كهنة مدينة "توب" الذين لم يعرفوا أن شاول كان يطارد داود واعتقدوا أن داود مرسلاً في مهمة من قبل الملك لذا زوّدوه بالطعام والمأوى وأعطوه سيف "جلياط"، ولما وصل هذا إلى علـــم شـــاول حمي غضبه وقتل ٥٨ من كهنة الرب الأبرياء بل أنه ضرب مدينة "تـــوب" مديـــنة الكهـــنة كلهـــا بحد السيف، الرجال والنساء والأطفال والرضعان والثـــيران والحمير والغنم، لقد أمر بالقضاء على هؤلاء الأبرياء بدلاً من أن يهتم بالقضـــاء على عماليق أعداء شعب الله. لقد تحول شاول إلى قاتل، والسؤال هو: كيف مسح الرب بروحه شخصاً مثل هذا في يوم من الأيام؟؟

ومرت الأيام وفي يوم علم شاول أن داود قد ذهب إلى برية "عين جدي"، فذهب على رأس ثلاثة آلاف مقاتل ليقتلوا داود. وفي أثناء رحلتهم توقفوا ليأخذوا قسطاً مـــن الراحة عند مدخل كهف دون أن يعلموا أن داود ورجاله كانوا مختبئين خلف هـــذا الكهف، فخلع شاول رداءه وألقاه جانباً لينام فتسلل داود بهدوء وقطع طرف رداء شـــاول ثم هرب مرة أخرى دون أن يلاحظه أحد وعندما ترك شاول الكهف ليمضي في طريقه خرج داود من مخبأه ونادى وراء شاول ثم خر على وجهه إلى الأرض وســـجد أمام شاول وقال: "انظر يا أبي أنظر أيضاً طرف جبتك بيدي! ... اعلـــم وانظـــر أنه ليس في يدي شر ولا جرم ولم أخطئ إليك وأنت تصيد نفسي لـــتأخذها" (١صموئيل ٢٤: ١١). لقد صرخ داود إلى شاول قائلاً "يا أبي"! وكأن لســـان حالـــه يقـــول "كـــن لي أباً فأنا أحتاج إلى أب وقائد ليدربني ويرعاني، لا ليحطمنـــي!" . حـــتى و شاول يحاول جاهداً أن يقتله كان قلب داود ما زال ينبض بالرجاء.

أين الآباء؟

لقد سمعت هذه الصرخة من العديد والعديد من المؤمنين أعضاء جسد المسيح وأغلبهم يكون من الشباب الذين لديهم دعوة قوية من الرب لحياتهم ويبحثون عن أب أو راعي وقائد يتلمذهم ويحبهم ويشجعهم ويرعاهم. لذلك قال الرب أنه سوف "يـرد قلـب الآبـاء (القادة والرعاة) على الأبناء (شعب الرب) وقلب الأبناء على آبـائهم لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن" (ملاخي ٤: ٦). فكم من آباء ورعاة في بيوتـنا وكنائسـنا ينشـغلون بأمورهم وأحلامهم الخاصة على حساب اهتمامهم بأبـنائهم، حالهم مثل حال شاول الملك، وبسبب هذا هم يتعاملون مع الناس على أنهم أدوات لخدمة رؤيتهم ودعوتهم بدلاً من أن تكون الرؤيا والدعوة هما السبيل لخدمـة الـناس، فرغبتهم في نجاح الخدمة الخاصة بهم تصبح مبرر يبررون به لأنفسـهم مـا يسـببونه للكثير ممن هم تحت رعايتهم من جروح وتشتيت وأذى وأصـبحوا يضـحون بـالعدل والرحمة والمحبة من أجل نجاح رؤيتهم وخدمتهم وأصـبحت قراراتهم مبنية على ما سيجنونه من أموال أو أعداد أو نتائج. وهكذا يعاني الكثير من المؤمنين مثلما عانى داود، فكما كان شاول يعتقد أنه بهذا يحمي مملكـته هكذا أيضاً يظن هؤلاء الرعاة والقادة أنهم بهذا يقومون بحماية الخدمة والرؤيا وانتشار الإنجيل.

فكـم من قادة كنائس عزلوا أشخاصاً من كنائسهم فقط بسبب الشك؟ هل تعرف لمـاذا يشك هؤلاء القادة؟ لأنهم لا يخدمون الرب إنما يخدمون رؤيا أو حلم يملأ قلوبهم. فهم مثل شاول يخافون على دعوتهم لهذا هم يمتلئون بالغيرة والكبرياء، فهـم قـد يدركوا المواهب التي يتميز بها بعض الأشخاص في كنائسهم ويميزوا المسحة التي عليهم يظهرون رغبتهم في الاستفادة منهم فقط طالما خدمتهم تعود علـيهم بالمنفعة. فلقد ظل شاول يفرح بنجاح داود حتى ذلك اليوم الذي أدرك فيه أن نجاح داود أصبح خطراً يهدده، حينذاك عزل داود وبدأ يبحث عن سبباً ليدمره.

لقد تحدثت مع الكثير من الشباب والفتيات الذين يصرخون طالبين من يكون مسئولاً عنهم، فهم يحتاجون إلى قائد يخضعون له ليتلمذهم ويرعاهم، إنهم يبحثون عن شخص يقوم بدور الأب في حياتهم ولكن مع الأسف يجدون أنفسهم معزولين في وحدة أليمة. لقد سمح الرب أن يتعرضوا للرفض في حياتهم لأنه يريد أن يفعل معهم ما فعله مع داود، فانتبه جيداً لما يقوله الروح القدس هنا.

لقد كان داود يتألم بسبب أن شاول كان يعتقد أنه متمرد وشرير وأغلب الظن أن داود حاول أن يمتحن قلبه قائلاً: "ما الخطأ الذي ارتكبته؟ لماذا تحول قلب شاول ضدي هكذا؟" لذلك صرخ داود لشاول قائلاً:

"من قطعي طرف جبتك وعدم قتلي إياك اعلم وانظر أنه ليس في يدي شر ولا جرم ولم أخطئ إليك" (١صم ٢٤: ١١). لقد كان داود يظن أنه لو استطاع أن يثبت لشاول محبته وإخلاصه سيسترد ثقة شاول ونعمته عليه وبالتالي ستتحقق النبوة التي ينتظرها.

وكثيراً ما يحدث هذا مع الأشخاص الذين تعرضوا للرفض من آبائهم أو رعاة كنائسهم فهم عادة ما يلقون باللوم على أنفسهم ويعانون من أفكار مثل: "ما الخطأ الذي ارتكبته؟ هل كان قلبي غير نقي؟" وأحياناً يتعجبون: "من حوّل قلب راعي كنيستي ضدي بهذا الشكل؟" ثم يحاولون بكل الطرق أن يثبتوا براءتهم وإخلاصهم لهؤلاء القادة والرعاة ظناً منهم أنهم بهذا يمكنهم أن يستردوا رضاهم ومحبتهم، ولكن مع الأسف كلما حاولوا كلما تعرضوا للرفض أكثر وأكثر.

من الذي ينتقم لي؟

لقد أدرك شاول صلاح داود عندما رأى أنه كان بإمكانه أن يقتله ولكنه لم يفعل، لهذا رحل هو ورجاله دون أن يمسوا داود بأذى، وربما فكر داود وقتذاك

قائلاً: "الآن سأسترد ثقة الملك وستتحقق نبوة صموئيل لي، فمن المؤكد أن شاول قد تأكد من حقيقة ما في قلبي تجاهه وسوف يحسن معاملتي".

ولكــن بعــد وقت ليس بكثير جاء بعض الرجال إلى شاول ليخبروه بأن داود يختبئ في "تل حخيلة" فذهب شاول ليطارد داود مرة أخرى ومعه أيضاً ثلاثة آلاف مقــاتل. لابد وأن هذا صعق داود، فلقد أدرك الآن أن الأمر ليس مجرد سوء فهم من جهة شاول ولكنه تصميم غريب على قتله دون وجه حق. لابد وأن داود شعر بشــعور عميق من الرفض في هذه اللحظة فبالرغم من أن شاول قد عرف حقيقة ما في قلبه تجاهه إلا أنه ما زال مصمماً على قتله ومطاردته.

ومرة أخرى كان شاول نائماً في كهف فتسلل داود مع أبيشاي إلى داخل الكهف دون أن ينتــبه إليهما أحد من رجال شاول لأنه قد أوقع الرب سباتاً عميقاً عليهم، وهنا أخذ أبيشاي يتوسل إلى داود قائلاً: "قد حبس الله اليوم عدوك في يدك فدعني أضربه بالرمح إلى الأرض دفعة واحدة ولا أثني عليه" (١صم ٢٦: ٨).

لقــد كان لدى أبيشاي العديد من الأسباب القوية التي تدفعه للاعتقاد بأن داود حتماً سوف يوافق على السماح له بقتل شاول.

أولاً: لقد قام شاول بقتل ٥٨ من كهنة الرب الأبرياء وعائلاتهم.

وثانياً: لقد خرج شاول ومعه ثلاثة آلاف رجل ليقتل داود وأتباعه وأبيشاي لابد وأنه كان يعرف كرجل حرب أنه لو لم يسبق بقتل العدو فحتماً سوف يقتله العدو. إنه دفاع عن النفس ولا أحد يستطيع أن يلومه على ذلك.

ثالــثاً: لقــد مسح الرب داود ملكاً على إسرائيل على يد صموئيل النبي ولهذا يجــب علــى داود أن يدافع عن ميراثه وحقه بدلاً من أن يدع نفسه يُقتل على يد شاول ويفقد دعوة الرب التي علي حياته.

أمــا رابعــاً: فلقد وضع الرب جميع رجال شاول في سبات عميق حتى يعطي الفرصــة لــداود وأبيشاي للوصول إلى شاول دون أن يراه أحد. فلماذا إذن يفعل الرب هكذا إلا إذا كان يريد داود أن يقتل شاول؟! فلقد كان أبيشاي يرى أن داود لا يمكنه أن يحظى بفرصة مثل هذه مرة أخرى.

كــم هي أسباب قوية ومقنعة! وكم كان من السهل أمام كل هذا التشجيع الذي يتلقاه داود من أبيشاي أن يبرر نفسه ويسمح لأبيشاي أن يقتل شاول، ولكن أجاب داود أبيشــاي قائلاً: " لا تهلكه، فمن الذي يمد يده إلى مسيح الرب ويتبرأ .... حــي هــو الرب أن الرب سوف يضربه أو يأتي يومه فيموت أو ينزل إلى الحرب ويهلــك. حاشا لي من قبل الرب أن أمد يدي إلى مسيح الرب " (١ صموئيل ٢٦: ٩-١١).

لــم يقــتل داود شاول بالرغم من أن شاول قد سبق وقتل كهنة الرب الأبرياء وكان يريد أن يقتل داود أيضاً ذلك لأن داود لم يرغب في أن ينتقم لنفسه بل ترك الأمــر كلــه في يد الرب. لقد كان أمام داود الفرصة أن يضع نهاية لكل هذا بيده لكــي ينقذ نفسه وينقذ شعب إسرائيل كله، هذا الشعب الذي كان تحت مُلك شاول مــثل القطيع الذي لا راعي له. لقد كان صعباً على داود ألا يدافع عن نفسه ولكن كــان أصعب عليه أكثر ألا يدافع عن الناس الذين كان يحبهم من ملك مجنون كان يســلبهم من أجل مصالحه الشخصية ولكن رغم كل ذلك قرر داود أن يرفض قتل شــاول. لقد أثبت داود نقاوة قلبه عندما رفض قتل شاول في المرة الأولى ولكن حــتى عندما أتيحت له فرصة ثانية رفض أن يمس شاول بأذى وتركه لكي يُحكَم عليه من قِــبَل الرب.

تــرى كــم من أشخاص اليوم لهم قلب مثل قلب داود؟ صحيح أننا لم نعد نقتل أحــد بسيوف أو رماح ولكننا لا نزال نقتل بعضنا البعض بسلاح آخر وهو سلاح اللسان .

فالكــتاب المقدس يقول "الموت والحياة في يد اللسان" (أمثال ١٨: ٢١). فكم مــن كــنائس تنقسم وعائلات تتفكك وزيجات تدمر ومحبة تموت وتتحطم كل هذا بســبب هجوم ضار بأسلحة الكلمات المندفعة من قلب مملوء بالجروح والمرارة. فمــا تعرضنا له من إساءة من أصدقائنا أو قادتنا أو عائلاتنا يجعلنا نندفع ضدهم بكلمات مليئة بالمرارة والغضب، وبالرغم من أن ما نقوله من معلومات عنهم قد يكــون صــحيحا ولكــن الدافع وراءه غير نقي. ففي أمثال ٦: ١٦ يقول الكتاب المقــدس أن زرع الخصومات والانقسام بين الأخوة هو مكرهة للرب، لذا عندما نــتفوه بكلمــات تؤدي إلى تحطيم العلاقات بين الأخوة أو تؤدي إلى تدمير سمعة أشخاص - حتى لو كان ما نقوله صحيح - فإن هذا يعتبر تحدي وإساءة للرب.

هل يمكن أن يستخدمني الرب لكي أفضح خطايا قائدي؟

لقد ظللت سبع سنوات كاملة أخدم كخادم متفرغ لرعاية الشباب قبل أن يطلقني الــرب أنا وزوجتي لنبدأ خدمتنا التي نحن فيها الآن. وحينما كنت راعي للشباب كــان أحد القادة في الكنيسة لا يحبني ولا يحب الرسالة التي كنت أعظ بها، فلقد كــان الرب يقودني حينذاك لكي أعلم الشباب عن القداسة والشجاعة في مواجهة الحق وكان إبن هذا الرجل من ضمن مجموعة الشباب الذين كانوا تحت رعايتي و ذات يوم تأثر ذلك الشاب كثيراً بالرسالة التي كنت أعظ بها حتى أنه جاءني باكياً ليقول لي أن الحياة التي يعيشها ويراها في أسرته بعيدة كل البعد عما كنت أعظه بــه هو وباقي زملائه من الشباب وكان هذا يزعجه كثيراً. ويبدو أن هذا الموقف وغــيره مــن المواقف المشابهة جعلت والد هذا الشاب يعزم على التخلص مني،

فكان يذهب إلى راعي الكنيسة ويحاول إثارة غضبه عليّ باتهامات باطلة ثم يعود إليّ لكي يخبرني كيف أن راعي الكنيسة منقلباً ضدي وأنه هو الوحيد الذي يدافع عني! فكان يقابلني بابتسامة وهو يعزم في قلبه أن يحطمني، حتى جاء وقت بدأ العديد من أعضاء اجتماع الشباب يرددون أنهم سمعوا أنني سوف أفصل من الكنيسة وكانوا يسمعون تلك الأخبار من إبن ذلك الرجل والذي كان ينقلها عن أبيه. فثار غضبي وزادت حيرتي فذهبت إلى ذلك الرجل وواجهته بما سمعته وبالفعل لم ينكر أنه قال هذا الكلام ولكنه ادعى أنه كان فقط يردد ما سمعه من راعي الكنيسة وأنه ليس له دخل في ذلك. ومرت شهور بعد ذلك دون أن أجد وسيلة أحسم بها هذا الوضع السخيف فلقد استطاع هذا الرجل أن يفسد العلاقة بيني وبين راعي الكنيسة وهو لم يفعل ذلك معي أنا وحدي ولكن مع أي خادم لم يحظى برضاه. وهكذا ظللت أنا وأسرتي تحت ضغط شديد إذ أننا لم نكن نعرف إن كنا سوف نبقى في هذه الكنيسة أم لا، فلقد كنا قد اشترينا منزلاً حديثاً وكانت زوجتي تنتظر مولوداً ولم يكن لدينا أي مكان آخر نذهب إليه كما أنني كنت أعلم في داخلي أن الرب هو الذي أرسلني إلى هذه الكنيسة بالتحديد ولهذا لم يكن لدي أية بدائل أخرى.

لقد قالت لي زوجتي يوماً وهي منهارة عصبياً: " أنا متأكدة أنهم سوف يفصلوك من الكنيسة، الجميع يقولون هذا!"، فأجبتها: "أنا لست عاملاً بالأجرة لديهم بل أنا أخدم الرب لهذا أنا أؤمن أنهم لن يستطيعوا أن يفصلوني دون إرادة الرب". ولكنها ظلت ترجوني أن أترك الكنيسة من نفسي وألا أهرب من مواجهة الموقف. وأخيراً جاءتنا أخبار عن أن قرار فصلي قد صدر وأن راعي الكنيسة قد أعلن على الملأ أن من المنتظر أن تحدث بعض التغييرات في اجتماع الشباب. وحتى تلك اللحظة لم أتمكن من مقابلة راعي الكنيسة ولم أكن قد شرحت له ما كان يحدث بيني وبين ذلك الرجل. وفي اليوم التالي كنت على موعد مع راعي

الكنيســة ومع ذلك الرجل ولكن تحدث الرب إليّ بوضوح ألا أحاول أن أدافع عن نفســي وبــالفعل ذهبــت في الصباح التالي إلى راعي الكنيسة في مكتبه ولكنني فوجئــت بــه بمفرده، وبعد أن جلست أمامه نظر إلي وقال: " جون، إن الرب هو الــذي أرسلك إلى هذه الكنيسة لهذا لا أستطيع أنا أن أخرجك منها " . كم شعرت بالراحة في تلك اللحظة فلقد أنقذني الرب في آخر وقت، ثم سألني راعي الكنيسة قــائلاً: " لمــاذا يطــاردك ذلك الرجل هكذا؟ أرجوك حاول أن تصلح العلاقة بينك وبينه".

ومــر وقت قصير بعد هذه المقابلة وذات يوم وقعت في يدي أوراقاً ومستندات تخــص بعــض القــرارات التــي أخذها ذلك الرجل في أمور الخدمة وكانت هذه المستندات تدينه وتكشف حقيقة نواياه الغير نقية، وأول ما بدر في ذهني وقتذاك أن أذهب بتلك المستندات إلى راعي الكنيسة على الفور، ولكنني شعرت بإحساس عميق بالانزعاج في داخلي فدخلت غرفتي وسجدت أمام الرب وأخذت أصلي لمدة ٤٥ دقــيقة كاملــة محاولاً أن أطرد هذا الشعور بالانزعاج من داخلي ولكن دون جــدوى. وظللــت أقول للرب: "يا رب إن هذا الرجل غير أمين وشرير ويجب أن يُكشــف، فهــو قــوة مدمــرة للخدمة ومن واجبي أن أكشف لراعي الكنيسة عن حقيقته!"

وظللــت أبــرر دوافعي للرب قائلاً: "إن كل ما سوف أقوله لراعي الكنيسة هو حقــائق مؤيــدة بمســتندات وليست افتراضات أو افتراءات. إن هذا الرجل لو لم يوقفه أحد فسوف تؤثر شروره على الكنيسة بأسرها!".

وفي النهاية تنهدت في إحباط قائلاً: "حسناً يا رب، أنت لا تريدني أن أفضحه، أليس كذلك؟"

وما لبثت أن خرجت تلك الكلمات من شفتي حتى غمرني سلام الرب العجيب وهنا تأكدت أن الرب لا يريدني أن أفعل شيئاً بهذه المستندات، فألقيتها بعيداً وأنا ممتلئاً دهشة وعجباً!

ولكن مع مرور الوقت أدركت أنني كنت في الواقع أريد أن أثأر لنفسي من هذا الرجل أكثر من رغبتي في أن أحمي أي شخص في الخدمة ومع ذلك كنت أحاول أن أقنع نفسي طوال الوقت أن دوافعي نقية وليست أنانية. حقاً كانت المعلومات التي عندي حقيقية ولكن دوافعي كانت غير نقية.

ومضى الوقت بعد ذلك حتى كان يوم كنت أصلي فيه في فناء الكنيسة قبل بدء موعد خدمتي وفجأة دخل ذلك الرجل من باب الكنيسة وهنا سمعت صوت الرب يطلب مني بإلحاح أن أتضع وأذهب إليه لأتصالح معه، وعلى الفور قاومت تلك الفكرة بشدة قائلاً للرب: "يا رب إنه هو الذي يجب أن يأتي إليّ إذ أنه هو الذي تسبب لي في كل هذه المشاكل!"، وحاولت أن أستكمل صلاتي ولكن ظل الرب يلح عليّ أن أذهب إلى الرجل في اتضاع وقد كنت متأكداً أن هذا هو صوت الرب لهذا أطعت وذهبت إلى الرجل في مكتبه ولكن الكلام الذي قلته له والطريقة التي تكلمت بها كانت ستختلف تماماً لو لم يكن الرب قد تعامل معي قبلا، فلقد تقدمت إليه في اتضاع شديد وطلبت منه أن يغفر لي لأنني كنت كثيراً ما أنقده وأحكم عليه واعترفت بخطأي في حقه. وفي الحال انفتح قلبه لي وجلسنا معاً نتحدث لمدة ساعة كاملة ومنذ ذلك اليوم توقف عن هجومه ومحاربته لي بالرغم من أن المشاكل ظلت مستمرة بينه وبين خدام آخرين. وبعد ستة أشهر بينما كنت أنا في خدمة خارج البلاد فُضِح أمر ذلك الرجل وانكشف كل ما كان يفعله من أخطاء أمام راعي الكنيسة ولم يكن الأمر يتعلق بي ولكن بأمور أخرى خاصة بالخدمة فلقد كان ما يفعله أسوأ بكثير مما كنت أعرفه وهكذا تم فصله من الخدمة بالكنيسة على الفور. لقد حُكِم عليه ولكن ليس من خلالي أنا فلقد وقع في الحفرة التي كان

يحاول أن يوقعني بها ولكن بالرغم من ذلك عندما عرفت بفصله لم أكن سعيداً بل علـى العكس شعرت بالحزن لأجله ولأجل أسرته فلقد كنت أعرف ما يشعرون به من ألم لأني قد جزت فيه بنفسي من قبل. ولأنني كنت قد غفرت له بالفعل عن كل ما فعله معي قبل ذلك بستة أشهر وجدت نفسي في تلك اللحظة أحبه ولا أتمنى أن يحـدث له أي شر ولكن لو كان قد تم فصله منذ سنة مضت وقتما كنت أنا حاقداً علـيه أعـتقد أننـي كنت سأفرح لما يحدث له. وأدركت حينذاك أنني قد تحررت بـالفعل مـن الجرح والمرارة وقد كان المفتاح الذي فتح لي باب هذا السجن هو الاتضـاع ورفضـي أن أثأر لنفسي. لقد رأيت ذلك الرجل مرة أخرى بعد سنة في المطـار فوجدت نفسي ممتلئاً بمحبة عجيبة من الرب له فركضت نحوه وعانقته وكم كنت سعيداً عندما أخبرني أن كل أموره على ما يرام. لو لم أكن قد ذهبت له متضعاً ذلك اليوم في الكنيسة وتصالحت معه لما كنت قادراً أن أرى وجهه في هذا الـيوم فـي المطـار. والآن مضت سنوات على آخر مرة قابلته وكل ما أشعر به نحوه هو محبة عميقة ورغبة صادقة في أن أراه دائماً في ملء مشيئة الله.

لقد كان داود حكيماً عندما اختار أن يترك الحكم والقضاء للرب. وقد تتساءل: تُـرى مـن الذي استخدمه الرب لكي يحكم على شاول خادمه؟ لقد استخدم الرب الفلسـطينيين لهـذه المهمة، فلقد مات شاول وأبناؤه وهم يحاربون الفلسطينيين ولكـن عـندما وصلت تلك الأخبار لداود لم يفرح بل على العكس بكى! فلقد جاءه رجلاً يزف له الخبر مفتخراً بأنه هو الذي قتل شاول ظناً منه أن هذا الخبر سوف يجعلـه يجـد نعمـة خاصة في عيني داود ولكنه فوجئ بأن الخبر كان له تأثير عكسـي تمامـاً فلقد فوجئ بداود يسأله: "كيف لم تخف أن تمد يدك لتهلك مسيح الرب؟ ثم أمر داود بقتل هذا الرجل" (صموئيل الثاني ١: ١٤ – ١٥).

لـيس هـذا فقط بل أن داود كتب قصيدة يرثي فيها شاول وطلب من كل سبط يهـوذا أن يتغـنوا بهـا إكراماً لشاول وأبنائه وأمرهم ألا يتغنوا بها في شوارع

الفلسطينيين لئلا يفرحوا بموته وطلب من الرب ألا يكون طل ولا مطر ولا حصاد فـــي الأرض التي قتل عليها شاول وطلب من كل شعب إسرائيل أن يبكوا وينوحوا علـــى شـــاول. إن هـــذا ليس قلب رجل مجروح أو معثر، أليس كذلك؟!! لو كان مجـــروحاً أو معثراً لقال: إنه نال ما يستحقه. لم يكتفي داود بكل هذا فهو لم يقتل من تبقى من بيت شاول بل على العكس كان كريماً معهم وأعطاهم أرضاً وطعاماً ومـــنح واحـــد من نسل شاول كرسي على مائدة الملك! هل هذا يبدو أنه شخص مجروح أو معثر؟!

فبالرغم من أن داود قد رُفِض ممن كان عليه أن يرعاه وأن يكون له أباً ولكنه ظـــل مخلصـــاً له حـــتى بعد موته. فما أسهل أن تكون مخلصاً لقائد أو أب يحبك ويرعاك ولكن هل تستطيع أن تكون مخلصاً لمن يسعى بكل جهده أن يدمرك؟! هل تخـــتار أن تكون شخصاً له قلب بحسب قلب الرب أم ستختار أن تثأر لنفسك ممن أساءوا إليك؟؟

الفصل الخامس

كيف يولد التشرد الروحي؟!!

من الحق أن ينتقم الرب لخدامه ولكن ليس من الحق ولا البر أن ينتقم خدام الرب لأنفسهم

"حاشا لي من قبل الرب أن أعمل هذا الأمر بسيدي مسيح الرب فأمد يدي إليه لأنه مسيح الرب هو. فوبخ داود رجاله بالكلام ولم يدعهم يقومون على شاول".

(صموئيل الأول ٢٤: ٦-٧)

في الفصل السابق رأينا كيف تعرض داود للإساءة والأذى من الرجل الذي كان يتطلع إليه كأب له وقد حاول داود أن يفهم ما الذي ارتكبه من خطأ جعل قلب شاول ينقلب ضده هكذا وحاول بكل الطرق أن يسترد ثقة شاول به بل أنه بالفعل أثبت إخلاصه وأمانته لشاول بإنقاذه حياة شاول والامتناع عن قتله بالرغم من محاولات شاول المستميتة للقضاء على حياة داود وصرخ لشاول ساجداً بوجهه على الأرض قائلاً: "انظر أنه ليس في يدي شر ولا جرم ولم أخطئ إليك"، ولقد ارتاح بال داود عندما استطاع أن يثبت لسيده كم هو مخلص وأمين له ولكن كان ذلك إلى حين فقد وصل إلى علم داود بعد ذلك أن شاول ما زال يصر على تدميره والقضاء على حياته ومع ذلك رفض داود أن يمد يده ويؤذي الرجل الذي يحاول بكل جهده أن يقضي عليه وبالرغم من أن الرب قد أسقط سباتاً عميقاً على كل الجيش وبالرغم من توسلات أبيشاي صاحبه لكي يسمح له بأن يقتل شاول ولكن يبدو أن داود كان يرى أن السبات الذي وقع على الجيش كان يهدف لشيء آخر غير قتل شاول، فقد كان يهدف إلى امتحان حقيقة ما في قلب داود. لقد كان الرب يريد أن يرى هل سيقدم داود على قتل شاول حتى يصل إلى العرش أم أنه سوف يترك الرب يضعه على العرش بالبر والعدل إلى الأبد.

"لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل أعطوا مكاناً للغضب لأنه مكتوب لي النقمة أنا أجازي يقول الرب" (رومية ١٢: ١٩). إنه من الحق أن ينتقم الرب لخدامه ولكنه ليس من الحق ولا البر أن ينتقم خدام الرب لأنفسهم. لقد انتقم شاول لنفسه فظل يطارد داود، الرجل البار، لمدة أربعة عشر عاماً كاملة وقتل الكهنة وعائلاتهم، أما داود فلقد واجه امتحاناً هاماً وهو يقف بجانب شاول وهو يغط بالنوم، امتحاناً يكشف إذا كان داود ما زال يملك قلب الراعي النقي الكريم أم قلباً يمتلئ بعدم الأمان والاندفاع مثل شاول.

هل سيبقى داود الرجل الذي بحسب قلب اللهِ؟

إنه أسهل كثيراً أن نندفع ونحاول حسم الأمور بأيدينا أكثر من أن ننتظر تدخل الرب في وقته. إن الرب يمتحن طاعة خدامه، فهو أحياناً يضعنا في مواقف صعبة حيث من السهل أن نجد لرد فعلنا فيها مبررات قوية ومقنعة على أساس مقاييس المجتمع وقوانين العالم، بل أنه أحياناً يسمح لآخرين خاصة القريبين منا أن يشجعونا على أن نحمي أنفسنا لدرجة أننا يمكن أن نرى انتقامنا لأنفسنا هو من الشجاعة والبطولة إذ أننا بهذا لا نحمي أنفسنا فحسب بل نحمي آخرين أيضاً ولكن مع الأسف ليست هذه طرق الرب ولا أفكاره، إنها طرق العالم وحكمته الأرضية الجسدية.

عندما أتذكر تلك الفرصة التي جاءتني لأفضح ذلك القائد الذي كان يرأسني أذكر كيف كانت تصارعني فكرة أنه إذا لم أكشف حقيقته فإنه سيكون لديه الفرصة لكي يؤذي آخرين وظللت أفكر قائلاً: "إنني فقط أكشف حقائق مختبئة، إذا لم أفعل هذا فكيف إذاً سيكون لشره نهاية؟!". وقد كان هناك كثيرون حولي يشجعونني أن أكشفه ولكنني اليوم أعلم يقيناً أن الرب قد سمح أن تقع تلك المعلومات عن ذلك الرجل في يدي لسبب واحد؛ هو أن يمتحنني. هل سأتصرف مثل ذلك الرجل الذي كان يحاول أن يحطمني أم أنني سأنتظر الرب لكي يحكم عليه إذا استمر في شره أو يرحمه إذا رجع عن شره وتاب.

كيف يمكن أن يستخدم الرب قادة فاسدين؟!

قد يسأل الكثيرون: لماذا يضع الرب الناس تحت قيادة قادة يرتكبون أخطاء فادحة تصل ببعضهم إلى حد الفساد؟!

لـو نظـرنا إلى طفولة صموئيل النبي (صموئيل الأول ٢-٥) سنجد أن الرب، وليس إبليس، هو الذي وضع ذلك الصبي الصغير تحت قيادة كاهن فاسد هو عالي الكاهـن وولديـه الشريرين حفني وفينحاس اللذان كانا هما أيضاً كهنة. لقد كان هـؤلاء الـرجال أشرار جداً فقد كانوا يأخذون الذبائح والتقدمات لأنفسهم بالقوة وكانوا يزنون مع النساء المجتمعات في باب خيمة الاجتماع. هل تتخيل نفسك لو أنـك تخدم تحت قيادة قائد يعيش بهذه الطريقة؟! قائد غير حساس بالمرة لأمور الروح لدرجة أنه لم يستطع أن يميز أن حنة كانت تصلي واتهمها بأنها ثملة! قائد سـلبي ويساوم في الحق لدرجة أنه لم يفعل شيئاً لولديه اللذين عينهما قادة على الشـعب بالـرغم من أنهم كانوا يزنون مع النساء داخل بيت الله! أغلب الظن أن كثـير من المؤمنين، إن لم يكن معظمهم، كانوا سيعثرون ويبدأون في البحث عن كنيسـة أخـرى لينتموا إليها شارحين للجميع الحياة الفاسدة التي يعيشها راعي كنيستهم والقادة مما اضطرهم للرحيل.

ولكن دعونا نتأمل ما هو مكتوب عن الصبي صموئيل الذي كان يحيا في وسط كل هذا الفساد:

"وكان الصبي صموئيل يخدم الرب أمام عالي" (صموئيل الأول ٣: ١).

ولكـن الفساد كان له جزاؤه: "وكانت كلمة الرب عزيزة في تلك الأيام. لم تكن رؤيـا كثـيراً" (صـموئيل الأول ٣: ١). لقد كان الرب بعيداً كل البعد عن شعب إسـرائيل بأكمله وكان سراج الرب على وشك أن ينطفئ في هيكل الرب ولكن هل بحـث صموئيل عن مكان آخر ليعبد فيه الرب؟ هل ذهب إلى جميع الناس يفضح فسـاد عالـي وأبـنائه؟ هل حاول أن ينهض الشعب لكي يعزل عالي وأبنائه من الكهنوت؟

لا، بـل ظل يخدم الرب أمام عالي! لقد وضع الرب صموئيل تحت قيادة عالي وأبـنائه لا لـيحكم عليهم بل ليخدمهم، فهو غير مسئول عن تصرفاتهم فلقد كان يعلـم جـيداً أن عالي هو خادم الرب والرب هو سيده وليس صموئيل لذا فالرب وحده هو الذي يملك حق الحكم على عالي، فليس دور الأبناء أن يقوّموا الآباء بل على العكس فالآباء هم الذين من واجبهم أن يدربوا ويصححوا الأبناء. فنحن من واجبنا أن نقوّم من وضعهم الرب تحت رعايتنا وقيادتنا لندربهم ونعلمهم فهذه هي مسئوليتنا أما هؤلاء الذين على نفس المستوى الروحي معنا فواجبنا تجاههم هو أن نشجعهم وننصحهم كأخوة وأخوات في الرب. ولكنني في هذا الفصل و الفصل السـابق أريـد أن أركّز على واجبنا نحو من هم في منصب أو سلطة أعلى منا. فصـموئيل كان يخدم عالي الرجل المعيّن من الرب على أفضل ما يكون دون أن يحكـم علـيه أو يحاول أن يقوّمه. المرة الوحيدة التي تكلم فيها صموئيل بكلمات تقويـم وتصحيح لعالي كانت حينما جاءه عالي وسأله عما قاله الرب له في الليلة الماضـية، وحتى في هذه المرة كانت كلمات التقويم هذه من الرب لعالي وليست مـن صموئيل. لو أدرك كل المؤمنين هذه الحقيقة وخضعوا لها لاختلفت الأوضاع في كنائسنا كثيراً.

الكنيسة ليست " كافيتيريا "!

هذه الأيام يسرع المؤمنون إلى ترك كنائسهم بمجرد ما يجدوا أن لا يرضيهم فـي قـادة ورعـاة الكنيسة، فقد لا يرضيهم الطريقة التي تنفق بها الأموال في الكنيسة أو قد لا يعجبهم ما يعظ به راعي الكنيسة، قد يرى البعض راعي الكنيسة مخطـئاً فـي أنه دائماً صعب الوصول إليه وقد يراه البعض الآخر مخطئاً في أنه يتبسـط مـع الجمـيع ... وهكـذا فالقائمة لا تنتهي، وبدلاً من مواجهة الصعاب والـتحديات والتمسـك بالـرجاء والإيمان يهربون سريعاً إلى مكان آخر ليس به

صراعات ولا تحديات. ولكن دعونا نواجه الحقيقة هنا: فيسوع هو الراعي الكامل الوحيد فلماذا إذاً نسرع إلى الهروب من التحديات بدلاً من مواجهتها والعمل على التغلب عليها؟ فعندما لا نواجهها دائماً ما نترك أماكننا مُعثرين ومجروحين ونظل نهرب من كنيسة إلى أخرى باحثين عن قادة ورعاة بلا عيوب أو أخطاء.

أذكـر أنني على مدى ١٤ عاماً كاملةً لم أنتمي لأكثر من كنيستين في ولايتين مختلفتيـن فـي أمـريكا بالـرغم مـن أن ما صادفته في كل كنيسة من مواقف ومواجهـات مع القادة كان يمكنها أن تجعلني أعثر وتدفعني للرحيل (أستطيع أن أدرك الآن أن معظـم تلك المواقف كانت بسبب أخطائي وعدم نضجي). لقد أتيحت لي الفرصة أكثر من مرة أن أنقد وأحكم على القادة والرعاة في الكنيسة لكي أبرر رحيلـي ولكني كنت أعلم أن الرحيل ليس هو الحل، فأثناء إحدى المواقف الصعبة التي مررت بها تحدث إليّ الرب قائلاً: "هذه هي الطريقة التي أريدك أن تترك بها أي كنيسـة تكـون منتمـياً لهـا: "لأنكـم بالفرح تخرجون وبسلام تحضرون" (أشعياء ٥٥: ١٢)".

ولكـن مـع الأسـف ليسـت هذه هي الطريقة التي يترك بها معظم المؤمنين كنائسـهم فهم يتعاملون مع الكنيسة كأنها "كافيتيريا" يمكنهم أن يختاروا ويأخذوا مـنها ما يريدون ولهم الحرية أن يبقوا بها طالما أنهم لا يواجهون أية مشاكل أو صـعاب، ولكن ليس هذا ما يعلمه الكتاب المقدس فلست أنت الذي تختار الكنيسة التي تنتمي لها إنما الرب هو الذي يختار لك. فالكتاب المقدس لم يقول: إن الله قد وضع الأعضاء كل واحد منها في الجسد كما أرادوا، بل قال: "وأما الآن فقد وضع الله الأعضـاء كـل واحـد مـنها فـي الجسـد كمـا أراد (كمـا أراد الله)" (كورونثوس الأولى ١٢: ١٨).

ويجب أن تعلم جيداً أنه إذا كنت بالفعل في المكان الذي يريدك الرب أن تكون فيه فسوف يحاول إبليس بكل جهده أن يعثرك لكي تخرج منه فهو يريد أن يقلع المؤمنين من الأرض التي غرسهم الرب فيها، فلو استطاع العدو أن يجعلك تخرج وتترك مكانك فقد جعلته ينجح في مهمته لكن لو ظللت ثابتاً في مكانك ولم تتزحزح رغم كل المواجهات والتحديات فبهذا أنت تفسد خطة العدو.

الخداع الخطير

لقد كنت أنتمي يوماً إلى إحدى الكنائس لسنوات عديدة وكان راعي تلك الكنيسة من أفضل الوعاظ في أمريكا كلها فكم من مرة كنت أجلسُ في الاجتماع مبهوراً بما يخرج من فمه من تعليم وإعلانات روحية عظيمة. ومرت سنوات وأصبحت أشغل منصباً في الكنيسة جعلني قريباً جداً من راعي الكنيسة وهذا أتاح لي الفرصة لأن أرى عن قرب الكثير من عيوبه وأخطائه، فكنت كثيراً ما أختلف معه في القرارات التي يتخذها فيما يخص الخدمة وهكذا بدأت أنقده وأنقد تصرفاته وبدأت أعثر، ومنذ ذلك الحين فوجئت بأنني لم أعد أستفيد شيئاً من وعظه وتعليمه بل أنني بدأت أجد وعظه مملاً وبلا أي مسحة أو تأثير.

وفي نفس الوقت بدأ صديقاً لي وزوجته واللذين كانا يخدمان في نفس الكنيسة أن يشعرا بنفس ما كنت أشعر به تجاه راعي الكنيسة وبعد وقت قصير أرسلهما الرب ليبدأوا خدمة خاصة بهما في مكان آخر وطلبا مني أنا وزوجتي أن نشاركهما في هذه الخدمة فلقد كانا يعلمان ما كنا نعانيه في كنيستنا لذا كانا يشجعانا على أن ننطلق في دعوة الله على حياتنا بعيداً عن كل هذه الصراعات بل كانا كثيراً ما يخبرانا بكل ما يفعله راعي كنيستنا وزوجته والقادة من أخطاء وكنا عادة نجتمع معاً لنتحدث في كل هذه الأمور ونحن ممتلئين بخيبة الأمل والإحباط. لقد بدا هاذين الزوجين مهتمين بالفعل بمصلحتي أنا وزوجتي ولكن في الواقع كان

كلامهمـــا يـــزيد مـــن اشتعال نار الغضب وعدم الرضا بداخلنا، فكما يقول الكتاب المقدس: "بعدم الحطب تنطفئ النار وحيث لا نمام يهدأ الخصام" (أمثال ٢٦: ٢٠). قـــد يكون ما كانا يقولانه من معلومات عن راعي الكنيسة صحيحاً ولكنه لم يكن صحيحاً في عينيّ الرب لأنه كان بمثابة الحطب الذي يلقى في النار ليزيد اشتعالها هكـــذا كـــان كلامهما يزيد من عثرتنا جميعاً. فأنا أذكر أنهما كانا يقولان لي: "إننا نعلـــم جيداً أنك رجل من رجال الله الممسوحين لذلك أنت تواجه كل هذه المشاكل فـــي كنيســـتك"، وأذكر أيضاً كم كان لهذا الكلام وقع جميل على أذنيّ حتى وجدت نفسي ذات يوم أنا وزوجتي نقول لبعضنا البعض: "هذا يكفي ...! لقد ضقنا ذرعاً بمـــا نعانيه في هذه الكنيسة وحان الوقت لكي نخرج منها ونشكر الرب أن هذين الصـــديقين يحبانـنا وسوف يرحبان بنا في كنيستهما". وهكذا تركنا الكنيسة وبدأنا نخدم في كنيسة صديقينا ولكن لم يستمر الحال طويلاً فبالرغم من أننا اعتقدنا أننا هربنا من المشاكل والصراعات إلا أننا اكتشفنا أن الصراع لا يزال في داخلنا لهذا لـــم نشعر بأي فرح أو سلام في أرواحنا ووجدنا أنفسنا في حرب مع الخوف من أن نواجـــه نفس التحديات والمشاكل التي هربنا منها مرة أخرى وبدأنا نشعر أن كل ما نفعله في الكنيسة الجديدة مفتعلاً وغير حقيقي وأدركنا أن الروح القدس قد انطفـــأ فـــي داخلـــنا، حتى علاقتنا بصديقينا راعي الكنيسة الجديدة وزوجته بدأت تســـوء. وفـــي النهاية أدركت أننا أخطأنا في تركنا لكنيستنا وأننا يجب أن نعود، فقررنا العودة ومنذ لحظة رجوعنا إلى كنيستنا شعرنا أننا رجعنا إلى حيث مشيئة الـــرب لحياتنا حتى لو كان يبدو لنا أننا سنكون محبوبين ومقبولين أكثر في مكان آخر. وهنا فاجأني الرب قائلاً: "جون، أنا لم أطلب منك أبداً أن تترك هذه الكنيسة، ولكـــنك تركتها لأنك أُعثرت". لذا لم يكن هذا خطأ راعي الكنيسة والقادة إنما هو خطؤنا نحن، فلقد خرجنا خارج مشيئة الرب.

عـندما تخـرج خـارج مشـيئة الرب لك تصبح غير نافع لأي كنيسة أو لأي شـخص. عندما تخرج خارج مشيئة الرب، فحتى العلاقات الطيبة التي تحظى بها سوف تسوء.

عندما تجرح أو تعثر فعادة ما يدفعك رد فعلك لأن تفعل أشياء قد تبدو صحيحة ولكـنها ليسـت بحسب مشيئة الرب، ولكن الرب لم يدعونا لكي تكون تصرفاتنا ردود أفعـال بل أفعال. إذا كنت خاضعاً للرب وتبغي طاعته وسألته عما يجب أن تفعلـه تجاه أمر ما في حياتك ولكن الرب لم يعطيك إجابة، فهل تعرف ماذا يعنى هـذا؟ إنـه يعني أن الرب يقول لك: "ابق حيث أنت لا تغيّر شيئاً ولا تفعل شيئاً". فنحـن فـي وسـط الصراعات والضغوط دائماً ما نبحث عن كلمة من الرب لكي تريحنا ولكن يجب أن تعلم أن الرب كثيراً ما يسمح بهذه الضغوط والمواقف الغير مريحة في حياتك لا لكي يدمرك ويتعبك، ولكن لكي ينقيك وينضجك.

وهكذا خلال شهر واحد بعد رجوعي للكنيسة أتيحت لي الفرصة لكي أتقابل مع راعي الكنيسة وحينئذ اعترفت له بتمردي وعصياني وطلبت منه أن يغفر لي ولقد كـان كـريماً وسامحني وعادت علاقتنا قوية وعاد الفرح والسلام مرة أخرى إلى قلبـي بـل أنـه منذ ذلك الحين بدأت مرة أخرى أستمتع وأستفيد جداً من عظاته وتعليمه وظللت أخدم في هذه الكنيسة لسنوات عديدة بعد ذلك.

المغروس يزهر

يقـول الكتاب المقدس في مزمور ٩٢: ١٣ "مغروسين في بيت الرب في ديار إلهنا يزهرون".

لاحظ أن الذين يزهرون هم المغروسين في بيت الرب. ما الذي يحدث لنبات لو أنك ظللت تنقله من تربة إلى أخرى كل ثلاثة أسابيع؟ بالطبع سوف تضعف جذوره

وبالتالي لن يزهر ولن يأتي بثمر، وإذا استمر في تنقله هذا فحتماً سوف يموت. مع الأسف هذا ما يفعله الكثير من المؤمنين هذه الأيام فهم يتنقلون من كنيسة إلى أخرى ومن خدمة إلى أخرى على أمل أن ينطلقوا في دعوتهم، فإذا وضعهم الرب في مكان ولكنهم لم يجدوا فيه التشجيع الكافي، أو إذا وجدوا أنفسهم غير راضين عن الطريقة التي تسير بها الأمور في الكنيسة فسريعاً ما يعثرون ويرحلون ملقين كل اللوم على القادة. ولكن هؤلاء يظلوا غير مبصرين لما في شخصياتهم من عيوب وأخطاء وغير مدركين أن الرب يريد أن ينقيهم وينضجهم من خلال ما يواجهونه من تحديات وضغوط.

فلنتعلم من المثال الذي أعطاه لنا الرب في النباتات والأشجار، فعندما تغرس شجرة في الأرض فإنها تواجه الكثير من الرياح والعواصف والشمس المحرقة. أتصور أنه لو كان بإمكان الشجرة أن تتكلم لكانت صرخت قائلة: أخرجوني من هذه الظروف الجوية الصعبة! لكن في الواقع تلك الظروف الصعبة تضطر الشجرة لأن تمد جذورها إلى عمق الأرض لكي تجد مصدراً آخر للحياة وهذا يزيد من صلابتها وثباتها. نعم فالظروف الجوية الصعبة التي تواجهها الشجرة تصبح في النهاية سبب صلابة الشجرة وقوتها التي تجعلها بعد ذلك قادرة على مواجهة أصعب الظروف فلا تستطيع أقسى العواصف وأشدها أن تؤثر على ثبات الشجرة ولا على إثمارها.

وهكذا نحن أيضاً إذا لم نهرب سريعاً من مواجهة التحديات الروحية التي نواجهها فإن هذا سوف يجعل جذورنا تمتد وتقوى ويكثر ثمرنا ويفيض ليسر قلب الآب ويغذي شعبه. سوف نصبح أشجاراً ناضجة مثمرة تفرح قلب الرب بدلاً من كوننا أشجار بلا ثمر تستحق أن تُقطع وتُقلع (لوقا ١٣: ٦ – ٩). لذا يجب علينا ألا نقاوم ما يفعله الرب في حياتنا لكي ينضجنا.

لقـــد وصف داود في المزامير بوحي الروح القدس العلاقة بين كل من العثرات وناموس الرب والنمو الروحي. ففي مزمور ١: ١ - ٢ يقول: "طوبى للرجل ... ... في ناموس الرب مسرته وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً".

ثـــم وصف من يحبون ناموس الرب وشريعته في مزمور ١١٩: ١٦٥ قائلاً: "سلامة جزيلة لمحبي شريعتك وليس لهم معثرة (nothing shall offend them".

ثم وضح في مزمور ١: ٣ مصير مثل هؤلاء الأشخاص قائلاً: "فيكون كشجرة مغروســـة عند مجاري المياه التي تعطي ثمرها في أوانه وورقها لا يذبل وكل ما يصنعه ينجح".

معـــنى هـــذا أن المؤمـــن الذي يسر بناموس الرب ويلهج فيه حتى في وسط الأزمـــات والـــتحديات ســـوف ينتصر على العثرات (لن يكون له معثرة) وبالتالي سيصـــبح كشـــجرة مغروسة تمد جذورها إلى العمق حيث بئر مياه الروح القدس الـــذي يمـــنحها القوة والغذاء، سوف يشرب من مياه الرب العميقة فينمو وينضج فتصبح الصعاب والتحديات سبباً لازدياد القوة والثمر. هللـــويـــا!!

والآن نســـتطيع أن نفهم ما يقصده الرب يسوع في تفسيره لمثل الزارع عندما قال:

"وهؤلاء كذلك هم الذين زرعوا على الأماكن المحجرة الذين حينما يسمعون الكلمة يقـــبلونها للوقت بفرح ولكن ليس لهم أصل في ذواتهم بل هم إلى حين. فبعد ذلك إذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فللوقت يعثرون" (مرقس ٤: ١٦ - ١٧)

إذا تركـــت مكـــانك الـــذي اختاره الرب لك ستضعف جذورك وستصبح هشاً لا تســـتطيع أن تصـــمد أمام أقل التحديات لأنك لم تحرص على أن تمد جذورك إلى

العمـق وهكذا تجد نفسك بلا قوة ولا احتمال أمام المشقات ومن هنا يولد التشرد الروحـي فيصـبح الشخص شريداً هائماً من مكان إلى آخر غير واثق في كل من حولـه خائفـاً من أن يسيئوا إليه أو يجرحوه وبالتالي يصبح عاجزاً عن أن ينتج ثمراً حقيقياً في حياته الروحية ويظل يصارع في حياة محصورة في ذاته.

لننظر معاً إلى قصة قايين وهابيل. لقد قدم قايين من أثمار الأرض قرباناً للرب أي أنه قدم من أعمال يديه ونتاج تعبه ومجهوده فقد كانت تلك الأثمار هي نتيجة الكثير من الحرث والغرس والسقي والكثير من المجهود ولكن تلك التقدمة لم تكن تمـثل طاعته للرب، فلقد كانت تمثل العبادة المعتمدة على القوة الذاتية والمجهود وليس على نعمة الله. أما هابيل فلقد قدم للرب قربان الطاعة، قدم من أبكار غنمه ومـن سـمانها. لم يتعب ولم يبذل مجهوداً لكي ينتجها ولكنها كانت غالية الثمن عـنده. ولابد وأن كل من قايين وهابيل كان قد سمع كيف أن والديهما آدم وحواء كانـا قد حاولا قبلاً أن يغطيا أنفسهما بأوراق التين والتي كانت ترمز إلى الأعمال التـي يحاول الإنسان أن يغطي بها خطاياه، وكيف أن الرب قد أعلن عن التقدمة الوحيدة المقبولة لديه بأن غطى آدم وحواء بجلد حيوان برئ. لقد كان آدم وحواء يجهـلان أن ما اختاراه لكي يغطيا به أنفسهما هو تقدمة مرفوضة في عينيّ الرب ولكـن الرب أراهما الطريق الصحيح لذا لم يعودا الآن في جهل وبالتالي أبنائهما أيضـاً، ومع ذلك حاول قايين أن يكسب رضى الرب بطريقة ليست بحسب مشيئة الله وقـد أجابه الرب على ذلك وجعله يدرك أنه يقبل فقط كل من يأتي إليه متكلاً علـى النعمة (ذبيحة هابيل) ويرفض كل من يأتي إليه متكلاً على أعماله ومعرفته بالخـير والشر (ذبيحة قايين = أعمال التدين). ثم قال الرب لقايين أنه إن أحسن وأطـاع فسوف يُقبل ولكن إن لم يَفعل فالخطية سوف تملك عليه وتسوده. ولكن قاييـن أُعـثر فـي الرب فبدلاً من أن يتوب ويصحح ما فعله ويتعلم الدرس لكي يتقوى ويتشدد، اختار أن يصب غضبه وسخطه على أخيه هابيل فقتله. وهنا قال

الرب لقايين: "فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك. متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها. تائهاً وهارباً تكون في الأرض" (تكوين ٤: ١١ - ١٢).

الأمر الذي كان يخشاه قايين وهو أن يُرفض من الرب قد تسبب فيه بنفسه فوقع تحت قضاء الرب، فالدم الذي سفكه كان سبباً في لعنة جاءت عليه وعلى الأرض التي كان يحاول جاهداً أن تنال رضى الرب وبركته فأصبحت لا تعطي قوتها له وحُكِم عليه أن يعيش بقية عمره يبذل الكثير من الجهد والعرق لكي يرى الثمر.

وهكذا يكون الحال مع كل مؤمن يستسلم للجروح والعثرات فهو يقضي بنفسه على قدرته على الإثمار. فلقد شبه يسوع قلب الإنسان بالأرض في مثل الزارع، فكما أن أرض قايين وحقوله أصبحت عاقر وبلا ثمر فإن قلب الشخص الذي يستسلم للجروح والعثرات يصبح أيضاً عاقر بلا ثمر ملوّث بالمرارة والحقد.

قد يظل ذلك الشخص يختبر المعجزات ويتمتع بما لديه من مواهب للوعظ والتعليم أو الشفاء أو كلام العلم وغيرها ولكن هذه كلها مواهب الروح القدس وليست ثماره. فالمواهب تعطى وتمنح أما الثمار فتحرَث، والرب سوف يحكم علينا بناء على الثمر وليس المواهب.

لقد قال الرب أن قايين سيكون تائهاً وهارباً نتيجة لأفعاله واليوم يوجد الكثير من التيه والهروب الروحي في كنائسنا، فهناك الكثيرون يهربون من كنيسة إلى أخرى حاملين معهم جروحهم ومرارتهم، هم تائهين يبحثون عن المكان الكامل الذي يقدّر مواهبهم ويشفي جراحهم. فكم من أشخاص يعانون من إحساس مستمر بالاضطهاد والظلم وينظرون إلى أنفسهم كأنهم أرميا النبي في العصر الحديث، فالجميع ضدهم والجميع يحاربونهم ولم يبقى معهم غير الرب، وهكذا

يصــبحون غــير قابليــن للتعليم والتقويم من أحد. إنهم يعانون بما أسميه "عقدة الاضطهاد"، فهم يعزّون أنفسهم باعتقادهم أنهم مثل الأنبياء والشهداء الذين عانوا من الاضطهاد والظلم فيمتلئون بالشك من جهة كل من حولهم. هذا بالضبط هو ما حدث مع قايين إذ قال:

"أكون تائهاً وهارباً في الأرض فيكون كل من وجدني يقتلني" (تكوين ٤: ١٤). لقد كان قايين يعاني من "عقدة الاضطهاد" لذا فكان يظن أن كل من وجده سيحاول قــتله. والــيوم يوجد الكثيرون الذين سقطوا في فخ العثرات والجروح يظنون أن الكل ضدهم وأن لا أحد يفهمهم وطالما هم يفكرون بهذه الطريقة فمن الصعب جداً أن يبصــروا المــناطق فــي حياتهم التي تحتاج إلى تغيير، فهم يعزلون أنفسهم بطــريقة تجعلهــم عرضة للأذى والخداع، "المعتزل يطلب شهوته . بكل مشورة يغتاظ" (أمثال ١٨: ١).

لــم يخلقنا الرب لكي نحيا منعزلين ومنفصلين عن بعضنا البعض فالرب يفرح عندما يرى أولاده يهتمون بعضهم ببعض ويحزن جداً عندما يجدنا منعزلين نشفق علــى أنفسنا ونلقي مسئولية ما نحن فيه من تعاسة على كل من حولنا. إن الرب يــريدنا أن نحــيا حياتــنا لنحقق مشيئته وأن يكون كل واحد منا عضو فعّال في الجسد ولكن الشخص المنعزل يطلب شهوته أي يعيش ليحقق مشيئة نفسه وليس مشــيئة الــرب ويصــبح رافضاً لكل مشورة أو نصح وبذلك يكون فريسة سهلة للخداع.

أنــا لا أقصــد هــنا هؤلاء الذين يدعوهم الرب للاعتكاف فترة من الزمن لكي يــتعامل معهــم ويعدّهم وينعشهم إنما أقصد هؤلاء الذين سجنوا أنفسهم بأنفسهم هائمين على وجوههم من كنيسة إلى أخرى ومن علاقة إلى أخرى عازلين أنفسهم داخــل عــالم خــاص بهــم وحدهم معتقدين أن كل من لا يتفق معهم هو ضدهم

ويظنون أنهم في أمان في عزلتهم داخل عالم أعدوه لأنفسهم ويسيطرون على كل شـــئ فيه ويتجنبون باختيارهم مواجهة عيوبهم ونقاط الضعف فيهم فهم يختارون الهـــروب مـــن المواجهـــة وبالتالـــي يفقدون الفرصة للتغيير والنضوج والنمو، يفقدونـها في نفس اللحظة التي يسقطون فيها في فخ العثرات والجروح والمرارة.

الفصل السادس

الهروب من الحقيقة

استسلامك لفخ العثرات والجروح يمنعك من رؤية عيوبك وأخطائك لأنك تلقي كل اللوم على غيرك

"تعلمن في كل حين ولا يستطعن أن يقبلن إلى معرفة الحق أبداً"

(تيموثاوس الثانية ٣: ٧)

كثيرون يسألونني هذا السؤال: متى يجب أن أترك كنيسة أو فريق خدمة أنتمي إليه؟

ودائماً أجيبهم بسؤال: من الذي أرسلك إلى هذه الكنيسة أو فريق الخدمة؟

وعادة ما تكون الإجابة: إن الرب هو الذي أرسلني، فأجيبهم: لو أن الرب هو الذي أرسلك فلا ترحل إلا إذا أطلقك الرب. لو كنت قد سألت الرب ولكنه لم يجيبك فهذا معناه أنه يقول لك: لا تغيّر شيء، لا ترحل ولا تترك المكان الذي أرسلتك إليه.

عندما يطلب منك الرب أن ترحل فستجد نفسك ترحل في سلام مهما كانت حالة الخدمة أو المكان الذي تتركه "لأنكم بفرح تخرجون وبسلام تحضرون" (أشعياء ٥٥: ١٢). سيكون رحيلك ليس نتيجة عثرة من سلوك أو تصرفات أشخاص ولكن سيكون بحسب قيادة الروح القدس لك، فتركك لخدمة ما لا يجب أن يعتمد على سوء الأحوال فيها فرحيلك وأنت تحمل بداخلك إدانة أو عثرة من آخرين ليس في خطة الرب لك بل أن هذا يكون مجرد رد فعل وليس فعل أساسه الخضوع لقيادة الرب لحياتك. في رومية ٨: ١٤ يقول: "لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله"، لاحظ أنه لم يقل هنا أن كل الذين يتصرفون كرد فعل للظروف السيئة أولئك هم أبناء الله!

عادة في كل مرة تذكر كلمة "إبن" في العهد الجديد فهي تكون في الأصل إحدى كلمتين في اللغة اليونانية، إما كلمة (تيكنون teknon) أو كلمة (هيوس huios).

التعريف الدقيق لكلمة (تيكنون teknon) هو: البنوة التي بحسب الميلاد فقط. فعندما ولد ابني الأول "أديسون" أصبح إبن لجون بيفير بناء على حقيقة واحدة وهي أنه ولد من زوجتي ومني. وهو في سن حديثي الولادة لم يكن أي شخص يستطيع أن يميز أنه ابني من خلال شكله أو شخصيته حتى أصدقائنا وعائلاتنا لم يستطيعوا التعرف عليه إلا من خلال الإسورة البلاستيك المدوّن عليها اسمه التي كانت ملفوفة حول معصمه، فلم يكن لأديسون أي شئ آخر يميزه عن باقي الأطفال حديثي الولادة. في هذه الحالة أديسون كان يعتبر (تيكنون teknon) لجون بيفير وليزا بيفير.

في العهد الجديد نجد كلمة (تيكنون teknon) مستخدمة في رومية ٨: ١٥ – ١٦ حيث يقول "... بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا آبا الآب، الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله (تيكنون teknon)".

عندما يقبل أي شخص يسوع المسيح كمخلص ورب له يصبح إبن لله (تيكنون teknon) بناء على حقيقة واحدة وهي اختبار الولادة الجديدة بالروح القدس، "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله (تيكنون teknon) أي المؤمنون باسمه الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله" (يوحنا ١: ١٢).

أما الكلمة الثانية في اللغة اليونانية التي تترجم إلى كلمة "إبن" في العهد الجديد هي (هيوس huios) وتعريفها هو: شخص يميَّز كابن بسبب ما يحمله من صفات مشابهة للأب والأم.

عـــندما كـــبر ابني أديسون بدأ يشبه أبيه في الكثير من التصرفات وأيضاً في الشـــكل والملامـــح. فعندما بلغ أديسون السادسة من عمره سافرت أنا وليزا إلى الخارج واضطررنا لأن نتركه مع والديّ وعندما عدنا قالت أمي لليزا أن أديسون هـــو "صورة بالكربون" من أبيه فشخصيته كانت مشابهة تماماً لشخصيتي في هذه الســـن، وكلمـــا كبر أديسون في السن كلما زاد الشبه بينه وبيني حتى وصل الآن إلـــى سن يستطيع كل من يراه أن يميز أنه إبن جون بيفير من أول نظرة. لم يعد إبنـــي فقـــط بناءً على حقيقة الميلاد ولكنه ابني أيضاً لأنه يشبه أبيه في السلوك وفي الملامح.

ببساطة كلمة (تيكنون teknon) تعني "أطفال أو أبناء غير ناضجين"، أما كلمة (هيوس huios) فهي تعني "أبناء ناضجين" **.

كلمـــة (هـــيوس huios) هي الكلمة المستخدمة في رومية ٨: ١٤ "لأن الذين يـــنقادون بـــروح الله فأولئك هم أبناء الله (هيوس huios)". ومن هنا يتضح أن الأبـــناء الناضجين فقط هم الذين ينقادون بروح الله أما المؤمنون الغير ناضجين فـــنادراً ما يتبعون قيادة الروح القدس بل هم عادة ما يتفاعلون مع المواقف التي تواجههـــم بالمشـــاعر وردود الأفعال الطبيعية، فهم لم يتعلموا بعد كيف يجب أن يسلكوا فقط بناء على قيادة الروح القدس لهم.

كلما نما ابني أديسون وكبر كلما نضجت شخصيته وتطور سلوكه وعلى قدر ما ينمو في النضج على قدر ما تزيد المسئولية التي أستطيع أن أستأمنه عليها وأثق أنه سوف يتحملها على أكمل وجه. من الخطأ أن يبقى أديسون طويلاً في مرحلة عدم النضج، كما أنه ليست في مشيئة الرب أن نبقى أطفالاً غير ناضجين.

** استخدم يسوع كلمة إبن (هيوس huios) في متى ٥: ٩، ٤٤-٤٥

مـــن إحدى الوسائل الهامة التي ساعدت أديسون على نضوج شخصيته هي ما كـــان يواجهـــه مـــن مواقف وظروف صعبة. أذكر أنه عندما بدأ في الذهاب إلى المدرسة واجه بعض المواقف الحرجة مع زملائه وقد سمعت بعض الأشياء التي كـــان يفعلها معه هؤلاء الأطفال الأشقياء وسمعت ما كانوا يقولونه له وأردت من كل قلبي أن أذهب إليهم وأحسم هذه المشكلة ولكنني وجدت أن مثل هذا التصرف لـــيس هـــو التصرف الصحيح إذ أن تدخلي بهذا الشكل كان سيعوق نمو ونضوج شخصية أديسون. لذا ظللت أنا وزوجتي نسدي له النصيحة والمشورة في المنزل ونعدّه لمواجهة المضايقات التي يقابلها في المدرسة ولقد رأينا كيف أن شخصيته كانـــت تـــنمو وتنضج من خلال طاعته لمشورتنا في وسط ما كان يعاني منه من صـــعاب ومشـــاكل، وهذا بالضبط ما يفعله الرب معنا. فالكتاب المقدس يقول عن يسوع: "مع كونه ابناً (هيوس huios) تعلَّم الطاعة مما تألم به" (عبرانيين ٥: ٨).

إن الـــنمو الجســـدي يحدث بمرور الوقت، فلا يمكن أن تجد طفلاً عمره سنتان وطولـــه ٦ أقدام، والنمو العقلي يحدث من خلال التعلـــم، أما النمو الروحي فهو يحـــدث من خلال الأمران معاً ؛ الوقت والتعلـــم بالإضافة إلى الطاعة والخضوع. والآن انظر إلى ما يقوله الرسول بطرس:

"فـــإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد، تسلحوا أنتم أيضاً بهذه النية فإن من تألم فـــي الجســـد كف عن الخطية" (بطرس الأولى ٤: ١). إن الشخص الذي كف عن الخطـــية هـــو بالحقـــيقة ابن خاضع للرب وهو شخص ناضج يختار أن يسير في طـــريق الرب وليس طريقه هو. وكما أن يسوع تعلـــم الطاعة فيما تألم به كذلك نحـــن أيضاً نتعلم الطاعة من خلال ما نواجهه من ظروف صعبة وتحديات، فعندما نخـــتار أن نطيع كلمة الرب التي يعلنها لنا الروح القدس في وسط ما نعانيه من صـــراعات وآلام فإننا ننمو وننضج. إن المفتاح للنضوج ليس ما نعرفه من آيات الكتاب المقدس بل هو طاعتنا الكاملة للرب. ومن هنا نفهم لماذا نجد الكثيرين في

كنائسـنا وهـم مؤمـنون من عشرات السنين ويحفظون الكثير من آيات الكتاب المقـدس وقـد حضروا مئات الاجتماعات والمؤتمرات الروحية وقرأوا العديد من الكتـب الروحية ومع كل ذلك هم ما زالوا أطفالاً روحيين! ففي كل مرة يواجهون موقفـاً صـعباً، فـبدلاً من أن يتفاعلوا معه بحسب قيادة روح الرب لهم نجدهم يسـعون إلـى حمايـة أنفسـهم بطرقهم الخاصة. فهم، كما قال بولس الرسول، يـتعلمون فـي كـل حين ولا يستطيعون أن يقبلوا إلى معرفة الحق أبداً (رسالة تـيموثاوس الثانية ٣: ٧). إنهم لا يستطيعون أن يقبلوا إلى معرفة الحق لأنهم لا يطـبقون الحق ولا يعيشونه. فلكي ننمو وننضج يجب أن نُخضِع حياتنا وسلوكنا إلـى طـريق الحق فلا يكفي أن نعرف الحق ونقبله بأذهاننا فقط دون أن نطيعه ونطـبقه، فعـدم طاعتـنا يجعلـنا نتوقف عن النمو برغم استمرارنا في التعلّم والمعرفة.

حماية الذات

إن الجروح والتعرض للإساءة هى من الأعذار المتكررة التي كثيراً ما نبرر بها محاولاتنا لحماية ذواتنا من خلال عدم الطاعة. فاستسلامنا للجروح والمرارة يولد بداخلـنا إحساس خادع بضرورة حفظ ذواتنا وحماية أنفسنا ويمنعنا من أن ندرك مـا فـي داخلنا من أخطاء وعيوب لأننا دائماً نلقي باللوم على الآخرين. فأنت لا تواجه ما فيك من عدم نضج وأخطاء لأنك دائماً ترى الخطأ في الذين أساءوا إليك وبهـذا تعـوق مـا يـريد الرب أن يفعله من تغيير وتطور لشخصيتك من خلال المواقـف الصـعبة التـي تمـر بها. فالشخص الذي يستسلم للجروح والشعور بالإسـاءة عـادة ما يختار أن يهرب من مواجهة مصدر الإساءة وبهذا يولد في داخله التشرد والتيه الروحي.

منذ وقت قريب حدثتني إحدى السيدات عن صديقة لها كانت قد تركت كنيستها وبدأت تخدم في كنيسة أخرى. وفي يوم دعت تلك السيدة راعي الكنيسة الجديدة وزوجته إلى بيتها للعشاء وفي أثناء ذلك سألها راعي الكنيسة عن سبب تركها لكنيستها فبدأت تلك السيدة في مشاركته بكل ما كانت تعانيه من مشاكل وصراعات مع قادة كنيستها السابقة، وقد استمع إليها راعي الكنيسة باهتمام ثم حاول تهدئتها ومواساتها.

لكنني لو كنت مكان راعي الكنيسة أعتقد أنني كنت سأشجع تلك السيدة من خلال كلمة الله أن تواجه ما بداخلها من جروح ومرارة وترفض ما تشعر به من اتجاهات النقد والحكم على قادتها السابقين بل أنني كنت سأشجعها على أن تعود إلى كنيستها السابقة حتى يطلقها الرب بسلام. فعندما يطلقك الرب بسلام لن تجد نفسك مدفوع لكي تبرر رحيلك للآخرين ولن تجد نفسك تحت ضغط نفسي يجعلك تنقد الآخرين وتفضح ما كان في كنيستك من أخطاء وعيوب. وأنا واثق أنه مع مرور الوقت سوف تتعامل تلك السيدة مع راعي الكنيسة الجديدة وقادتها بنفس الطريقة التي تعاملت بها قبلاً في كنيستها السابقة. فعندما نحتفظ بالجروح والمرارة في داخل قلوبنا فإننا نتعامل مع كل الأمور بعد ذلك من خلال تلك المرارة.

هناك مثل قديم ينطبق تماماً على ما أريد أن أقوله هنا. يحكى أنه في قديم الأيام عندما بدأ المستوطنون الأمريكيون في الهجرة من الشرق إلى الغرب الأمريكي، وقف رجل حكيم على رأس مدخل إحدى المدن في الغرب فكان هو أول من يقابله المستوطنون وهم في طريقهم إلى الغرب. وفي أثناء وقوفه هناك مرّ به مجموعة من المستوطنين وسألوه باهتمام قائلين: "ما طبيعة الناس الذين يعيشون في هذه المدينة؟"

فأجابهم قائلاً: "ما طبيعة الناس الذين يعيشون في المدينة التي كنتم ساكنين فيها؟"، فأجـابوه: "إن الـناس فـي المدينة التي أتينا منها أشرار جداً، فهم نمامون وسليطي اللسـان ويسـتغلون الأبرياء. إنها مدينة ممتلئة باللصوص والكذابين". فأجابهم الرجل الحكـيم: "حسـناً، الـناس في هذه المدينة يشبهون تماماً الناس في المدينة التي أتيتم مـنها"، وهـنا شكر المستوطنون الرجل لأنه وفـّر عليهم الوقت والجهد في مواجهة نفس المتاعب التي هربوا منها ثم تركوه وقرروا أن يبحثوا عن مدينة أخرى.

وبعـد قلـيل جاءه مجموعة أخرى من المستوطنين سألوه نفس السؤال: "ما طبـيعة الناس الذين يعيشون في هذه المدينة؟"، فأجابهم أيضاً بسؤال: "ما طبيعة الناس الذين يعيشون في المدينة التي كنتم ساكنين فيها؟"

فأجـابوه قائلـين: "إنها مدينة رائعة وسكانها رائعون، لنا فيها أصدقاء أعزاء فكل من فيها يهتم بمن حوله فلم يعوزنا شئ فيها لأن كل شئ كان بيننا مشتركاً. لقـد كان من الصعب علينا أن نرحل ولكننا اضطررنا لذلك لكي نفتح الطريق أمام الأجـيال القادمة". وهنا أجابهم الرجل الحكيم: "إن هذه المدينة تشبه تماماً المدينة التي أتيتم منها". ففرح المستوطنون وقالوا: "إذاً دعونا نسكن ها هنا".

لقـد كان الرجل الحكيم يعرف أنهم سوف ينظرون إلى علاقاتهم في المستقبل بـنفس المـنظار الذي ينظرون منه إلى علاقاتهم في الماضي. وهكذا أنت أيضاً، فالطريقة التي ستترك بها كنيسة أو علاقة هي نفس الطريقة التي ستدخل بها إلى كنيسة أو علاقة جديدة، فإذا خرجت وقلبك مملوء بالغضب والمرارة فسوف تحمل تلـك المشاعر معك إلى الكنيسة أو العلاقة الجديدة التي ستدخل فيها في المستقبل وسـتجد أنه من السهل جداً أن تعيد ترك تلك الكنيسة أو العلاقة الجديدة مع أول مشـكلة أو تحدّي. إن الدراسات الإحصائية تثبت أن ٦٠ - ٦٥% من الأشخاص المطلقيـن (سـواء رجـال أو نساء) ينتهي بهم الأمر إلى الطلاق مرة أخرى في

زيجـــاتهم الجديــــدة. فالأسلوب الذي يترك به شخص زواجه الأول هو الذي يحدد مصـــير زواجـــه الثاني، فعدم الغفران الذي يحمله بداخله ضد شريك حياته الأول ســـوف يعـــوق مستقبله مع شريك حياته الثاني وإصراره على أن يلقي بكل اللوم علـــى الطرف الآخر يعمي عينيه عن رؤية مسئوليته هو وعيوب شخصيته ومما يزيد الأمر سوءاً هو أن هذا يجعله دائماً يشعر بالخوف من أن يُجرَح مرة أخرى. وهـــذه القاعدة لا تنطبق فقط على الزواج والطلاق ولكن تنطبق على جميع أنواع العلاقات بين الناس.

فـــي أحـــد الأيـــام جاءني رجل كان قد ترك فريق الخدمة الذي كان يخدم معه بســـبب أنه تعرض للإساءة والجرح من قائد الفريق، ولكن مرت الأيام وجاء هذا الرجل يطلب الانضمام إلى فريق الخدمة الذي تحت قيادتي. وقد شعرت وقتذاك أن الـــرب يريدنـــي أن أوافـــق على انضمامه إذ أنني كنت أرى أنه كان على وشك الـــتخلص مـــن آثـــار الجرح والإساءة السابقة، فاتصلت بقائده السابق وشاركته برغبتي في انضمام ذلك الرجل إلى فريق الخدمة فشجعني كثيراً على هذه الخطوة وقـــال أنه متأكد أن انضمامه لفريقنا سوف يساعد على إتمام شفائه مما يشعر به مـــن جـــروح. وبـــالفعل بدأ ذلك الرجل في الخدمة معنا ولكن سرعان ما فوجئت بمشـــاكل معه لا حصر لها وبدأت أدرك أنه لا يزال غير قادر على نسيان ما حدث بيـــنه وبين قائده السابق، فقد ظلت تلك الخبرة السيئة تطارده حتى بدأ يتهمني أنا أيضـــاً بأننـــي أسئ إليه تماماً كما فعل قائده السابق. ولأنني كنت أهتم فعلاً بهذا الـــرجل وكنت أتمنى من كل قلبي أن يسترد صحته النفسية والروحية، فقد قدمت الكثـــير مـــن التنازلات والاستثناءات لأساعده على الشفاء والتحرير من جروحه ومـــرارته. ولكن بعد شهرين من انضمامه لنا، أبدى رغبته في ترك الخدمة معنا نهائـــياً. وهكذا وقع في نفس الفخ مرة أخرى، وكانت كلماته الأخيرة لي: "جون، أنـــا لـــن أخدم تحت قيادة أي قائد آخر طوال حياتي". فباركته وتركته يرحل وأنا

أشعر بالحزن والأسى لأنني كنت أدرك تماماً أن هناك دعوة قوية من الرب على حياة ذلك الرجل خاصة في المجال الذي كان يخدم معنا فيه. وبعد رحيله ذهبت إلى الرب متسائلاً: "يا رب لماذا ساء الأمر هكذا ولماذا رحل ذلك الرجل بالرغم من أنني متأكد أنك أنت الذي قدتني لكي أضمه إلى فريقنا؟"، ولقد أجابني الرب بعد عدة أسابيع على لسان صديق لي عندما قال لي: "كثيراً ما يسمح الرب لأشخاص أن يهربوا من مواقف كان يريدهم الرب أن يواجهوها لأنهم أصرّوا في أعماق قلوبهم على الهروب!"

ثم ذكّرني صديقي بقصة إيليا النبي عندما هرب خوفاً من إيزابل (ملوك الأول ١٨-١٩). فلقد قتل إيليا أنبياء البعل وأنبياء السواري الأشرار الذين كانوا يقودون الشعب إلى عبادة الأصنام وكانوا يأكلون على مائدة إيزابل، ولهذا عندما سمعت إيزابل أن إيليا قد قتلهم غضبت جداً وأرسلت له تهديداً بأنها سوف تقتله خلال ٢٤ ساعة. لقد كان الرب يريد إيليا أن يواجه إيزابل ولكن على العكس هرب إيليا من وجهها، فقد كان في حالة من الخوف واليأس جعلته يصلي ويطلب من الرب أن يأخذ نفسه، ووصل إلى حالة لم تمكنه من إتمام المهمة التي كان الرب يريده أن يتممها. وقد أرسل الرب ملاك لإيليا لكي يطعمه حتى يستطيع أن يسير أربعين يوماً وأربعين ليلة حتى وصل إلى جبل حوريب، وعندما وصل إيليا إلى الجبل أخيراً كان أول سؤال يسأله له الرب هو: " مالك هاهنا يا إيليا؟ " (ملوك الأول ١٩: ٩). لقد كان الرب يعرف أن إيليا قد اتخذ قراراً في داخله بالهروب من الموقف، لهذا سمح له الرب أن ينفذ ما قرره بالرغم من أن هروبه لم يكن بحسب مشيئة الرب، كما يتضح من سؤال الرب له.

ثم قال الرب لإيليا: "اذهب راجعاً في طريقك إلى برية دمشق وادخل وامسح ... ياهو بن نمشي ملكاً على إسرائيل وامسح إليشع بن شافاط من آبل محولة نبياً عوضاً عنك" (ملوك الأول ١٩: ١٥).

لقـد مسـح الرب إليشع وياهو لكي يتمموا المهمة التي هرب منها إيليا، ففي عهدهما قـُتـِلت إيزابل وتم القضاء على كل أعوانها الأشرار.

وهكـذا إذا اتخذنا قراراً في داخلنا أن نهرب من المواقف الصعبة التي نتعرض لها في حياتنا فسوف يتركنا الرب نهرب بالرغم من أن هذا ليس بحسب مشيئته.

هـناك قصة أخرى في سفر العدد إصحاح ٢٢ تثبت ذلك أيضاً. فلقد كان بلعام يـريد فـي داخله أن يلعن شعب إسرائيل لأنه كان يطمع في المكافأة الكبيرة التي وعـده بهـا بالاق. لقد ذهب بلعام في أول مرة إلى الرب ليسأله فأعلن له الرب بوضوح أن مشيئته هي ألا يذهب ليلعن الشعب ولكن عندما رجع له أمراء موآب مـرة أخـرى يعرضون عليه زيادة في المكافأة والمال عاد بلعام مرة ثانية ليسأل الـرب! إنـه مـن الحمق أن يعتقد شخص أن الرب سوف يغيّر مشيئته من أجل عـرض سخي من الأموال والمكافآت لبلعام! ومع ذلك عندما ذهب بلعام للرب في المـرة الثانـية قال له الرب أن يذهب معهم. لماذا إذاً قال له الرب أن يذهب؟ هل تغـيَّرت مشـيئة الرب؟ الإجابة لا، إن مشيئة الرب لم تتغير ولكن لأن بلعام كان يصـر في داخله على الذهاب بالرغم من معرفته أن الرب لا يريده أن يذهب لهذا سمح له الرب أن يفعل ما يريد ولقد كان هذا هو سبب أن حمي غضب الرب على بلعام بعد ذهابه.

قد نظل نلح على الرب في أمر ما بالرغم من أنه سبق وأعلن لنا بوضوح عن مشـيئته فـي ذلـك الأمر، وهنا من الممكن أن يسمح لنا الرب أن نفعل ما نريد بالرغم من أن ما نفعله ليس بحسب مشيئته وبالرغم من أنه ليس أفضل شئ لنا.

وعـادة ما تكون مشيئة الرب أن نواجه جروح ومواقف صعبة في حياتنا لكي يقويـنا وينضجنا من خلالها ولكننا مع الأسف نختار بإرادتنا أن نهرب منها. إن هروبـنا مـن المواقـف الصعبة ورفضنا أن نتعامل مع ما نشعر به من عثرات

وجـروح لـيس هـو الحل للمشكلة، فقد يمنحنا الهروب راحة وقتية ولكن جذر المشكلة سوف يبقى في داخلنا كما هو.

من خلال خبرتي مع ذلك الشخص الذي انضم لفريق الخدمة تعلمت درساً هاماً فـي العلاقات وهو أنه من المستحيل أن تقام علاقة سويّة مع شخص ترك علاقة سابقة وهو مملوء بالجروح والمرارة، فلابد أن تـُشفـَى أعماقه أولاً قبل أن يبدأ علاقة جديدة سويّة. فبالرغم من أن ذلك الشخص كان يؤكد لي أنه قد غفر لقائده السابق إلا أنه لم يكن يستطيع أن ينسى الإساءة التي سببها له. إن المحبة تنسى الإسـاءة وتعطـي رجاء للمستقبل. فعندما نـُشفـَى بالفعل من جروحنا وننتصر علـيها نجـد أنفسنا دائماً نبحث عن فرصة للمصالحة ونسعى لنصنع سلام بيننا وبين من أساءوا إلينا.

هناك مثل شعبي قديم يقول: "لو احترق شخص من الماء الساخن فسوف يظل طوال حياته يخاف من الماء البارد".

كـم مـن شـخص بينـنا يخاف من "الماء البارد" الذي يكون في الواقع سبباً لإنعاشـه وذلـك لأنه احترق قبلاً ولم يستطع أن يغفر وينسى. إن يسوع يريد أن يشـفي جروحنا ولكننا عادة لا نعطي له الفرصة لكي يفعل ذلك لأننا نجد الطريق إلـى ذلـك صـعباً، إنه طريق الاتضاع وإنكار الذات هو الذي يؤدي إلى الشفاء والنضـوج الروحـي، إنه طريق تأخذ فيه قراراً أن مصلحة الآخر تكون أهم من مصلحتك حتى لو كان هذا الآخر قد تسبب لك في الكثير من الأحزان. إن الكبرياء لا يسـتطيع أن يسـير في هذا الطريق ولكن هؤلاء الذين يسعون للسلام والمحبة حـتى لـو قوبلوا بالرفض هم فقط الذين يستطيعون السير فيه. إنه طريق صعب ولكن هو الذي يؤدي إلى الحياة.

الفصل السابع

الأساس الثابت

ما نتعلمه في محضر الرب لا يمكن أن نتعلمه في محضر الناس بعيداً عن الرب

لذلــك هكذا يقول السيد الرب: ها أنذا أؤسس في صهيون حجر امتحان حجر زاوية كريماً أساساً مؤسساً، من آمن لا يهرب (أو لا يتصرف بعجلة will not act hastily)". (إشعياء ٢٨: ١٦)

مــن آمن لا يهرب أو لا يتصرف بالعجلة، فالشخص الذي يهرب أو يندفع في تصــرفاته بعجلـــة هو شخص غير ناضج لأن تصرفاته ليست مبنية على أساس ومــبادئ ثابــتة لهــذا فهو شخص يهتز بسهولة أمام رياح التجارب والصعاب. ولنعطــي مــثالاً على ذلك دعونا نتأمل فيما حدث لبطرس. فلقد ذهب يسوع إلى قيصــرية فيلبس وهناك سأل تلاميذه قائلاً: "من يقول الناس إني أنا إبن الإنسان؟" (مــتى ١٦: ١٣)، فــبدأ تلاميذه يرددون آراء الناس المختلفة عن حقيقة يسوع، فانــتظر يسوع حتى انتهوا من كلامهم ثم نظر إليهم وسألهم سؤالاً محدداً: "وأنتم مــن تقولــون إني أنا؟" (متى ١٦: ١٥). أنا متأكد أنه في تلك اللحظة علت على وجــوه التلامــيذ نظرات الحيرة والخوف، وساد الصمت على جميع من كانوا منذ دقــائق قليلة يرددون بحماس ما يردده الآخرون، فربما لم يسأل أحد منهم نفسه هــذا السؤال من قبل والآن وهم أمام هذه المواجهة أدركوا أنه ليس لديهم إجابة علــيه. لقــد كان يسوع يعلم ما في قلوبهم لذلك سألهم هذا السؤال بمهارة حتى يجعلهــم يدركــون بحــق ما الذي يعرفونه وما الذي لا يعرفونه، فلقد كان يسوع يــريدهم أن يواجهوا أنفسهم بحقيقة أنهم يعيشون على معتقدات وآراء الآخرين وليس على أساس ثابت وراسخ في داخل قلوبهم عن حقيقة يسوع المسيح. ولكن ســمعان، الــذي دعــاه يسوع فيما بعد باسم بطرس، كان الوحيد من بين جميع التلاميذ الذي لديه الإجابة على هذا السؤال، لهذا صرخ بدون تردد قائلاً: "أنت هو المسيح إبن الله الحي" (متى ١٦: ١٦). وهنا قال له يسوع: "طوبى لك يا سمعان بن يونا، إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات" (متى ١٦: ١٧).

لقد وضَّح يسوع لبطرس المصدر الذي جاء منه بهذا الإعلان، فهو لم يعرف هذه المعلومة من سماعه لآراء من حوله ولم يعرفها من خلال ما قرأه أو تعلمه، إنما عرفها لأن الرب أعلنها له.

لقد كان سمعان بطرس شخصاً جائعاً لأمور الله ساعياً لها بكل قلبه، فقد كان أكثر التلاميذ توجيهاً للأسئلة والاستفسارات، كان هو الوحيد فيهم الذي سار فوق المياه مع يسوع بينما بقي الباقون داخل المركب يراقبونه. لقد كان من الشخصيات التي لا تقبل أن تعيش بناء على ما يقوله الآخرون أو ما يعتقدونه بل كان دائماً يريد أن يعرف كل شيء مباشرة من فم الرب. لكل ذلك لم يكن ما عرفه عن حقيقة يسوع مبني على مشاعر أو أفكار خاصة به إنما كان مبني على إعلان أضاء في قلبه نتيجة لجوعه واشتياقه لأمور الرب. لقد كان هناك الكثيرون الذين شاهدوا ما شاهده بطرس ولكن لم تكن قلوبهم جائعة للرب مثل قلب بطرس لهذا لم يستطيعوا أن يدركوا ما أدركه هو.

يقول يوحنا الرسول: "وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهي حق وليس كذباً، كما علمتكم تثبتون فيه" (رسالة يوحنا الأولى ٢: ٢٧).

هذه المسحة هي التي علمت سمعان بطرس، فلقد كان يسمع كل ما يقوله الناس من حوله ولكنه كان ينصت جيداً لما يعلنه روح الرب في داخله. فعندما تأخذ إعلاناً مباشراً من الرب، فلن يستطيع أحد أن يزعزعك. فعندما يعلن لك الرب عن أمر ما، فمهما قال الجميع حولك لن يستطيعوا أن يغيروا ما في قلبك.

لقد قال يسوع لبطرس والتلاميذ بعد ذلك: "على هذه الصخرة (أي الكلمة المعلنة من الرب) أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (متى ١٦: ١٨). إن الأساس الثابت الذي يُبني عليه المؤمنون هو كلمة الرب المعلنة.

الكلمة المضيئة

إنني دائماً ما أقول للناس وأنا أعظ أن يستمعوا لصوت الرب من خلال صوتي، فعادة ما نشغل أنفسنا بكتابة وتدوين كل ما نسمعه في العظة وعادة ما يؤدي هذا إلـــى معرفة ذهنية جيدة للآيات ومعانيها، ولكنها مجرد معرفة ذهنية. وعندما لا يكون لدينا سوى المعرفة الذهنية لكلمة الله، فإن نتيجة هذا تكون إحدى أمرين:

١. أننا نكون عرضة لأن نتحرك بالتأثيرات النفسية فنصبح غير متوازنين في سلوكنا. أو

٢. نصبح مقيدين بأفكارنا الشخصية وفهمنا الخاص للأمور.

ولكــن لــيس هذا هو الأساس الثابت الذي يبني عليه يسوع كنيسته، فلقد قال يسوع أنه يبني كنيسته على كلمة الله المعلنة لنا في قلوبنا وليس على ما نحفظه في أذهاننا من آيات.

فعـندما تستمع إلى واعظ ممسوح بالروح القدس أو تقرأ كتاباً يجب عليك أن تنتــبه جــيداً للكلمــات أو العبارات التي تجدها تضئ داخل قلبك وروحك لأن تلك الكلمات بالتحديد تكون هي الإعلان الذي يريد الرب أن يعلنه لك، لهذا فهي تحمل فــي طيّها نور وفهم روحي عميق. لهذا قال المرنم في مزمور ١١٩: ١٣٠ "فتح كلامــك ينــير، يعُقل الجهال". إن كلمة الله التي تلمس قلوبنا، وليس أذهاننا، هي التي تنير وتعقل. فكثيراً ما يكون الواعظ يتحدث عن موضوع معيّن ولكنني أفاجأ بــأن الــرب يلمس قلبي بموضوع آخر، وفي أحيان أخرى يستخدم الرب الكلمات التــي يتكلم بها الواعظ فأشعر أنها تضئ بقوة في داخل قلبي، وفي كلتا الحالتين أدرك أن هذه هي الكلمة التي يريد الرب أن يعلنها لي شخصياً. وهذا هو ما يغيّرنا مــن كونــنا "جهــال" أي بلا فهم إلى أشخاص ناضجين ممتلئين بالفهم والمعرفة

الروحية. لذا فكلمة الرب التي تضئ في قلوبنا ويعلنها الروح القدس في أرواحنا هي الأساس الثابت الذي قال عنه يسوع أنه سيبني عليه كنيسته.

لقد وصف يسوع كلمة الله المعلنة بأنها "صخرة"، والصخرة تتميز دائماً بالثبات والقوة. فلقد أعطى يسوع مثالاً على بيتين واحد منهما مبني على الصخر والآخر على الرمال، وقال يسوع أنه عندما هبت الرياح والعواصف، أي الاضطهادات والتجارب والصعاب، سقط ذلك البيت المبني على الرمال أما الآخر المبني على الصخر فظل قائماً لم يهتز.

هناك الكثير من التساؤلات والقرارات في حياتنا نحتاج فيها لأن نستمع لكلمة خاصة من الرب ولا نجد هذه الكلمة في آيات الكتاب المقدس، فمثلاً تساؤلات مثل: من الشخص الذي يجب أن أرتبط به؟ ما العمل الذي سأعمل فيه؟ أي كنيسة يجب أن أنضم لها؟ وغيرها. إننا نحتاج أن نأخذ من الرب إعلاناً خاصاً عن كل هذه الأمور التي تحتاج إلى قرارات حاسمة في حياتنا وإلا ستكون قراراتنا مبنية على رمال. ولكن ما يعلنه لنا الرب بالروح القدس في داخلنا لا يمكن أن يُنزع منا مهما حدث، لذلك يجب أن يكون هذا هو الأساس الذي نبني عليه كل ما نفعله لأن بدونه سوف يكون من السهل أن نعثر أمام ما نواجهه من تحديات وتجارب.

دعونا نتأمل ما قاله يسوع عن الكلمة التي يسمعها البعض بحماس ويستقبلونها بفرح لكن بدون أن يكون لها أصل في داخل قلوبهم، فهم يستقبلونها بفرح ولكن في عقولهم ومشاعرهم فقط، وماذا تكون النتيجة؟

"الذين حينما يسمعون الكلمة يقبلونها للوقت بفرح ولكن ليس لهم أصل في ذواتهم بل هم إلى حين، فبعد ذلك إذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فللوقت يعثرون" (مرقس ٤: ١٦ – ١٧).

إن كلمـــة "أصل" تعني "جذر" ، والجذر مثله مثل الأساس فكلاهما يعطي الثبات والقوة سواء للنبات أو للبناء. ولهذا فإن الشخص الذي لا يبني حياته على أساس ثابــت هــو كلمة الرب الخاصة المعلنة له بالروح القدس، يصبح من السهل أن يســقط ســريعاً أمام رياح العثرات والمضايقات. فكم من المؤمنين اليوم يشبهون تلامــيذ يســوع إذ يعيشون حياتهم بناءً على ما يقوله الآخرين أو يعظوا به فلقد اعتبروا آراء ومعتقدات الآخرين كأنها حق مسلَّم به ويبنون حياتهم عليه دون أن يطلــبوا مشورة الروح القدس. لكن ليس هذا هو ما يريده الرب، فما نعيشه وما نعلــنه يجــب أن يكــون مبنياً على ما يعلنه لنا الروح القدس من خلال كلمة الله وليس مبنياً على آراء الآخرين. هذا هو الأساس الذي يبني عليه يسوع كنيسته.

لقــد كــان هــناك شاب في كنيستنا على علاقة حميمة مع إحدى الفتيات في الكنيســة وكانا الاثنان على حد كبير من التوافق حتى أن كل من في الكنيسة كان يتنبأ أن هذه العلاقة لابد وأن تنتهي بالزواج. ولقد كانا بالفعل يفكران في الارتباط حيــن جاءهما راعي الكنيسة في مساء يوم الأحد وقال لهما: "إن الرب يقول لكما أنكما يجب أن تتزوجا".

وفــي صباح اليوم التالي جاءتني الفتاة، والتي كانت ضمن فريق الخدمة الذي أقــوده، وطلبــت مني وهي تتهلل فرحاً أن أقوم أنا بعقد زواجهما، فأجبتها بأنني ســوف أكــون ســعيداً بهذا وحددت موعداً لكي أتقابل معهما هما الاثنين. وجاء الموعــد المحــدد ولكــن عندما دخلا هما الاثنان إلى مكتبي شعرت بانزعاج في روحــي، فنظرت إلى الفتاة وسألتها إذا كانت متأكدة أن ارتباطها بهذا الشاب هو بــالفعل مــن الرب، فأجابت بحماس: "نعم بالتأكيد"، ثم نظرت إلى الشاب وسألته: "هــل أنت متأكد أن ارتباطك بهذه الفتاة هو في مشيئة الرب؟"، فنظر إليّ للحظات ثم هز رأسه قائلاً: "لا، لست متأكداً".

فقلت للشاب: "إذاً أنا لا أستطيع أن أزوجكما، فأنا لا يهمني من الذي تنبأ لكما بالزواج ولا يعنيني كم من الأشخاص متحمسون لزواجكما، فكل ما يهمني هو أنه إذا لـم يكن الرب قد أعلن لك عن مشيئته بوضوح داخل قلبك، فلا يجب أن تقدم علـى خطوة الارتباط. إذا تزوجت دون أن يكون لديك إعلان واضح من الرب أن هذا الزواج هو في ملء مشيئته، فلن تستطع أن تصمد في وجه العواصف. فعندما تأتـي العواصف على ارتباطك، وهي حتماً سوف تأتي، ستجد لديك تساؤلات مثل: "مـاذا لـو كنت تزوجت من أخرى؟ هل كنت سأواجه تلك المشاكل؟ كان علي أن أتـأكد أن هذا الارتباط في مشيئة الرب، يبدو أنني خدعت عندما ارتبطت بها ... ..."، وهكـذا سوف يملأ القلق والشك قلبك ولن تستطع أن تواجه التحديات التي سـتقابلها فـي ارتـباطك وستصـبح رجـلاً ذو رأيين متقلقل في جميع طرقك (يعقوب ١: ٨)".

وقبل أن يرحلا من مكتبي طلبت منهما ألا يتقابلا مرة أخرى، ولقد شعر الشاب بالـراحة بعد هذه المقابلة أما الفتاة فقد كانت منزعجة وظلت طوال الأسبوع على غـير طبيعـتها معـي ولكننـي كنت أعلم أنني تكلمت بالحق، فلقد كان هذا وقت امـتحان لهـا فلو كانت بالفعل واثقة من أن الرب تحدث إليها وأن ارتباطها بهذا الشـاب هـو مـن الرب فكان يجب أن تثق في أن الرب حتماً سوف يعلن له هو الآخـر عـن مشيئته وحتى ذلك الحين كان يجب عليها ألا تعثر فيَّ ولا في الرب. لقـد نصـحتها أن تبتعد عن الشاب وأن تعطيه فرصة كافية لكي يسمع من الرب ولقـد فعلـت ذلـك بالفعل وبعد ثلاثة أسابيع وجدتهما يطلبان تحديد موعداً آخر للمقابلة، وهذه المرة شعرت بفرح غامر وهما يدخلان مكتبي. لقد نظر إليّ الشاب وعينيه تلمعان من الفرح وقال: "لقد تأكدت من كل قلبي أن هذه الفتاة هي الزوجة التي لي من الرب!". وبعد سبعة شهور تم زواجهما.

عـــندما تكون متيقناً من أن الرب قد وضعك في علاقة ما أو مكان ما، فسوف يكون من الصعب جداً على العدو أن يخرجك، فعندما تبني حياتك على كلمة الرب المعلــنة لــك فستجد نفسك قادراً على مقاومة ما يواجهك من تحديات وصراعات مهما بدت صعوبتها.

لا يوجد اختيار آخر

لقـــد كانــــت أول خمس سنوات في زواجي في منتهى الصعوبة فلقد كان هناك الكثير من الخلافات بيني وبين زوجتي تسببت في الكثير من الجروح العميقة حتى بـــدا لـــنا حينذاك أنه من المستحيل أن نستعيد الحب والتفاهم الذي كان بيننا يوماً ما، ولكن الشيء الوحيد الذي جعلنا نستمر في ارتباطنا هو أن كل منا كان متأكداً أن ارتباطـــنا هـــو بحسب مشيئة الرب منذ البداية، لهذا لم يخطر على بالنا مطلقاً طـــوال تلـــك الســـنوات أن يكون الطلاق هو الحل في يوم من الأيام، وقررنا أن نســـتمر في المحاولة لإنجاح زواجنا مهما كان الألم ومهما كانت الصعوبة. فكنت في كل مرة أشعر باليأس وأفكر في الاستسلام، كنت أتذكر الوعود التي أخذتها من الـــرب عـــن ارتباطـــنا فأجد نفسي غير مستعد أن أضحي بخطة الرب لحياتي مع زوجتي.

ولقد كان أحد الوعود التي أخذتها من الرب أنني أنا وزوجتي سوف يكون لنا سوياً خدمة رائعة وقوية، وحين أعطاني الرب هذا الوعد كنت أرى أنه من السهل تحقيقه لأن يد الرب كانت واضحة حينذاك على كل منا في الخدمة، ولكن بعد ذلك وفـــي وســـط كل تلك المشكلات والصراعات التي كنا نواجهها في ارتباطنا، بدأت أفقد رؤيتي لذلك الوعد الذي أصبح في نظري بعيد المنال ولكنني مع ذلك رفضت أن أتـــنازل عـــنه بسهولة وظللت متمسكاً به بالرغم من أن ما كان في حياتنا من صراع وكبرياء قد بدد كل أمل طبيعي في تحقيق هذا الوعد، ولكن ظلت هناك بذرة

للــرجاء "الفوق طبيعي" داخل قلبي وظل ذلك الوعد هو الأساس الذي أرتكز عليه في وقت الحاجة.

وبعــد مــرور ســنوات امتدت يد الرب لعلاقتنا أنا وزوجتي ليس فقط لشفاء الجروح ولكن أيضاً ليجعل علاقتنا تزداد في القوة والثبات أكثر بكثير من ذي قبل، فتخلصــنا من جروحنا وصراعاتنا بأن غفرنا لبعضنا البعض وقررنا أن نتعلم من صراعات الماضي وأخطائه والآن نحن بالفعل نخدم سوياً خدمة رائعة، فأنا أعتبر زوجتــي لــيس فقط محبوبتي وصديقتي الحميمة ولكن أيضاً أراها الوحيدة التي أســتطيع أن أضــع فيها كل ثقتي خاصة فيما يختص بأمور الخدمة، فأنا أثق في زوجتي أكثر من أي شخص آخر في حياتي.

وبعد أن خرجت من تلك الفترة القاسية التي مرّت على ارتباطنا، أدركت أن الرب كــان يرى في كل منا عيوباً وأخطاء وقد استخدم علاقتنا لكي يخرج تلك العيوب إلى السطح ليعالجها ويشفيها، وكم انحنيت في خشوع تقديراً لحكمة الرب الفائقة!

قبل أن أتقابل مع زوجتي، ليزا، كنت أصلي بحرارة طالباً من الرب أن يقودني إلــى الزوجة التي عيّنها لي، فلقد كان ارتباطي هو ثاني أهم قرار في حياتي بعد قرار إيماني وطاعتي للإنجيل، ولأنني صليت كثيراً وانتظرت الرب وقتاً طويلاً فقد كنــت أظن أنني حتماً لن أواجه ما يواجهه الكثيرون من مشكلات وصراعات في زواجهم ... آه، كم كنت مخطئاً!!

فبالفعل اختار لي الرب الزوجة التي كنت أتمناها وأحلم بها ولكن ارتباطي بها كــان أيضــاً الوسيلة التي استخدمها الرب ليكشف ما في داخلي من أنانية وعدم نضوج. لو كنت قد اخترت الهروب من هذا الصراع بالطلاق أو بإلقاء اللوم عليها علــى الــدوام، فإن هروبي كان سيجعلني أخبئ تلك الأنانية وعدم النضوج تحت غطــاء حمايــة مزيف هو غطاء العثرات والجروح، ولكن ما منعني من الهروب

بهذه الطريقة هو معرفتي بما تقوله كلمة الله عن الارتباط عامة ومعرفتي بما قاله لي الرب من خلال كلمته عن ارتباطي أنا بشكل خاص.

والآن دعونـــا نبعد قليلاً عن الموضوع الأساسي لهذا الفصل لكي نوضح أمر هــام. فــربما يقــول أحدكم وهو يقرأ هذا الكتاب أنه لم يكن مؤمناً عندما اقترن بزوجته. ولمثل هذا أقول انظر ما تقوله كلمة الرب:

"وأما المتزوجون فأوصيهم، لا أنا بل الرب، أن لا تفارق المرأة رجلها وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها ولا يترك الرجل امرأته ... ما دعي كل واحد فيه أيها الأخوة فليلبث في ذلك مع الله" (كورونثوس الأولى ٧: ١٠ – ١١، ٢٤).

فلــتجعل هذه الكلمات الخاصة بعهد الزواج ثابتة أمام عينيك حتى لا تحيد عن الطــريق الصحيح متأثراً بفخ العثرات والجروح، ثم يمكنك بعد ذلك أن تطلب من الرب أن يعطيك كلمة خاصة عن ارتباطك.

قــد يكــون الــبعض قد تزوج خارج مشيئة الرب حتى وهو مؤمن، لذلك لكي تستعيد بركة الرب على حياتك يجب عليك أولاً أن تتوب عن أنك لم تطلب مشورة الرب في ارتباطك من البداية، والرب حتماً سوف يغفر لك، ثم ضع في قلبك أنه لا يجب أن تصحح الخطأ بخطأ آخر، فأن تكسر عهد الزواج بسبب تعرضك للإساءة وشــعورك بالجرح والمرارة ليس هو الحل الذي بحسب مشيئة الرب، ولكن الحل أن تبدأ في طلب الرب لكي يعطيك كلمة خاصة عن ارتباطك لتتمسك بها.

الصخرة الثابتة

إن كلمـــة الـــرب المعلـــنة هـــي الصخرة الثابتة التي يجب أن نبني عليها حياتنا وخدمتنا، فكم أشعر بالحزن في كل مرة أسمع عن كنائس أو مجموعات خدمة تفرقوا

بعد أن أمضوا معاً وقتاً طويلاً، فإنه من المؤسف والمحزن حقاً أن أرى الناس وهم يتحركون تحت تأثير الظروف وليس تحت قيادة الرب، فهم يصدرون حكمهم على مكان ما بأنه "لا يصلح" أو "سيئ" فقط نتيجة أنهم تعرضوا فيه للإساءة وسوء المعاملة من الآخرين، ولكن مع الأسف هذه الطريقة في الحكم على الأمور وتبريرهم الدائم لموقفهم ما هو إلا غطاء خادع يمنعهم من رؤية حقيقة ما في حياتهم من عيوب وأخطاء ويمنعهم من مواجهة ما بداخلهم من جروح وعثرات. وعادة ما تجد مثل هؤلاء يصفون علاقتهم بكنائسهم أو مواقع خدمتهم بأنها علاقة مؤقتة، فكثيراً ما تسمعهم يقولون: "إن الرب يريدني هنا إلى حين" فهم يقولون هذا حتى يكون لديهم طريقاً للهروب وقتما تسوء الأمور، فهم ليسوا مبنيين على أساس ثابت لهذا تحركهم العواصف بسهولة من مكان إلى آخر.

إلى أين نذهب؟

دعونا نعود مرة أخرى إلى ما حدث عندما سأل يسوع تلاميذه عما يقولون عنه لكي نرى الثبات الذي يأتي من معرفتنا لمشيئة الرب المعلنة في قلوبنا.

فبعد ما صرخ سمعان بما أعلنه الآب في قلبه عن حقيقة يسوع، قال له يسوع: "وأنا أقول لك أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (متى ١٦: ١٨).

لقد غيّر يسوع اسم (سمعان) إلى (بطرس) وهذا له دلالة هامة لأن اسم (سمعان) يعني: "أن يسمع"، أما اسم (بطرس) فهو مشتق من الكلمة اليونانية (بتروس) وهي تعني "صخرة". فلأنه استمع لكلمة الرب المعلنة في قلبه تحول سمعان إلى صخرة وأصبح مثل البيت المبني من الأحجار وأساسه من الصخور فهو ثابت لا يتزعزع أمام ما يواجهه من عواصف ورياح.

وكلمـــة (صـــخرة) فـــي هذه الآية هي باليونانية كلمة (بيترا) وتعني (صخرة كبيرة)، أي أن يسوع كان يريد أن يقول لبطرس أنه أصبح الآن كالصخرة الكبيرة التـــي يبنى عليها البيت. ولقد كتب بطرس بعد ذلك في رسالته قائلاً: "كونوا أنتم أيضـــاً مبنييـــن كحجـــارة حـــية بيتاً روحياً ..." (رسالة بطرس الأولى ٢: ٥)، فالحجـــارة عـــبارة عـــن قطع صغيرة من الصخرة الكبيرة. وهكذا نرى أن قوتنا وصـــلابتنا تأتي من صخرة واحدة هي كلمة الرب المعلنة، تلك الكلمة التي تفيض بـــثمر كثـــير في حياة كل من يسمعها ويقبلها لأن من يقبلها يمتلئ بقوة من هو بالحقيقة كلمة الله الحية وهو شخص يسوع المسيح.

لقـــد كتب الرسول بولس قائلاً: "فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الـــذي وُضِـــع الذي هو يسوع المسيح" (كورونثوس الأولى ٣: ١١). فيسوع هو كلمـــة الله الحـــية، لو طلبناه بكل قلوبنا فحتماً سوف يعلن عن نفسه لنا وبالتالي سوف يكون هو الأساس الذي نبني عليه حياتنا.

فـــي أيام يسوع الأخيرة على الأرض، كانت الأمور تزداد صعوبة له ولتلاميذه، فقـــد كـــان الفريســـيون ورؤساء الكهنة اليهود يضطهدونه بشدة ويطلبون قتله (يوحـــنا ٥: ١٦)، ولكن عندما بدأت الظروف تتحسن وبدأ الشعب يطلبون يسوع ويرغـــبون في تتويجه ملكاً عليهم ولو بالقوة رفض يسوع وانصرف عنهم بعيداً (يوحنا٦: ١٥).

ولابـــد أن هـــذا قد أثار دهشة التلاميذ وحيرتهم، ولابد أنهم تعجبوا فيما بينهم قائلين: "لماذا يتصرف يسوع هكذا؟ إن هذه كانت فرصته وفرصتنا الوحيدة، فلماذا أضاعها؟!". وحتماً بدأوا يشعرون بالخوف وبدأت العواصف تهب عليهم بشدة ... "لقـــد تركنا عائلاتنا وأعمالنا لكي نتبع هذا الرجل، لقد جازفنا بكل شيء لأننا آمنا أنـــه هو الآتي وليس آخر وقد تأكدنا من هذا على فم شاهدين؛ فقد أعلنها يوحنا

المعمـــدان كما أعلنها سمعان بطرس في قيصرية فيلبس. ولكن لماذا هو مستمر في مضايقة رؤساء الكهنة هكذا؟! لماذا هو مصمم أن يحفر قبره بيده؟!".

حـــتى التلامـــيذ الذيـــن تركوا كل شيء ليتبعوا يسوع بدأوا يُعثرون فيه، وقد وصلت العثرات إلى ذروتها عندما كلمهم يسوع يوماً بكلمات بدت لهم أنها هرطقة واضـــحة، فقـــد قـــال لهم: "الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد إبن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم" (يوحنا ٦: ٥٣).

لقد قال يسوع تلك الكلمات لتلاميذه أمام قادة اليهود وكهنتهم في المجمع في كفرناحوم، وقد كانت تلك الكلمات بمثابة (القشة التي قسمت ظهر البعير) بالنسبة لتلاميذه.

"فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا: إن هذا الكلام صعب، من يقدر أن يسمعه" (يوحنا ٦: ٦٠)،

وكان رد فعل يسوع هكذا:

"فعلـــم يسوع في نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا فقال لهم: أهذا يُعثركم؟" (يوحنا ٦: ٦١).

لقد كان هؤلاء هم تلاميذ يسوع! لقد واجههم بالحق لأنه كان يعلم أن الكثيرين مـــنهم يبـــنون حـــياتهم على أسس باطلة لهذا واجههم بالحقيقة لكي يكشف أمام عيونهم حقيقة ما في قلوبهم، ولكنهم مع الأسف لم يكونوا مثل سمعان بطرس أو باقـــي التلامـــيذ الذين كانوا جائعين للحق والبر، ولهذا كان رد فعلهم أنهم تركوا يسوع:

"مـــن هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه" (يوحنا ٦: ٦٦).

لاحظ أنهم لم يكونوا (قليلون) بل (كثيرون)، وبلا شك كان منهم من اندفع قبل ذلك في قيصرية فيلبس قائلاً أن بعض الناس يقولون عن يسوع أنه إيليا والبعض يوحـــنا المعمـــدان وآخـــرون يقولون أنه أرميا أو أحد الأنبياء (متى ١٦: ١٤). هـــؤلاء لم يكونوا مبنيين على أساس كلمة الرب المعلنة لهم إنما على أساس ما يقوـــله الآخرون. لقد تملكتهم العثرات لدرجة أنهم فعلوا ما يفعله الكثيرون اليوم ... رحلـــوا. لقد ظنوا أنهم تعرضوا للخداع والإساءة ولكن في الواقع لم تكن هذه هـــي الحقـــيقة، لكنهم مع الأسف لم يستطيعوا أن يروا الحقيقة لأن عيونهم كانت محصورة على أنفسهم وعلى رغباتهم الأنانية.

والآن دعونـــا نتأمل ما حدث مع سمعان بطرس، فقد واجه يسوع الإثنى عشر هكـــذا: "فقـــال يســـوع للإثنى عشر: ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا. فأجابه ســـمعان بطـــرس: يـــا رب إلـــى من نذهب، كلام الحياة الأبدية عندك ونحن آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح إبن الله الحي" (يوحنا ٦: ٦٧ – ٦٩).

لـــم يتوســـل يسوع إلى الإثنى عشر قائلاً: "أرجوكم لا ترحلوا وتتركوني، فقد تركنـــي معظـــم تلامـــيذي فكيف أستطيع أن أكمل مسيرتي دونكم؟!!". لا بل على العكس واجههم قائلاً: "ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا؟"

وماذا كانت إجابة بطرس؟ فبالرغم من أنه كان يواجه نفس الموقف الذي أعثر آخرين وكان يمكن أن يعثره هو أيضاً ولكنه أجاب: "يا رب إلى من نذهب؟". فلابد أن مـــا سمعه بطرس من يسوع في هذا الموقف قد أصابه بالحيرة والدهشة مثله مـــثل باقي التلاميذ ولكن الفرق هو أن بطرس كان لديه معرفة وإدراك داخلي لم

يكـن لـدى الباقيـن، فلقـد كان لديه إعلان أن يسوع هو المسيح إبن الله الحي (متى ١٦: ١٦).

والآن وهـو أمـام تلك التجربة الصعبة أعلن بفمه ما كان بالفعل مغروساً في قلـبه، لهذا قال: "نحن آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح إبن الله الحي". فقد كانت هذه الكلمات هي نفس الكلمات التي قالها وأعلنها من قبل في قيصرية فيلبس. لقد كان بطرس مبنياً على صخرة وهي كلمة الرب المعلنة، لهذا لم يعثر ولم يرحل.

رد الفعل المتأثر بالضغوط

دائمـاً ما أقول أن التجارب والامتحانات التي يواجهها الإنسان هي التي تحدد طبيعـته وشخصيته، أو بمعنى آخر هي التي تحدد مدى نضجك الروحي وتكشف حقـيقة مـا فـي قلـبك. فـردود أفعالك تظهر على حقيقتها تحت تأثير الضغوط والتجارب.

فقد يكون هناك بيتاً مبنياً على الرمال ولكنه يتكون من خمس طوابق وله شكل جمـيل ومزيّـن بأفخم وأجمل الديكورات. فطالما أن الجو جميلاً والشمس ساطعة سيظل ذلك البيت ثابتاً يراه الجميع وكأنه حصن قوي وينبهرون بجماله وفخامته.

وقـد يكون بجانب ذلك البيت بيتاً آخر من طابق واحد بسيط في تكوينه وليس فـيه أي مظهر من مظاهر الجمال، لذلك فلن يلاحظه أحد ولن يلفت أنظار الناس إلـيه بالمقارنـة لذلـك المبنى الضخم الجميل الذي يقف بجانبه. ولكن هذا البيت البسيط مبني على شيء لا تراه العين، إنه مبني على صخرة.

فطالمـا لا توجـد عواصـف أو ريـاح سيبدو البيت ذو الخمس طوابق أجمل وأروع، ولكـن إذا هبـت عاصفة قوية سيسقط ويتلاشى ذلك البيت الفخم المبني

علـــى الرمال، بينما سيبقى ويثبت ذلك البيت البسيط الذي لا يلتفت إليه أحد لأنه مبنـــي على الصخر. وفي الواقع كلما زاد حجم المبنى وضخامته كلما كان وقوعه مريعاً!

والـــيوم يوجـــد الكثيرين في كنائسنا حالهم مثل حال التلاميذ الذين اندفعوا في قيصرية فيلبس يرددون كلام سمعوه من آخرين ولكن بعد ذلك ظهر حقيقة ما في قلوبهم. فقد يظهرون لوقت طويل أمام الآخرين مثل البيت ذو الخمس طوابق؛ لهم صـــورة القـــوة والثـــبات والجمـــال وقد يحتملون بالفعل بعض العواصف القليلة الضعيفة، ولكن وقتما تفاجئهم عاصفة قوية يسقطون ويعثرون.

فلتكن حريصاً إذاً أن تبني حياتك على ما يعلنه لك الرب من خلال كلمته الحية ولـــيس علـــى مـــا يقوله الآخرون. فلتستمر في طلب الرب من كل قلبك واستمع لصـــوته داخـــل قلـــبك و أحذر من أن تقول أو تفعل أي شيء لمجرد أن الجميع يقولونه أو يفعلونه، ولكن اطلب الرب وقف ثابتاً على ما يعلنه لك في قلبك.

الفصل الثامن

يزعزع الأشياء المتزعزعة

عندما يزعزعك العدو فهو يفعل ذلك بهدف تدميرك ولكن الرب لديه هدف آخر

"وأما الآن فقد وعد قائلاً: إني مرة أيضاً أزلزل لا الأرض فقط بل السماء أيضاً. فقوله مرة أيضاً يدل على تغيير الأشياء المتزعزعة كمصنوعة لكي تبقى التي لا تتزعزع" (عبرانيين ١٢: ٢٦ - ٢٧)

في الفصل السابق رأينا أن كلمة الرب المعلنة هي الأساس الذي يبني عليه يسوع كنيسته، ورأينا كيف بقي سمعان بطرس مع يسوع في حين رحل الكثير من التلاميذ معثرين، وحتى عندما واتته الفرصة لكي يرحل رفض وأعلن بفمه ما هو ثابت و مغروس في قلبه.

والآن دعونا نتأمل موقفاً آخر لسمعان بطرس حدث في الليلة التي أسلم فيها يسوع.

لقد كان يسوع جالساً مع الإثنى عشر في العشاء الأخير عندما فاجأهم بنبأ مروع قائلاً: "هوذا يد الذي يسلمني هي معي على المائدة وابن الإنسان ماض كما هو محتوم ولكن ويل لذلك الإنسان الذي يسلمه" (لوقا ٢٢: ٢١ - ٢٢).

يا له من خبر مروع حقاً! فكأن يسوع قد قذف بقنبلة مدوية عندما نطق بهذه الكلمات! فبالرغم من أن يسوع كان يعرف من البداية أنه سوف يُسلّم على يد أحد تلاميذه، إلا أن هذا الخبر كان مفاجأة للتلاميذ.

هل تستطيع أن تتخيل ما كان يسود الغرفة في تلك اللحظة من مشاعر مخيفة ومفزعة؟! فلقد أعلن يسوع أن واحد من تلاميذه الذين كانوا يرافقونه من البداية وكانوا أقرب الناس إليه سوف يخونه ويسلمه.

لقد كان رد فعل التلاميذ هكذا: "ابتدأوا يتساءلون فيما بينهم: من ترى منهم هو المزمع أن يفعل هذا؟" (لوقا ٢٢: ٢٣). فلقد أذهلتهم الصدمة عندما سمعوا أن واحد منهم سوف يفعل هذا الفعل المشين لذا بدأوا يفتشون فيما بينهم عن ذلك الشخص، ولكن إذا تأملنا في المناقشة التي دارت بينهم بعد ذلك سندرك أن الدافع وراء محاولتهم لمعرفة ذلك الشخص لم يكن دافعاً نقياً بل كانت دوافعهم تسيطر عليها الأنانية والكبرياء.

فلننظر إلى العدد التالي:

"وكانت بينهم أيضاً مشاجرة من منهم يظن أنه يكون أكبر" (لوقا ٢٢: ٢٤).

فلتتخيل معي المشهد كما يلي:

يسوع يخبر تلاميذه أنه على وشك أن يسلم إلى رؤساء الكهنة ليحكموا عليه بالموت وإلى الرومان لكي يهينوه ويستهزئوا به ثم يقتلوه وأن الذي سوف يسلمه هو واحد منهم وجالس معه على المائدة. حينئذ بدأ التلاميذ يتساءلون فيما بينهم من منهم الذي سوف يفعل هذا ثم انتهى الأمر بمشاجرة عن من سيكون الأعظم بينهم! يا له من أمر مشين! فهم يشبهون أبناء يتصارعون على ميراث أبيهم دون أن يكترثوا بموته، فهم لم يبدوا أي اهتمام بيسوع الذي كان على وشك الموت، بل على العكس لقد بدأوا يتسابقون على المنصب والسلطة! يا لها من أنانية تفوق التصور! أعتقد أنني لو كنت مكان يسوع لكنت سألتهم إذا كانوا حقاً سمعوا ما قلته أو إذا كانوا يهتمون بما قلته! ولكننا نرى هنا مثالاً واضحاً لمحبة وطول أناة الرب يسوع. أعتقد أن معظمنا لو كان مكان يسوع في هذا الموقف لكان صرخ فيهم قائلاً: "اخرجوا جميعاً خارجاً! فأنا هنا أواجه أصعب موقف في حياتي بينما يفكر كل منكم في نفسه!"

أعـــتقد أنني يمكنني أن أخمن من الذي بدأ تلك المشاجرة بين التلاميذ. أعتقد أنه سمعان بطرس، فهو دائماً ذو الشخصية المسيطرة بين التلاميذ وهو الذي كان دائمـــاً يندفع في الكلام والتصرف، فربما اندفع ليذكرهم أنه هو الوحيد فيهم الذي ســـار فوق المياه .. وأنه هو أول من أعلن أن يسوع هو المسيح إبن الله الحي، وربما ذكرهم أيضاً بأنه كان من ضمن التلاميذ الثلاثة الذين شهدوا تجلي المسيح فـــوق الجـــبل مع موسى وإيليا. أغلب الظن أنه كان مقتنعاً تمام الاقتناع أنه هو الأعظـــم بيـــن التلامـــيذ الإثنى عشر، ولكن مع الأسف ثقته هذه لم يكن أساسها المحبة بل الكبرياء.

لقـــد نظـــر يسوع إليهم حينئذ وقال لهم أنهم يتصرفون مثلهم مثل أبناء العالم وليس كأبناء الملكوت:

"ملـــوك الأمم يسودونهم والمتسلطون عليهم يدعون محسنين، وأما أنتم فليس هكـــذا بل الكبير فيكم ليكن كالأصغر والمتقدم كالخادم، لأن من هو أكبر الذي يتكئ أم الذي يخدم؟ ولكنني بينكم كالذي يخدم" (لوقا ٢٢: ٢٥ – ٢٧).

الهدف من الغربلة

بالـــرغم مـــن أن ســـمعان بطرس كان لديه إعلان قوي من الرب عن حقيقة يســـوع، إلا أنه كان لا يزال يحيا بعيداً عن شخصية و اتضاع المسيح. فلقد كان يبنـــي حياته وخدمته على انتصارات وكبرياء الماضي، ولكن الرسول بولس حثنا على أن نبني حياتنا على أساس واحد هو المسيح (كورونثوس الأولى ٣: ١٠).

لـــم يكـــن ســـمعان بطرس يبني حياته مستخدماً أدوات ملكوت الله، ولكنه كان يستخدم أدوات أخرى مثل الإرادة القوية والثقة بالنفس لهذا كان يجب أن يعمل الرب تغيـــيراً جذرياً في شخصيته. لقد كان كثيراً ما يحركه الكبرياء ولكن الكبرياء لا يمكن

أن يؤهلـــه لأن يتمم مشيئة الرب في حياته، بل إن كبرياءه هذا، إذا لم يتخلص منه، فسوف يدمره في النهاية .. فلقد كان الكبرياء هو الذي تسبب في سقوط لوسيفر بعد ما كان شاروبيم الرب الممسوح (انظر حزقيال ٢٨: ١١ – ١٩).

والآن انظر لما قاله يسوع لسمعان بطرس:

"وقـــال الـــرب: ســـمعان ســـمعان هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة" (لوقا ٢٢: ٣١)

إن الكـــبرياء قد فتح الباب أمام الشيطان لكي يدخل ويغربل سمعان بطرس. إن كلمة (يغربل) هي ترجمة لكلمة (سينيازو) باليونانية وهي تعني: يمحص أو ينخل فـــي منخل أو امتحان إيمان شخص عن طريق هزة داخلية عنيفة. لو كان يسوع يفكر بنفس الطريقة التي يفكر بها معظم الناس في كنائسنا لكان دعا التلاميذ لكي يخوضـــوا حرب روحية حتى يمنعوا تلك الغربلة التي من العدو. ولكن دعونا نرى ما الذي قاله يسوع:

"ولكنـــي طلبـــت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك. وأنت متى رجعت ثبت أخوتك" (لوقا ٢٢: ٣٢).

لم يطلب يسوع من أجل بطرس حتى لا يواجه تلك الهزة العنيفة التي ستغربله، إنما طلب من أجله لكي لا يفنى إيمانه أثناء تلك الغربلة، ذلك لأن يسوع كان يعلم أن تلك التجربة الصعبة سوف ينتج عنها شخصية جديدة مختلفة لسمعان بطرس، تلـــك الشخصـــية التي كان بطرس يحتاجها لكي يستطيع أن يتمم مشيئة الرب في حياته وأن يثبت اخوته.

لقـــد طلـــب الشيطان الإذن من الرب لكي يغربل بطرس بهدف أن يفني إيمانه، فقـــد كـــان يريد أن يقضي على ذلك الرجل الذي قد أخذ الكثير من الإعلانات من

الـــرب ويقضي على دعوة الرب العظيمة التي كانت على حياته ولكن الرب سمح بهــذه الغربلة من أجل هدف مختلف، فلقد سمح الرب للعدو بأن يقوم بتلك الهزة العنــيفة لــبطرس من أجل أن يزعزع كل الأشياء التي كان يجب أن تتزعزع في شخصية بطرس.

فعملـــية "الهـــز" أو "الغربلة" لأي شيء أو شخص عادة تحدث من أجل واحد من خمسة أهداف:

١. لكي تقرب هذا الشيء إلى أصله

٢. لكي تتخلص مما هو ميت أو فاسد فيه

٣. لكي تحصد ما قد نضج وطاب

٤. لكي توقظ أو تنبِّه

٥. لكي تنتج خليط متماسك لا يمكن فصله بعد ذلك

فنتـــيجة لتلك الغربلة والهزة العنيفة التي يواجهها بطرس، سوف تـــُنتزع كل أفكار أو دوافع وراءها الأنانية أو الكبرياء .. سوف تـــُتزعزع الثقة بالنفس التي كانـــت لدى سمعان بطرس ليبقى فقط أساس الله الثابت الذي لا يتزعزع .. سوف يســـتيقظ بطرس ويفيق ليرى نفسه على حقيقتها .. سوف يتخلص من كل ما هو ميـــت أو فاســـد فـــيه ليحصـــد ثمار ناضجة ومفيدة .. لن يعود بطرس الشخص المستقل بذاته بل سيصبح شخصاً عاملاً مع الرب متكلاً على نعمته وقوته.

لقـــد رد بطـــرس بشجاعة مقاوماً ما قاله يسوع وقال: "يا رب إني مستعد أن أمضـــي معك حتى إلى السجن وإلى الموت" (لوقا ٢٢: ٣٣)، ولكن مع الأسف لم

يكــن الــروح القــدس وراء تلك الكلمات، ولكن كان وراءها ثقة بطرس بنفسه وبقوته، فهو لم يستطع بعد أن يدرك ما كان على وشك أن يواجهه من غربلة.

الفرق بين يهوذا و سمعان بطرس

قــد يظن البعض أن بطرس كان من النوع الجبان الذي يتكلم كثيراً ولا يفعل، ومــع ذلك نجده عندما جاء الجنود لكي يقبضوا على يسوع في البستان أنه استل ســيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى (يوحنا ١٨: ١٠). أعتقد أن الجــبان لا يستل سيفه ويهجم على جنود الأعداء وهم يفوقونه في العدد والعدّة! إذاً لقد كان بطرس بالفعل شجاعاً وقوياً ولكن قوته كانت نابعة من قوة شخصيته وثقته بنفسه، لم يكن أساسها اتضاع ووداعة الرب وذلك لأن بطرس لم يكن قد تم غربلته بعد.

ثــم حــدث بعد ذلك بقليل ما تنبأ عنه يسوع، فنفس هذا التلميذ الشجاع القوي الذي كان مستعداً أن يموت من أجل يسوع شاهراً سيفه في وجه عشرات الجنود فــي البستان، لم يستطع مواجهة جارية صغيرة عندما قالت أنه من تلاميذ يسوع بل خاف وارتعب منها لدرجة أنه أنكر حتى معرفته ليسوع.

عــادة مــا نظن أن المواجهات الكبيرة فقط هي التي تجعل الكثيرين يسقطون، ولكن في الواقع كثيراً ما تنجح المواجهات الصغيرة في أن تهزنا وتسقطنا، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدل على عدم جدوى الثقة بالنفس، فالنفس البشرية أضعف بكثير من أن نثق بها.

وهكــذا عاد بطرس وأنكر معرفته بيسوع مرتين بعد تلك المرة أمام الجارية، وفــي الحال صاح الديك فتذكر بطرس ما قاله له يسوع وخرج خارجاً وهو يبكي بكــاءً مــراً. لقد تزعزعت كل ثقته بنفسه حتى أنه لم يكن يعتقد أنه سيتمكن من

النهوض مرة أخرى، نعم لقد فقد بطرس ثقته في نفسه ولكن دون أن يدري بقي شيء واحد داخله لم يـفقد، وهو ما أعلنه له الرب بالروح القدس.

إن سمعان بطرس ويهوذا الاسخريوطي يتشابهان في الكثير من الأمور ولا سيما في أنهما هما الاثنان قد خانا الرب يسوع في الأيام الأخيرة الحرجة من حياته، ولكن يظل هناك اختلافات جوهرية بين هذين الرجلين.

فيهوذا لم يكن جائعاً يوماً لمعرفة يسوع مثلما كان بطرس، فهو كان كثيراً ما يُظهر أنه يحب يسوع حيث أنه ترك كل شيء ليتبعه وكان دائماً يرافقه حيثما يمضي وتحمل الاضطهاد من الفريسيين ورؤساء الكهنة مع يسوع وباقي التلاميذ. لقد قام بإخراج الشياطين وشفاء المرضى والكرازة بالإنجيل (تذكر أن يسوع أرسل الإثنى عشر ليفعلوا هذا وليس إحدى عشر فقط). ولكن كل هذه التضحيات لم يكن أساسها محبته ليسوع ولا معرفته العميقة بحقيقة يسوع المسيح. لقد كان ليهوذا خططه الخاصة منذ البداية واستمر حتى النهاية دون أن يتوب عن أنانيته وحبه لذاته، وكانت كثيراً ما تكشف كلماته عن حقيقة شخصيته؛ مثل قوله: "ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه إليكم" (متى ٢٦: ١٥)، فكان يكذب وينافق من أجل مصلحته (متى ٢٦: ٢٥) وكان يسرق من أموال الخدمة إذ كان هو المسئول عن الصندوق (يوحنا ١٢: ٤-٦) ... وهكذا فالقائمة لا تنتهي، فهو لم يعرف الرب بالرغم من أنه أمضى ثلاثة أعوام ونصف كاملة في رفقته!

لقد ندم كل من بطرس ويهوذا على ما اقترفاه، ولكن يهوذا لم يكن لديه الأساس الثابت الذي كان لدى بطرس، فلأنه لم يكن جائعاً لمعرفة يسوع لم يُعلَن له يسوع. لو كان يهوذا لديه إعلاناً عن حقيقة يسوع لما فكر لحظة في خيانته، ولكن مع الأسف لقد اهتز وسقط أمام أول عاصفة قوية واجهت حياته!

دعونا نرى ما حدث:

"حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً: قد أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً. فقالوا: ماذا علينا، أنت أبصر. فطرح الفضة في الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه" (يوحنا ٢٧: ٣ – ٥).

لقد ندم وأدرك أنه أخطأ ولكنه لم يعرف المسيح ولم يعرف حقيقة قدر الشخص الذي خانه، فكل ما قاله هو: "لقد سلمت دماً بريئاً". لو كان يعرف المسيح كما كان يعرفه بطرس لكان ذهب إليه راكعاً وتائباً معتمداً على صلاح الرب، لكنه مضى وخنق نفسه فاختار بهذا أن يظل بعيداً كل البعد عن نعمة الرب. لقد أثبتت الغربلة التي تعرض لها يهوذا أنه كان يحيا بدون أساس ثابت بالرغم من أنه ظل يتبع يسوع لمدة ثلاثة أعوام كاملة.

هناك الكثير من الناس اليوم الذين صلوا يوماً ما صلاة سلموا فيها حياتهم للرب ثم بدأوا يواظبون على حضور الكنيسة ودراسة الإنجيل، كل هذا مع الأسف بدون أن يكون لديهم إعلاناً عن حقيقة يسوع المسيح، فبالرغم من أنهم يعترفون به بأفواههم لكنهم لا يعرفونه، لهذا عندما تواجههم عاصفة شديدة من التجارب والصعاب يعثرون سريعاً في الرب ويعثرون في إيمانهم به. كثيراً ما سمعت مثل هؤلاء وهم يقولون عبارات مثل: "إن الرب لم يفعل لي شيئاً! لقد جربت حياة الإيمان بالمسيح ولكن حياتي أصبحت أسوأ من ذي قبل "أو" لقد صليت وطلبت من الرب أن يفعل كذا وكذا في حياتي ولكن دون جدوى!".

إن مـــثل هؤلاء لم يعطوا حياتهم بالفعل للرب ولكنهم قرروا أن يتبعوه من أجل مصـــالحهم الشخصـــية وخدمـــوه لكي يعطيهم ما يحتاجون إليه لهذا هم يعثرون سريعاً.

هكذا وصفهم يسوع: "الذين حينما يسمعون الكلمة يقبلونها للوقت بفرح ولكن لـــيس لهم أصل في ذواتهم بل هم إلى حين، فبعد ذلك إذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فللوقت يعثرون" (مرقس ٤: ١٦ - ١٧).

لاحـــظ أنه قال أنهم يعثرون لأنهم ليس لهم أصل في ذواتهم. ترى ما هو الأصل الـــذي يجب أن نتأصل فيه؟ نجد الإجابة على هذا السؤال في أفسس ٣: ١٦ - ١٨: "وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة ..."

الأصل والأساس يجب أن يكون في محبتنا للرب.

لقد قال يسوع: "ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يوحنا ١٥: ١٣)

لا يمكن أن يضع أحد نفسه لأجل شخص لا يثق فيه، لهذا لن نستطيع أن نضع حياتـــنا لأجـــل الرب دون أن نعرفه المعرفة الكافية التي تجعلنا نثق فيه. يجب أن نعـــرف ونـــدرك جـــيداً طبيعة الرب وشخصيته حتى يكون لدينا الثقة الكاملة بأنه مستحيل أن يفعل أي شيء فيه ضرر أو أذى لنا، بل على العكس فهو دائماً يفعل أفضـــل شيء لنا، وحتى ما يبدو لنا أحياناً أنه في غير مصلحتنا وبالتالي يحبطنا فحتماً سنكتشف في النهاية أنه لخيرنا لو تمسكنا بالإيمان. إن الله محبة؛ ليس فيه أنانية ولا شر البتة، ولكن إبليس هو الذي يريد تدميرنا والقضاء علينا.

عـــادة ما ننظر لأحداث حياتنا من خلال نظرة ضيقة الأفق وهذا يشوه الصورة التـــي نراها، ولكن الرب ينظر للأمور التي نمر بها بنظرة بعيدة الأفق ترى ما لا

نــراه نحــن. لــذا إذا نظرنا للأمور بنظرتنا نحن الضيقة فستكون النتيجة إحدى أمرين:

أولاً، ســنكون فريســة ســهلة للعثرات إما من الرب أو من الأشخاص الذي يستخدمهم الرب لكي يتمم عمله فينا لينقينا ويغيــرّنا.

وثانــياً، ســوف يسهل خداعنا من العدو، فعادة ما يخدعنا العدو بأمر يبدو أنه صالح ومستقيم في أعيننا ولكنه في النهاية يؤدي إلى تدميرنا أو موتنا.

لــو تمسكنا بثقتنا وإيماننا بالرب فسنظل مقيمين ومحفوظين تحت عناية الآب وحمايته ولن نحاول أن نعتني نحن بأنفسنا بعيداً عن خطة الرب.

الثقة في معرفتنا لشخصية الرب وطبيعته

من إحدى الطرق التي يستخدمها إبليس لكي يجذبنا بعيداً عن الثقة بالرب هي أنه يحاول تشويه شخصية الرب أمام أعيننا، فلقد استخدم هذه الطريقة مع حواء في جنة عــدن عــندما ســألها: "أحقــاً قــال الله: لا تــأكلا مــن كــل شــجر الجــنة؟" (تكويــن ٣: ١). لقــد حــرّف في كلمات الرب لكي يشوه صورة الرب أمام حواء. فكلمــات الــرب لآدم كانت هكذا: "من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت" (تكوين ٢: ١٦ – ١٧).

فلقد كانت الحية تريد أن توحي لحواء أن الرب يمنع عنهم كل الخير الذي في الجنة، بينما كانت كلمات الرب تقول أن لهم كل الحرية أن يأكلوا من جميع خيرات الجنة ماعدا شجرة واحدة.

لقد كانت الحية تحاول تشويه صورة الرب أمام حواء فكان لسان حالها يقول: "إن الــرب لا يهــتم بكمـــا بدليل أنه يمنع عنكما خيراً عظيماً، فهو لا يحبكما كما تعتقدان، فهو ليس إله صالح!"

لقـــد خـــُدِعت حواء وصدقت كذب الحية التي كذبته عن شخصية الرب، وهكذا بدأت الشهوة للخطية تنمو بداخلها لأن كلمة الرب بالنسبة لها تحولت إلى ناموس بعد أن كانت حياة و"قوة الخطية هي الناموس" (كورونثوس الأولى ١٥: ٥٦).

ومـــا زال العـــدو يعمل بنفس الطريقة حتى اليوم، فهو يحاول بكل الطرق أن يشـــوه صورة الله الآب في أعين أولاده. فكلنا عشنا في مراحل مختلفة من حياتنا خاضـــعين لصورة أو أخرى من صور السلطة مثل الأب، المعلم، رئيس العمل أو الحكام ... وبالتأكيد كان منهم الأناني غير المحب والقاسي، ولأنهم جميعاً يمثلون صور مختلفة من صور السلطة لذا يصبح من السهل أن نتصور أن شخصية الرب تتشابه مع شخصياتهم حيث أن الرب هو السلطة العليا في حياتنا. لقد نجح العدو فـــي تشـــويه رؤيتـــنا لشخصية أبونا السماوي من خلال تشويهه لشخصية آبائنا الأرضيين.

لقـــد قـــال الرب أنه في آخر الأيام قبل مجيء المسيح الثاني سيرد قلب الأباء علـــى الأبناء (ملاخي ٤: ٦) أي أنه سيجعل شخصيته ومحبته تتراءى للناس من خلال القادة والخدام الذين يستخدمهم لكي يشفي جروح الكثيرين.

عندما تدرك من كل قلبك أن الرب مستحيل أن يفعل أي شيء يمكن أن يضرك أو يؤذيـــك، وأنه مهما فعل أو لم يفعل في حياتك فهو لخيرك ولمنفعتك القصوى، لو أدركت تلك الحقيقة سيكون من السهل أن تسلم للرب حياتك بالكامل، بل سوف تكون مستعداً لأن تضع حياتك بفرح لأجل سيدك.

لـــو أنـــك أعطيت نفسك بالكامل للرب يسوع وأودعت حياتك تحت رعايته فلن يســتطيع أي شـــيء أن يعـثرك لأنك لن تكون مِلك نفسك بل مِلكه هو. إن الذين يشـــعرون ســـريعاً بالجروح والإحباط هم في الواقع أشخاص يتبعون يسوع ليس لأنهم يريدون أن يتبعوه هو لشخصه إنما يريدون ما يستطيع يسوع أن يعطيه لهم مـــن بركات. عندما تكون هذه هي دوافعنا فإننا نجد أنفسنا فريسة سهلة للإحباط والعـــثرات، فالانحصار في الذات يجعل عيوننا الروحية قصيرة النظر فلا نستطيع أن نرى ظروفنا وأمورنا بعين الإيمان، ولكن عندما نعطي حياتنا حقاً للرب يسوع فإنـــنا نعرفه ونعرف شخصيته ونمتلئ بفرحه وبالتالي لن نتزعزع ولن نهتز ولن يستطيع العدو أن يحطمنا.

يصـــبح من السهل أن نـــعُثر عندما نحكم على الأمور بالمنطق الطبيعي فنحن بهـــذه الطريقة لا ننظر للأشياء بعين الروح القدس. فكثيراً ما اختبرت في حياتي مواقـــف كان الرب لا يجيبني بالطريقة أو في المساحة من الوقت التي كنت أظن أنـــه يجب أن يجيبني فيها، ولكن في كل مرة بعد ما ينتهي الموقف كنت أستطيع أن أدرك وأفهم حكمة الرب الفائقة.

فالأطفـــال عـــادة مـــا لا يفهمون ما يحاول آباؤهم أن يفعلونه معهم أو لماذا يفعلونـــه، وقـــد نحاول أن نشرح لهم وجهة نظرنا لكي يتعلموا من خبرتنا ولكن أحـــياناً كثيرة لا يستطيعون أن يفهمونا أو لا يستطيعوا أن يتفقوا معنا فيما نفعله بســـبب عدم نضوجهم ولكن مع مضي العمر بهم يفهمون ويستوعبون ما كانوا لا يفهمونه قبلاً.

هكـــذا الحـــال أيضـــاً مع أبينا السماوي، ففي تلك المواقف التي نجد أنفسنا لا نستطيع أن نفهم ماذا يفعل أو لماذا يفعله، فعلينا أن نقول بالإيمان: "أنا أثق بك يا رب حتى لو لم أفهم".

في عبرانيين ١١: ٣٥ - ٣٩، نجد قائمة طويلة لهؤلاء الذين لم يروا بعيونهم تحقيق الوعود التي أخذوها من الرب ومع ذلك لم يهتز إيمانهم:

"آخرون عذبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة أفضل. وآخرون تجربوا في هزء وجلد ثم في قيود أيضاً وحبس، رُجموا نُشروا جُرِّبوا ماتوا قتلاً بالسيف طافوا في جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين مذلين، وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم. تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض. فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان لم ينالوا الموعد".

هؤلاء قرروا أنهم لا يريدون سوى الرب مهما كانت التكلفة ومهما كان الثمن، فلقد ظلوا مؤمنين به وواثقين فيه حتى لو ماتوا دون أن ينالوا الوعود التي وعدهم بها. لم يستطع أي شيء أن يُعثرهم!

إننا نصبح متأصلين وثابتين حينما نحمل في قلوبنا مثل هذه المحبة الملتهبة للرب والثقة الكاملة فيه، حينذاك لن تستطيع أي عاصفة مهما كانت شديدة أن تزعزعنا. ولكننا لا نحصل على هذا عن طريق الإرادة القوية أو قوة الشخصية، بل إنه هبة مجانية من نعمة الرب يأخذها كل من يضع كل ثقته في الرب ويرفض أن يتكل على ثقته في ذاته. ولكن أن تعطي نفسك للرب هكذا بلا حدود يجب أولاً أن تعرف الشخص الذي بيده حياتك.

يعطي نعمة للمتواضعين

لم يعد سمعان بطرس قادراً على أن يفتخر بكونه عظيماً، فلقد فقد ثقته الطبيعية بنفسه ورأى بوضوح أن قوة إرادته وشخصيته هي في الواقع بلا جدوى وكلا شيء، وهكذا تواضع بطرس وأصبح بتواضعه هذا مؤهلاً لكي يأخذ نعمة من

الرب، فالرب يعطي نعمة للمتواضعين أي أن التواضع هو شرط أساسي لكي تأخذ نعمة من الرب.

لقــد تعلــم بطــرس هــذا الدرس جيداً لهذا كتب في رسالته يقول: "وتسربلوا بالتواضــع لأن الله يقــاوم المســتكبرين وأمــا المتواضــعون فيعطــيهم نعمة" (رسالة بطرس الأولى ٥: ٥).

لقــد واجه بطرس هزة عنيفة لدرجة جعلته يستسلم، وقد كان هذا واضحاً من الرسالة التي قالها ملاك الرب لمريم المجدلية عند القبر، إذ قال: "لكن اذهبن وقلن لتلامــيذه .. ولــبطرس .. أنــه يســبقكم إلــى الجليل. هناك ترونه كما قال لكم" (مرقس ١٦: ٧).

لقــد أشار الملاك إلى بطرس بالتحديد ذلك لأن بطرس كان قد وصل إلى درجة مــن الإحــباط كــادت أن تحطمه ولكن الرب كان قد وضع أساساً ثابتاً له، وهذا الأساس لن يضيع وهو يواجه تلك الغربلة العنيفة بل على العكس سوف يزداد في القوة والصلابة.

إن يسوع ليس فقط غفر لبطرس ولكنه أيضاً شفاه وأحياه من جديد، فبعد تلك الغــربلة التــي خاضــها أصبح بطرس الآن مؤهلاً لأن يكون واحداً من الأعمدة الرئيسية في الكنيسة .. فهو الذي أعلن قيامة المسيح بشجاعة أمام هؤلاء الذين صــلبوه وكــانوا مسئولين عن موته بل أنه استطاع أن يواجه المجمع اليهودي بأجمعــه وليس فقط جارية بسيطة، واجههم ووقف أمامهم بكل شجاعة وبسلطان عظيم.

إن الــتاريخ يسجل أن بطرس قد تم صلبه مقلوباً برأسه إلى أسفل بعد سنوات طويلة من خدمته الأمينة للرب، فلقد أصرَّ على أنه غير مستحق أن يموت بنفس

الميــتة التــي مــات بها سيده، لهذا صلبوه مقلوباً. لم يعد بطرس يخاف من أي شيء، فلقد أصبح صلب كالحجارة مبني على أساس ثابت من الصخر.

إن تجــارب الحــياة وتحدياتها سوف تكشف عن حقيقة ما في قلبك، فتعرضك للــتجربة أو الامتحان سوف تكون نتيجته أحد أمرين: إما أن تشعر بالمرارة تجاه الرب وتجاه الآخرين، أو سوف تزداد في القوة والصلابة. فلو نجحت في الامتحان سوف تمتد جذورك وتتأصل في العمق لتثبتك وتثبت مستقبلك كله، ولكن لو فشلت فــي أن تجــتاز الــتجربة بــنجاح فسوف تــعُثر ويصبح قلبك مشوهاً بالمرارة والجروح.

يا رب لقد خدمتك بكل طاقتي، فلماذا ...؟!

عــندما كنت راعياً للشباب في الكنيسة كان هناك شاباً ضمن مجموعة الشباب فــي الــرابعة عشر من عمره وكان محبوباً ومقدَّراً من جميع القادة في الكنيسة ومــن أصدقائه أيضاً، فلقد كان طالباً متفوقاً ورياضي متميز كما كان غيوراً على الخدمــة وجائعاً لأمور الرب، فلقد كان يشارك في الكثير من الخدمات في الكنيسة بحمــاس وكــان لا يتوانى عن أن يكرز ويشهد عن الرب لكل من يقابله. لقد كان يقضــي أربعــة ساعات يومياً في الصلاة وكان كثيراً ما يشاركنا بما يسمعه من الرب وكان دائماً ما يشاركنا به عميق وبنـّــاء. لقد كان لهذا الشاب دعوة واضحة مــن الــرب على حياته ولقد كان يعلم ذلك جيداً حتى أنه كان يرغب في أن يكون راعياً في الكنيسة قبل أن يصل للعشرين من عمره. لقد كان قوياً وثابتاً في إيمانه فكان يبدو لكل من يراه أنه صخرة لا يمكن أن تتزعزع.

لقــد أحببت ذلك الشاب جداً وكنت أدرك دعوة الرب التي على حياته لذلك كنت أشجعه وأقضي معه أوقاتاً كثيرة لأعلمه وأبنيه ولكن ظل هناك أمراً واحداً يؤرقني

فـــي هذا الشاب وهو ثقته الزائدة في نفسه وفي قدراته، وكلما حاولت أن أتحدث معـــه فـــي ذلك الأمر كنت أجد ما يمنعني في روحي، ولكنني كنت واثقاً أن تغييراً لابـــد وأن يطرأ في شخصيته في يوم من الأيام. ومع ذلك كثيراً ما كنت أرتاب في قدرتي على التمييز إذ كنت أراه يواجه العديد من العواصف والتجارب الشديدة في حياته ويخرج منها قوياً ثابتاً.

ثـــم مرت سنوات وانتقل ذلك الشاب إلى مكان آخر وبدأت أنا في السفر كثيراً خارج البلاد للخدمة ولكننا ظللنا على اتصال وكنت لا أزال أشعر طوال تلك الفترة أن ذلـــك الشاب يحتاج لأن يمر بغربلة حتى يستطيع أن يتمم خطة الله لحياته، لم أكـــن أعـــرف متى أو كيف ستكون تلك الغربلة ولكنني كنت أعرف أنها ضرورية لذلك الشاب كما كانت ضرورية لسمعان بطرس.

وعـــندما بلغ ذلك الشاب الثامنة عشر من عمره أصيب والده بمرض السرطان وكان المرض في مرحلة متأخرة فظل الشاب ووالدته يصومان ويصليان كثيراً من أجـــل شفائه وكان عندهم إيمان أكيد أنه سوف يشفى ولكن مع الأسف كانت حالة والـــده تـــزداد سوءاً يوماً بعد يوم. وفي إحدى الأيام كنت أخدم في مدينة بولاية ألاباما حين اتصلت بي زوجتي وطلبت مني أن أتصل بذلك الشاب لأمر ضروري، وعـــندما اتصلت به أدركت أنه في حاجة لمن يشجعه ويقويه لذلك بعد أن أنهيت خدمتـــي قضـــيت اللـــيل كله في السفر حتى وصلت إلى منزله في الرابعة صباحاً وعندما وصلت وجدت والده في حالة سيئة جداً لدرجة أن الأطباء كانوا يتوقعون وفاته في أي لحظة، ولكن بالرغم من ذلك ظل ذلك الشاب واثقاً ومتأكداً أن والده سوف ينقذ ويشفى فصليت معه ومع أسرته لبضع ساعات ثم رحلت. وفي الصباح التالـــي اتصل بي الشاب وقال لي أن حالة والده ما زالت تزداد سوءاً، فاتحدت أنا وزوجتـــي فـــي الصلاة من أجله وبينما نحن نصلي أعطى الرب لليزا رؤيا، فلقد

شاهدت يسوع واقفاً بجانب والد ذلك الشاب في فراشه لكي يأخذه معه للسماء وبعد نصف ساعة فقط اتصل بنا الشاب ليخبرنا أن والده قد انتقل.

لقد كان يبدو وهو يحدثني أنه قوياً ومتماسكاً، ولكن كانت هذه فقط البداية، ففي تلك الليلة اتصل ذلك الشاب بأصدقائه لكي يخبرهم بخبر وفاة والده ولكن لدهشته وجدهم يبكون وينوحون من قبل أن يخبرهم بأي شيء فسألهم متعجباً: من أين سمعوا الخبر؟ ولكنه فوجئ أن سبب بكائهم لم يكن معرفتهم بوفاة والده بل كان بسبب وفاة أحد أعز أصدقائه كان قد لقي حتفه في حادث سيارة في نفس اليوم!

نعم .. في نفس اليوم فقد ذلك الشاب والده وأعز أصدقائه معاً!

وبدأت الغربلة! فلقد وجد ذلك الشاب نفسه مرتبكاً ومذهولاً ومحبطاً وكان يبدو له أن حضور الرب قد فارقه.

وبعد مضي شهر واحد، كان ذلك الشاب يقود سيارته حين لاحظ أن هناك حادثة فظيعة على جانب الطريق، فنزل مسرعاً من سيارته للمساعدة خاصة أنه كان قد أخذ تدريباً طبياً للإسعافات الأولية في الطوارئ، ولكن كانت الصدمة حين وجد أن في كل من السيارتين المتصادمتين صديقاً عزيزاً له وقد مات الصديقان بين يديه وهو يحاول إنقاذ حياتهما!

وهنا وصلت الغربلة إلى ذروتها ولم يعد صديقي قادراً على تحمل المزيد، فذهب بمفرده إلى مكان خلاء وأخذ يصرخ للرب لمدة ثلاث ساعات متواصلة قائلاً: "يا رب أين أنت؟! لقد وعدت أنك ستكون دائماً هناك لتعزيتي ولكنني لا أشعر بأي تعزية!!". لقد كان يشعر أن الرب قد خذله وأنه حجب وجهه عنه ولكن في الواقع كانت هذه أول مرة تخونه ثقته بنفسه وبقوته. لقد أصبح ذلك الشاب

فـــي حالة من الغضب من الرب لأنه سمح بكل هذا أن يحدث له. لم يكن غضبان من راعي الكنيسة أو من عائلته أو مني إنما كان غضبه من الرب. لقد تملك منه الإحباط واليأس لأنه شعر أن الرب قد تخلى عنه وخذله في أصعب وقت في حياته لـــذا أُعـــثر فيه. وصلى ذلك الشاب إلى الرب قائلاً: "يا رب لقد خدمتك بكل طاقتي وضحيت بالكثير من أجلك ولكنك تركتني! فلماذا؟!". لقد كان يظن أن الرب مديون له لأنه ضحى بالكثير من أجل الرب وخدمه كثيراً.

إن هـــذا هـــو الحال مع الكثير من المؤمنين هذه الأيام، بعضهم اختبر جروحاً وتجـــارب أقـــل حدة مما اختبره ذلك الشاب وبعضهم اختبر ما هو أقسى وأصعب ولكـــن جميعهم يتشابهون في أنهم أعثروا في الرب، فلقد كانوا يؤمنون أن الرب يجـــب أن يقـــدّر مـــا قدموه له من تضحيات وما فعلوه لأجله في الخدمة، فهم لم يخدمـــوا الرب بدوافع نقية، فنحن لا يجب أن نخدم الرب من أجل ما سوف يعطيه لـــنا فـــي المقـــابل ولكنـــنا نخدمه لشخصه ولأجل ما قد سبق وأعطاه لنا بالفعل، فهـــؤلاء الذين أعثروا في الرب لا يدركون حجم الدين الذي دفعه عنهم الرب لكي يطلقهـــم أحـــرار بل أنهم نسوا حالة الموت التي كانوا فيها قبل أن يحييهم الرب يسوع، فهم ينظرون للأمور بعيونهم الطبيعية وليس بعيونهم الروحية.

لقـــد امتـــنع ذلـــك الشاب عن حضور الكنيسة وبدأ في مرافقة أصدقاء السوء والـــتردد علـــى الحانات والحفلات، فهو في يأسه وإحباطه رفض أن يكون له أي علاقـــة بالـــرب وبـــأمور الرب. ولكن لم يستطع أن يحتمل حياته هكذا لأكثر من أســـبوعين لأن الروح القدس ظل يبكت قلبه بشدة ولكنه مع ذلك لم يكن قادراً أن يقـــترب إلـــى الرب لمدة ستة أشهر كاملة فقد كان يشعر وكأن السماء قد أغلقت أمامـــه وأن حضـــور الرب أصبح بعيداً جداً. ومضت سنة كاملة رأى من خلالها الـــرب وهـــو يتدخل في أمور كثيرة في حياته حتى قرر في النهاية أن يرجع إلى الـــرب ولكن في هذه المرة رجع مختلفاً، فلقد رجع متضعاً ومكسوراً، وحينئذ بدأ

الرب يعلن له عن محبته وعن أمانته وعن أنه لم يتخلى عنه ولم يتركه طوال تلك الفـــترة حـــتى وهـــو فـــي أصعب وأسوأ حالاته. وهكذا استرد ذلك الشاب حياته وعلاقـــته بالـــرب ولكن بعد أن تعلم جيداً أن يضع كل ثقته في نعمة الرب وقوته وليس في ثقته بنفسه ولا في قوته الشخصية.

لقـــد ظللت على اتصال به وبعد سنة ونصف قال لي يوماً أنه استطاع أن يرى فـــي نفسه ما لم يكن يعرفه أو يتوقعه عن نفسه طوال حياته. فقال لي: "لقد كنت بـــلا شخصـــية واضـــحة أتعامل بسطحية في كل علاقاتي، فلقد علمني والدي منذ الصغر أن أكون قوياً معتمداً على ذاتي واثقاً من نفسي ولكنني لو كنت ظللت هكذا لمـــا كان من الممكن أن أتمم خطة الرب لحياتي ولكنني أشكر الرب من كل قلبي أنـــه لـــم يتركني في هذه الحالة. ولكن ما يحزن قلبي حقاً ليس هو ترددي على الحانات وسقوطي في الخطية في حد ذاته، إنما ما يحزنني هو أنني أطفأت الروح القدس في داخلي وفقدت علاقتي وشركتي معه بالرغم من حبي الشديد له. ولكن أشكر الرب لأنني استرددت علاقتي معه والآن أنا أتمتع بشركة مع الروح القدس لم أختبر مثلها طوال حياتي!"

لقـــد مر ذلك الشاب بهزة عنيفة في حياته استطاعت أن تزعزع ثقته في نفسه ولكـــن كان لديه أساس ثابت مثلما كان لسمعان بطرس، ذلك الأساس لم يتزعزع. والآن بدلاً من أن يبني حياته على الكبرياء، هو يبنيها على نعمة الرب وقوته.

إن التجارب والصعاب تكشف ما في حياتنا من نقاط ضعف قابلة للكسر، فعادة الأمور التي نظن أنها نقاط قوتنا تكون في الواقع هي نقاط ضعف مختبئة وستظل مختبـــئة حـــتى تأتـــي عاصفة قوية ترفع الغطاء عنها وتكشفها. لقد قال الرسول بولـــس: "لأنـــنا نحن الختان الذين نعبد الله بالروح ونفتخر في المسيح يسوع ولا نتكل على الجسد" (فيلبي ٣: ٣).

مـــن المســـتحيل أن نصـــنع أي أمر له قيمة روحية وأبدية متكلين على قوتنا الذاتية أو على الجسد. قد نردد تلك الكلمات كثيراً وبسهولة ولكن المهم أن تصبح حقيقة ثابتة ومغروسة في قلوبنا وليست مجرد كلمات نرددها.

الفصل التاسع

صخرة عثرة

إن يسوع لم يساوم يوماً في قول أو فعل الحق خوفاً من أن يجرح أو يعثر الآخرين

"ها أنذا أضع في صهيون حجر زاوية مختاراً كريماً والذي يؤمن به لن يخزى. فلكم أنتم الذين تؤمنون الكرامة وأما للذين لا يطيعون فالحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية وحجر صدمة وصخرة عثرة، الذين يعثرون غير طائعين للكلمة، الأمر الذي جُعلوا له" (رسالة بطرس الأولى ٢: ٦-٨).

في هذه الأيام ضعف معنى كلمة (الإيمان) لدي الكثير من المؤمنين، فهي في نظر الكثيرين تعني مجرد المعرفة اليقينية العميقة لحقيقة ما وأن الإيمان ليس له علاقة بالطاعة، ولكننا نجد في الآيات السابقة أن كلمة (تؤمنون) تأتي في النقيض لكلمة (لا يطيعون).

فكلمة (الإيمان) في الكتاب المقدس لها معنى أعمق بكثير مما نعرفه، ففي الآيات السابقة يتضح لنا أن أهم عنصر من عناصر الإيمان هو الطاعة. لذلك يمكننا أن نقرأ الآيات السابقة بهذا الشكل:

"فلكم أنت الذين تطيعون الكرامة وأما الذين لا يطيعون فالحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية وحجر صدمة وصخرة عثرة".

لن يكون من الصعب عليك أن تطيع لو أنك عرفت شخصية من تطيعه وأدركت عمق محبته، فالمحبة هي أساس علاقتنا بالرب.. ليس محبة الوصايا أو التعاليم بل محبة شخص يسوع المسيح نفسه. فلو اهتزت محبتك للرب يسوع فسوف تكون فريسة سهلة للعثرات والصدمات.

إن بني إسرائيل، الذين سماهم الرب في هذه الآية (البناءون)، قد رفضوا الحجر الذي وضعه الرب رأساً للزاوية وهو يسوع المسيح. لقد كانوا يحبون

تعاليم العهد القديم التي بين أيديهم وكانوا يحبون تفسيرهم الخاص لها لأنه كان يخدم مصالحهم ويعطيهم الفرصة لكي يتسلطوا على الآخرين ويستغلونهم، ولكن يسوع، على العكس، كان يتحدى طقوسهم وتقاليدهم التي كانوا يعتزون بها ويتمسكون بها.

فلقد واجههم يوماً قائلاً: "فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهي التي تشهد لي" (يوحنا ٥: ٣٩).

فهم لم يستطيعوا أن يفهموا حقيقة أن الرب منذ البدء كان يسعى لأن يكون لديه أبناء وبنات يتمتع معهم بعلاقة شخصية وحميمة، أما هم فقد كانوا يسعون وراء السلطة والحكم لذلك كان الناموس في نظرهم أهم من العلاقة الحميمة مع الرب. لقد رفضوا ما جاء الرب لكي يهبه لهم مجاناً وفضلوا أن يحصلوا عليه بمجهودهم، لذلك تحولت نعمة الرب المجانية التي في شخص يسوع المسيح والتي هي رجاءهم للحياة والخلاص، تحولت لتصبح "حجر صدمة وصخرة عثرة" بالنسبة لهم.

لقد تنبأ سمعان وهو يحمل الطفل يسوع في الهيكل وقال: "ها إن هذا قد وُضِع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل" (لوقا ٢: ٣٤).

لاحظ أنه قال "لسقوط وقيام كثيرين"، فيسوع الذي أرسله الآب لكي يحقق السلام على الأرض أصبح هو نفسه الشخص الذي يلقي سيفاً بين هؤلاء الذين كان مرسلاً إليهم (انظر متى ١٠: ٣٤).

يسوع والعثرات

تعودنا في مدارس الأحد أن نرى صورة يسوع وهو يحمل الخروف الضال

بحـــنان علـــى كتفيه ليعود به إلى باقي القطيع، أو وهو يأخذ الأطفال في حضنه ليباركهم، أو وهو يبتسم ابتسامة عذبة ويقول "أحبكم".

وعلـــى قـــدر مـــا تعبر هذه الصور بالفعل عن حقيقة يسوع إلا أنها لا تعطي صورة كاملة له ولشخصيته.

فيســـوع، هـــذا الشـــخص الرقيق الذي في الصور، هو نفسه الذي كان ينتهر الفريســـيين بســـبب بـــرهم الذاتي ويقول لهم: "أيها الحيات أولاد الأفاعي! كيف تهربون من دينونة جهنم" (متى ٢٣: ٣٣)،

وهو نفسه الذي قلب موائد الصيارفة وطردهم من الهيكل (يوحنا ٢: ١٣-٢٢)، وهـــو الذي قال للرجل الذي كان يريد أن يذهب ليدفن والده قبل أن يأتي ويتبعه: "دع الموتـــى يدفنون موتاهم وأما أنت فاذهب وناد بملكوت الله" (لوقا ٩: ٥٩-٦٠) ... والقائمـــة لا تنتهـــي، فلـــو نظرنا بتدقيق لخدمة يسوع فسنجد أنه كان رجلاً يواجه الكثيريـــن بالحق أثناء خدمته لدرجة كانت كثيراً ما تجعلهم يتضايقون منه ويعثرون فيه.

فدعونا ننظر فيما يلي إلى بعض الأمثلة:

• يسوع مع الفريسيين

في مواقف كثيرة كان يسوع يواجه الفريسيين وقادة اليهود بقوة لدرجة كانت تضـــايقهم وتعـــثرهم، ولهـــذا السبب كرهوه وأرسلوه للصليب. ولكن يسوع كان يواجههم بالحق، ذلك لأنه كان يحبهم.

فلقـــد واجههـــم يوماً قائلاً: "يا مراؤون، حسناً تنبأ عنكم أشعياء قائلاً: يقترب إلـــي هـــذا الشـــعب بفمـــه ويكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً وباطلاً

يعبدونني..." (متى ١٥: ٧-٩).

لقــد ضــايقتهم تلك الكلمات التي قالها يسوع، فلقد سأله تلاميذه بعد ما قالها: "أتعلم أن الفريسيين لما سمعوا القول نفروا؟" (متى ١٥: ١٢)

ولكن انظر جيداً لرد فعل يسوع:

"فأجاب وقال: كل غرس لم يغرسه أبي السماوي يُقلــَع. اتركوهم، هم عميان قادة عميان وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة" (متى ١٥: ١٣ - ١٤)

لقــد أعلن يسوع أن المواجهة بالحق تقلع فقط هؤلاء الذين ليسوا مغروسين بيد الأب السماوي. فكم من أشخاص ينضمون إلى كنائس أو أنواع خدمة مختلفة دون أن يكونــوا بــالفعل مرسلين من الرب؟ لذلك فالمواجهة التي تحدث لهم مع الحــق دائمــاً ما تكشف عن دوافعهم الحقيقية وعادة ما تجعلهم يقلعون أنفسهم بأنفسهم.

في زياراتي للكثير من الكنائس رأيت رعاة هذه الكنائس كثيراً ما ينوحون على أشــخاص رحلوا وتركوا الكنيسة سواء كانوا من الخدام أو من الشعب، وعادة ما يكون سبب رحيلهم هو أنهم أعثروا أو تضايقوا عندما تعرضوا لمواجهة مع الحق الذي هو عكس ما يعيشون به والنتيجة كانت أنهم أصبحوا ناقمين وناقدين لكل ما في الكنيسة وفي النهاية رحلوا.

ولكــن لــو حاول رعاة الكنيسة أن يحتفظوا ويتمسكوا بكل شخص ينتمي إلى كنيســتهم، فسينتهي بهم الحال إلى أنهم سيجدون أنفسهم مضطرين لأن يساوموا فــي الحــق ويقدموا العديد من التنازلات التي ليست بحسب مشيئة الرب. لهؤلاء أقــول: "لــو تمسكت بأن تعظ وتعلن الحق دائماً فلابد وأن هذا سيضايق الكثيرين لدرجــة قد تجعلهم يرحلون، فلا تنوح عليهم بل بالعكس استمر في رعاية وبناء

هؤلاء الذين بالفعل مرسلين من الرب لك".

فلقد رأيت بعض القادة يتجنبون المواجهة خوفاً من أن يفقدوا من يحتاجون أن يواجهوهـم خاصة لو كانوا من الذين لهم دور هام ومؤثر في الخدمة أو من لهم مكانــة خاصــة فــي المجـتمع، والبعض الآخر يخافون من أن يجرحوا مشاعر أشخاص تربطهم بهم علاقة قوية لوقت طويل، ونتيجة لخوفهم هذا من المواجهة يفقــد هــؤلاء القادة السلطان المعطى لهم من الرب لحماية ورعاية من وضعهم الرب تحت رعايتهم.

فعندما أصبحت راعي في الكنيسة لأول مرة، جاءني رجل حكيم وحذرني قائلاً: "تمسك جيداً بالسلطان المعطى لك من الرب ولا تفقده وإلا سيأتي آخر ويأخذه منك ويستخدمه ضدك".

لقــد كان صموئيل النبي مثالاً لرجل الله الذي لا يساوم في الحق حتى ولو أمام الملك. فعندما عصى شاول الملك قول الرب، طلب الرب من صموئيل أن يذهب له ويواجهــه وقد فعل ولكن مع الأسف لم يتجاوب شاول مع كلمة الرب المرسلة له مــن خــلال صموئيل بتوبة حقيقية وذلك لأنه كان يهتم بنظرة الناس له أكثر من طاعــته للــرب، ولكن عندما تحول صموئيل عنه ليمضي في طريقه أمسك شاول بذيــل جبته فتمزق وهنا نظر له صموئيل وقال: "يمزق الرب مملكة إسرائيل عنك اليوم" (صموئيل الأول ١٥: ٢٨).

لم يكن هذا ما كان يريده صموئيل أن يحدث لشاول، فالكتاب يقول أن صموئيل ناح على شاول بعد ذلك. فلقد مسح صموئيل شاول ملكاً ودربه وعلمه كيف يحكم ويسـيطر علــى مملكته، بل أن صموئيل كان صديقاً شخصياً لشاول الملك، ولكن انظر ما الذي قاله الرب لصموئيل عندما كان ينوح على شاول:

"حـــتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته عن أن يملك على إسرائيل؟ املأ قرنك دهناً وتعال أرسلك ..." (صموئيل الأول ١٦: ١)

لقد كان الرب يريد أن يقول لصموئيل أنه لكي يستمر في خدمته ويستمر زيت المســحة علـــى حياته، يجب أن يبقى دائماً متيقناً من محبة الرب الكاملة وحكمه العــادل. فلو كان صموئيل رجع إلى شاول مرة أخرى بالرغم من رفض الرب له لكان فــقد مسحته ولن يعود قرنه ممتلئاً دهناً، ولو كان استمر في النوح والبكاء عليه لكان بقي في مكانه دون أن يرسله الرب ليمسح شخصاً آخر.

وهكــذا الحال مع القادة الذين يستمرون في النوح على من تركوا كنائسهم أو يرفضون مواجهة بعض الأشخاص لأنهم أصدقاء لهم ويخشون أن يفقدوهم، فإن هــذا ســوف يــؤدي بهــم في النهاية إلى حالة من الجفاف الروحي فيجف زيت المسحة الذي على حياتهم دون أن يدروا.

فكم من خدمات ماتت وأخرى فيها شبه الحياة ولكنها ميتة وكل هذا لأن قادتها فضلوا علاقتهم بالناس أكثر من علاقتهم بالرب. ولكن الكتاب المقدس لم يذكر أن يسوع كان ينوح على من يتركونه ذلك لأن مسرته كانت فقط في أن يفعل مشيئة الآب وليس مشيئة الناس.

أذكــر أننـــي ذهبــت يومـــاً لأعظ في إحدى الكنائس حيث قلت رسالة بسيطة وواضحة عن ضرورة التوبة والرجوع إلى المحبة الأولى وقد شعرت أثناء العظة بمقاومـــة فـــي استقبال الناس للعظة ولكنني كنت أعلم جيداً أن هذه هي الرسالة التي يريدني الرب أن أتكلم بها. وبعد انتهاء الخدمة، جاءني راعي الكنيسة ليقول لي:

"لقد أعلن الرب لي عما قلته في العظة هذا الصباح ولكنني كنت أظن أن الناس

في كنيستي ليسوا مستعدين بعد للاستماع إلى مثل هذه الرسالة". وهنا شعرت زوجتي أن الروح القدس يدفعها لكي تقول له: "من هو راعي هذه الكنيسة؟ أنت أم يسوع؟". تأثر راعي الكنيسة وقال لها: "هذه بالضبط هي الكلمات التي قالها لي الرب منذ شهر مضى، فلقد قال لي أنه يعرف ما يحتاجه الناس في كنيستي أكثر مني". ثم أخبرنا أن معظم شيوخ هذه الكنيسة وأعضائها لا يقبلون أي تغيير يطرأ في نظام الاجتماع أو التسبيح أو الوعظ، ولكننا شجعناه أن يكون قوياً وشجاعاً ويطيع الرب فيما يطلبه منه مهما كانت النتيجة.

لقد وعظت أربعة مرات في هذه الكنيسة بعد تلك العظة وفي كل مرة كانت تزداد الرسالة في القوة والصعوبة، وأخيراً تركت المدينة عائداً إلى بيتي ولكنني فوجئت بشعور غريب ينتابني وكأنني أحمل طن من الرمل على قلبي، لم أفهم حينذاك سبب ذلك الشعور ولكنه ظل يتزايد طوال الطريق. فبالرغم من أنني عادة في كل مرة أنتهي من الخدمة في كنيسة ما كنت أشعر بفرح يملأ قلبي إلا أنني في هذه المرة كنت أشعر بانزعاج وثقل لم أكن أعرف سببه. وأخيراً وصلت إلى منزلي وانفردت على الفور بالرب وسألته: "أبي السماوي، ما الخطأ الذي فعلته؟ لماذا أشعر بهذا الثقل في روحي؟ هل تعديت على سلطة ذلك الراعي؟"

ففوجئت بصوت الرب يقول لي: "انفض الغبار عن رجليك" (لوقا ٩: ٥).

لقد صدمت حين سمعت الرب يقول لي هذه الكلمات لذا صليت مرة أخرى وسألته، ولكنه عاد وأجابني بنفس الكلمات: "انفض الغبار عن رجليك". وفي النهاية أطعت وبالفعل نفضت الغبار عن رجليّ وما أن انتهيت من فعل ذلك إلا وفوجئت بأن الثقل قد زال وامتلأ قلبي بالفرح. ومرة أخرى سألت الرب مندهشاً: "لماذا يا رب؟ إنهم لم يهاجموني ولم يطردوني". ولكن الرب أراني أن القادة والكثير من الناس لم يقبلوا الكلمة التي أرسلها الرب لهم من خلالي، فتضرعت

إلى الرب قائلاً: "يا رب أرجوك أعطهم فرصة أخرى.. امنحهم المزيد من الوقت!"

ولكن الرب قال لي: "حتى لو انتظرت خمسين سنة أخرى، فأنا أعرف أنهم لن يتغيروا لأنهم أعدوا قلوبهم على عدم طاعتي".

لقد أدركت حينذاك أن راعي الكنيسة قد اختار أن يحفظ السلام في الكنيسة عن طـريق المساومة في الحق بدلاً من أن يختار أن يطيع الرب مهما كانت التكلفة، ولهذا لم يعد قرنه ممتلئاً دهناً، فلقد كان له الشكل ولكن دون القوة، فقد كان يبدو للجمـيع أنـه شخص مملوء من الروح القدس ولكنه فقد قوة الروح القدس في خدمـته وفقد حضور الرب. وبعد فترة، سمعت أنه تنحي عن رعوية الكنيسة وأن الكنيسة تضاءلت جداً عما كانت.

إن يسـوع لـم يقبل أن يتحكم فيه آخرون فلقد كان يتكلم بالحق حتى لو كان كلامه قد يضايق أو يزعج من يسمعه. لو كنت تسعى لإرضاء الناس فسوف تطفئ مسـحة الرب التي على حياتك، لذلك يجب أن تعد قلبك لأن تعلن كلمة الرب وأن تفعل مشيئته حتى لو كان هذا سوف يضايق الكثيرين.

• يسوع مع أهل وطنه

لقـد جـاء يسـوع إلى أهل وطنه ليخدم بينهم ولكن مع الأسف لم يستطع أن يمنحهم ما منحه لكثيرين غيرهم من حرية وشفاء.

فلقد قالوا عنه: "أليس هذا ابن النجار؟ أليست أمه تدعى مريم وأخوته يعقوب يوسي وسمعان ويهوذا؟ أو ليست أخواته جميعهن عندنا؟ فمن أين لهذا هذه كلها؟ فكـانوا يعثرون به. وأما يسوع فقال لهم: ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته" (متى ١٣: ٥٥ – ٥٧).

لقـــد كان الرجال والنساء في الناصرة يقولون عن يسوع: "من يظن نفسه هذا الرجل حتى يعلمنا وكأنه له سلطان علينا؟ إننا نعرفه ونعرف أصله، فلقد تربى هنا في وسطنا وهو لا يتعدى ابن نجار فمن أين أتى بهذا التعليم وهذه المعرفة؟"

ولكـــن يسوع لم يساوم في إعلان الحق لكي يتجنب أن يعثرهم أو يضايقهم، فلقـــد امتلأوا غضباً منه لدرجة أنهم حاولوا أن يطرحوه إلى أسفل من فوق حافة الجبل لكي يقتلوه (لوقا ٤: ٢٨ – ٣٠)، ولكن بالرغم من أن حياته كانت في خطر إلا أنه استمر يعلن الحق دون مساومة ودون تنازلات.

كم نحتاج إلى رجال ونساء في الكنيسة مثل هذا اليوم!

• يسوع مع أقرباؤه وأهل بيته

حـــتى أهل بيته وأقرباؤه تضايقوا من يسوع في يوم من الأيام، فهم لم يكونوا سعداء بما كانوا يتعرضون له من ضغط بسبب ما كان يسوع يفعله ويقوله وكانوا غير راضين عن الطريقة التي كان يتصرف بها. فدعونا ننظر ما حدث:

"ولما سمع أقرباؤه خرجوا ليمسكوه لأنهم قالوا أنه مختل............ فجاءت حينئذ أخوته وأمه ووقفوا خارجاً وأرسلوا إليه يدعونه وكان الجمع جالساً حوله، فقالوا له: هوذا أمك وأخوتك خارجاً يطلبونك. فأجابهم قائلاً: من أمي وإخوتي؟ ثم نظـــر حولـــه إلى الجالسين وقال: ها أمي وأخوتي، لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي" (مرقس ٣: ٢١، ٣١-٣٥)

حتى أقرباء يسوع ظنوا أنه مختل وخرجوا ليمسكوه، مرقس الرسول يوضح بعد ذلك أن أقرباؤه هم أمه وأخوته الذين وجدوه يوماً يُعلـــم في بيت أحد الأشخاص بل أنه مكتوب في إنجيل يوحنا أن "أخوته لم يكونوا يؤمنون به" (يوحنا ٧: ٥).

لا يعرف الكثيرون أن يسوع كان مرفوضاً من أقرب الناس إليه ولكنه لم يبالي بذلك لأن اهتمامه الأول لم يكن في إرضاء أقرباؤه وعائلته، بل في أن يفعل مشيئة الآب، لـذا لم يدع رغباتهم أن تتحكم في تصرفاته لأنه كان مصمماً على أن يطيع الآب سواء قبلوا أو رفضوا.

ولقـد رأيت الكثير من الأشخاص خاصة من المتزوجين الذين لم يتبعوا يسوع بقلب كامل بسبب حرصهم على ألا يضايقوا أو يجرحوا أزواجهم أو أفراد أسرتهم، ولقـد كانت النتيجة أنهم انزلقوا في فخاخ الخطية ولم يستطيعوا أن يتمموا خطة الرب لحياتهم.

عـندما اختـبرت الولادة الجديدة وسلمت حياتي للرب يسوع دعاني الرب لأن أتـرك الكنيسـة التي نشأت فيها والتي كان يتردد عليها جميع أفراد أسرتي وأن أنتمـي لكنيسـة أخرى، وبالطبع لم توافق أمي على ذلك ورفضته رفضاً تاماً إلا أنني كنت واثقاً من أن هذه كانت مشيئة الرب لي لهذا صممت أن أطيع الرب.

ثم جاءت الصدمة الثانية حينما أعلنت أنني سوف أتفرغ للخدمة، فلقد كنت قد أتممت دراستي في الهندسة الميكانيكية منذ وقت قصير وكان والديّ يضعون آمالاً عريضـة علـيّ، ولكننـي كنت أعلم ما الذي يريده الرب مني وكنت أعلم أن هذا سـوف يضايق كثيرين وخاصة القريبين مني ولقد ظل الحال هكذا سنوات طويلة كـان يحـدث خلالهـا الكثير من المواقف المزعجة والمتعبة بيني وبينهم ولكنني صـممت أن أتـبع يسوع وأطيعه مهما كانت النتيجة ومهما كانت درجة غضبهم مني.

فـي الـبداية حاولت أن أكرز لهم بالإنجيل فكنت أعلن لهم أنهم يحتاجون لأن يعطوا حياتهم للرب يسوع وأن يولدوا من فوق لكي ينالوا الخلاص وأن لا يكتفوا بمجـرد الـتردد على الكنيسة بشكل سطحي، ولكنني في هذا كنت أتصرف بدون

حكمـــة لأن كلامي كان يزيد من ثورتهم وغضبهم، ولكن الرب أرشدني أن أكتفي بـــأن أشـــهد لهم عن يسوع من خلال حياتي وسلوكي وأن أدعهم يرون أعمالي الحسنة فيمجدوه، ولقد فعلت هذا بالفعل ولكن دون أن أساوم أو أتنازل عن الحق لكي أرضيهم.

واليوم فإن والديّ يساندونني ويشجعونني بكل قلوبهم، أما جدي الذي كان من أكـــثر المعارضين لي في البداية فلقد نال الخلاص وهو في التاسعة والثمانين من عمره، قبل وفاته بعامين.

لقـــد كـــان أقرباء يسوع يظنون أنه مختل ولكن بسبب طاعته وخضوعه التام لـــلآب انتهى الأمر بأن آمنوا به جميعاً وتبعوه بل أن يعقوب أخيه أصبح بعد ذلك راعي الكنيسة الأولى في أورشليم.

وهكـــذا نـــرى أنه إذا ساومنا في الحق وفي طاعة الرب لكي نرضي عائلاتنا وأقـــرباءنا، فإننا بهذا سوف نفقد قوة المسحة التي على حياتنا بل سوف نعوقهم عن أن ينالوا الحرية والخلاص.

• يسوع مع تلاميذه وأتباعه

فـــي الفصل السابق تناولنا بالتفصيل كيف أن تلاميذ يسوع أعثروا فيه بسبب كلامه، ولكن دعونا ننظر إلى ذلك الموقف مرة أخرى ولكن من ناحية أخرى:

"فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا: إن هذا الكلام صعب، من يقدر أن يسمعه؟ فعلم يسوع في نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا فقال لهم: أهذا يُعثركم؟... .. مـــن هـــذا الوقـــت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه" (يوحنا ٦: ٦٠-٦١، ٦٦).

لقـد كانـت الأحـوال سـيئة بما يكفي بالنسبة ليسوع، فقد كان قادة اليهود يخططـون لقـتله وقد رفضه أهل وطنه وحتى أقرباؤه وعائلته كانوا يظنون أنه مختل، ولكي يزداد الأمر سوءاً أعثر فيه الكثير من تلاميذه وأتباعه وتركوه، ولكن بالرغم من ذلك كله لم يساوم يسوع في إعلان الحق ولم يقدم أية تنازلات بل أنه قال لباقي تلاميذه أن لهم الحرية لأن يرحلوا هم أيضاً لو كانت هذه رغبتهم.

لـم يكـن يسـوع يهتم بأي شيء سوى أن يتمم مشيئة الآب، فحتى لو كان الجمـيع تـركوه وحيداً في ذلك اليوم لكان ظل مصمماً على أن يطيع الآب ويتمم مشيئته مهما كانت النتائج.

- **يسوع مع أصدقائه المقربين**

"وكـان إنسـان مريضاً وهو لعازر من بيت عنيا من قرية مريم ومرثا أختها. وكانـت مريم التي كان لعازر أخوها مريضاً هي التي دهنت الرب بطيب ومسحت رجلـيه بشـعرها، فأرسلت الأختان إليه قائلتين: يا سيد هوذا الذي تحبه مريض" (يوحنا ١١: ١- ٣).

لقـد كـان يسوع يحب مريم ومرثا ولعازر، فلقد كانوا من الناس القريبين إلى قلـبه وكـان يمضـي معهم الكثير من الوقت ولكن لاحظ ماذا كان رد فعل يسوع عندما علم أن لعازر مريض:

"فلما سمع أنه مريض مكث حينئذ في الموضع الذي كان فيه يومين" (يوحنا ١١: ٦)

لقـد كـان يسـوع يعلم بالروح أن مرض لعازر كان سيؤدي إلى موته ولكن بالـرغم من خطورة الموقف مكث يسوع يومين في الموضع الذي كان مقيم فيه، وعندما ذهب أخيراً إلى بيت عنيا وجد أن لعازر قد مات.

لقد قالت له مريم ومرثا: "يا سيد لو كنت ها هنا لم يمت أخي" (يوحنا ١١: ٢١، ٣٢)

أي بمعنى آخر كان لسان حالهما يقول: "لماذا لم تحضر في الحال؟ لو كنت حضرت مبكراً لكنت أنقذته من الموت".

أغلب الظن أن الأختين كانتا تشعران بالضيق والإحباط بسبب ما فعله يسوع، فلقد أرسلتا له رسولاً ليخبره بمرض أخيهما ولكنه تأخر يومين عن المجيء. لم يتصرف يسوع في ذلك الموقف كما كانتا تتوقعان منه، فبدلاً من أن يترك كل ما في يده ويسرع لإنقاذ لعازر على العكس خضع لقيادة الروح القدس وتأخر يومين. لقد كان ما فعله يسوع هو الأفضل للجميع ولكنه لم يكن يبدو هكذا في البداية بل كان يبدو للجميع أن يسوع كان غير مبال وكأنه لا يهتم بلعازر.

وهكذا كثيراً ما يتحكم الناس في قادتهم، فكثير من القادة يظنون أنهم يجب أن يفعلوا كل ما يطلبه الناس منهم. لقد قال لي أحد الأعضاء في كنيسة ما بعد أن فقدت كنيسته راعيها: "إننا نريد راعي للكنيسة قادراً على أن يسدد كل احتياجاتنا، فأنا أريد راعياً أستطيع أن أجده كلما أحتاج إليه حتى لو كان احتياجي هو أن يأتي إلي ليشرب معي القهوة في منزلي الساعة الثامنة صباحاً!"

ولكنني أجبته: "أنت تطلب مشرفاً اجتماعياً تعيّنه لكي تتحكم فيه، وليس رجلاً يخضع لقيادة الروح القدس!" ولقد علمت بعد ذلك أن تلك الكنيسة غيّرت أربعة رعاة في سنة ونصف!

وعندما كنت راعياً للشباب جاءني شاب ليقول لي: "إن راعي الشباب الذي كان يسبقك كان صديقاً ورفيقاً لي. فهل ستكون أنت أيضاً رفيقي؟"

لقد كنت أعرف أن راعي الشباب الذي يسبقني كان اجتماعياً جداً مع الشباب وكان يشاركهم في الرحلات والألعاب، لذلك علمت ما كان يقصده ذلك الشاب. وقد

أجبته بآية في متى ١٠: ٤١ تقول: "من يقبل نبياً باسم نبي فأجر نبي يأخذ ومن يقبل باراً باسم بار فأجر بار يأخذ".

ثـم سـألته قـائلاً: "من المؤكد أن لديك الكثير من الأصدقاء والرفقاء، أليس كذلك؟"

فأجاب: "نعم"

فقلت: "إذاً هل تريد أن تأخذ أجر راعي للشباب أم أجر صديق؟ لأنه بحسب ما هو مكتوب في (متى ١٠: ٤١) فالطريقة التي ستقبلني بها هي التي ستحدد نوع الأجر الذي ستأخذه من الرب".

ففهم الشاب وجهة نظري وأجاب: "حسناً، أريد أن آخذ أجر راعي للشباب".

إن الكثـير مـن القادة قد وقعوا في فخ الخوف من أن يُـعثـروا أو يجرحوا مشـاعر من حولهم، فهم يخافون من فكرة أنهم إذا لم يستطيعوا أن يفعلوا كل ما يطلـبه الناس منهم فإنهم بهذا سوف يجرحون مشاعر الكثيرين وبالتالي يخافون مـن أن يفقدونهـم ويفقدون مساندتهم لهم، وهكذا يصبح هؤلاء القادة خاضعين لمشـيئة الـناس ولـيس لمشيئة الله والنتيجة أنهم لا يستطيعوا أن يتمموا سوى جزءاً ضئيلاً من خطة الله لكنائسهم ولحياتهم.

- **يسوع و يوحنا المعمدان**

حتى يوحنا المعدان أيضاً، قد واجه تجربة أعثرته في الرب يسوع:

"فأخبر يوحنا تلاميذه بهذا كله، فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسل إلى يسوع قـائلاً: أنـت هو الآتي أم ننتظر آخر؟ فلما جاء الرجلان قالا: يوحنا المعمدان قد

أرسلنا إليك قائلاً: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟" (لوقا ٧: ١٨ - ٢٠).

فلننتظر هنا لحظة! تُرى لماذا يسأل يوحنا المعمدان إذا كان يسوع هو المسيا المنتظر أم لا؟ أليس يوحنا هو الشخص الذي كان يعد الطريق للمسيا ويعلن عن مجيئه قائلاً: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يوحنا ١: ٢٩)؟ أليس هو الذي قال عن يسوع: "هذا هو الذي يعمد بالروح القدس" (يوحنا ١: ٣٣).

وقال أيضاً: "ينبغي أن ذلك (يسوع) يزيد وأنا أنقص" (يوحنا ٣: ٣٠)؟

لقد كان يوحنا المعمدان هو الوحيد الذي يعرف حقيقة يسوع في ذلك الوقت إذ لم يكن هذا قد أعلن بعد لسمعان بطرس، والآن هو يسأل إذا كان يسوع هو المسيا المنتظر أم ننتظر آخر؟!!

لكي تفهم موقف يوحنا هذا حاول أن تضع نفسك مكانه وتتخيل ذلك معي للحظات. فتخيل نفسك رجلاً عشت حياتك كلها في خدمة الرب معلناً مشيئته وما في قلبه لجميع الناس، وكانت خدمتك هي الأكبر والأشهر في وطنك في ذلك الوقت، وتخيل أنك تعيش حياة مليئة بإنكار الذات والتضحية حتى أنك لم تتزوج لكي تتفرغ بالكامل للدعوة التي دعاك الرب لها، وكنت تعيش في البرية تأكل الجراد والعسل البري وتقضي أوقاتاً طويلة في الصوم، وتخيل أنك عشت طوال حياتك تعد الطريق أمام مجيء المسيا وقد عرضك هذا للكثير من المواجهات مع الفريسيين. والآن أنت في السجن وقد مضى عليك بعض الوقت هناك ولم يأتي لزيارتك سوى قليلون لأن الجميع منشغل الآن بشخص آخر هو يسوع الناصري، حتى تلاميذك تركوك ليتبعوا ذلك الرجل وبقي منهم قليلون فقط في خدمتك، وعندما جاءوا إليك لزيارتك أتوا إليك بأخبار عن ذلك الرجل يسوع وتلاميذه وعن أنهم يعيشون حياة تختلف كثيراً في طبيعتها عن الحياة التي كنت تعيشها، فهم يأكلون ويشربون مع العشارين والخطاة وكثيراً ما لا يحفظون السبت وهم أيضاً لا يصومون!

كل هذا جعلك تقول في نفسك: "لقد رأيت بنفسي الروح القدس نازلاً عليه مثل حمامة، ولكن هل معقول أن يكون هذا سلوك المسيا المنتظر؟!"

ويـــزداد الأمـــر سوءاً بعدما يمضي عليك وقتاً طويلاً في السجن فتعود وتسأل نفسك مرة أخرى: "إن هذا الرجل الذي قضيت حياتي كلها أعد له الطريق وأشهد عنه لم يفكر في زيارتي في السجن ولو لمرة واحدة! كيف يكون هذا؟ إذا كان هو المســيا بحــق فلماذا لم يخرجني من السجن حتى الآن؟ فهو حتماً يعرف أنني لم أخطئ في شيء!"

وهكذا تقرر في النهاية أن ترسل له اثنين من تلاميذك المخلصين ليسألاه: أنت الآتي أم ننتظر آخر؟

والآن دعونا نرى كيف أجاب يسوع على يوحنا المعمدان:

"وفي تلك الساعة شفى كثيرين من أمراض وأدواء وأرواح شريرة ووهب البصر لعميان كثيرين. فأجاب يسوع وقال لهما: أذهبا واخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما؛ إن العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون، وطوبى لمن لا يُعثــَر فيّ" (لوقا ٧: ٢١ - ٢٣).

لقــد كانت إجابة يسوع تنبؤية، فلقد أجاب على يوحنا المعمدان بكلمات من سفر أشــعياء كان يعلم أن يوحنا يعرفها جيداً (أشعياء ٢٩: ١٨، ٣٥: ٥ - ٦، ٦١: ١) وكانـــت تلـــك الكلمات تنطبق على ما رآه تلاميذ يوحنا قبل أن يسألوه هذا السؤال، وكـــان هذا يثبت ليوحنا أن يسوع هو المسيا. ولكن يسوع لم يكتفي بهذا بل أضاف: "طوبـــى لمن لا يُعثــَر فيّ". لقد كان يسوع يريد أن يقول ليوحنا: "يا يوحنا أنا أعلم انـــك لا تفهـــم سبب الذي يحدث معك الآن كما لا تفهم الكثير من طرقي وتصرفاتي ولكن يجب ألا تــُعثــَر فيّ لمجرد أنني لا أعمل ولا أتصرف كما تتوقع مني".

لقــد كــان يســوع يحــث يوحنا على ألا يحكم على أمور الله من خلال فهمه المحــدود أو مــن خــلال خبرته في الحياة وفي الخدمة لأنه لن يستطيع أن يرى الصــورة كاملة ولا أن يدرك كل أبعاد خطة الله، وهكذا نحن أيضاً لا نستطيع أبداً أن نرى الصورة كاملة كما يراها الرب.

لقد كان يسوع يريد أن يقول ليوحنا المعمدان: "يا يوحنا أنت فعلت ما أمرك به الــرب والرب حتماً سوف يكافئك مكافأة عظيمة، ولكن المهم أن تبقى حراً من فخ العثرات وألا تــعُثــَر فيّ مهما حدث".

مواجهة بلا تراجع

مهما كنت خبيراً ومدرباً في طرق الرب وأموره، مثل يوحنا المعمدان، فسيظل هــناك إمكانية أن تواجه موقفاً في حياتك يجعلك تــعُثــَر في الرب، ولكن لو أنك تحب الرب وتثق به من كل قلبك فحتماً سوف تقاوم بكل قوتك لكي تبقى حراً من العــثرات، مؤمــناً من كل قلبك أن طرق الرب أعلى من طرقك وأفكاره أعلى من أفكارك.

كذلــك إذا كنــت مزمعاً أن تطيع الرب وتخضع بالكامل لقيادة روحه القدوس فــاعلم أن ذلــك سوف يضايق الكثيرين من حولك، فلقد قال يسوع: "الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا كل من ولد من الروح" (يوحنا ٣: ٨).

لــن يفهمــك البعض وأنت تتحرك مع الروح القدس ولكن لا يجب أن تدع رد فعلهــم أن يمــنعك من عمل ما تؤمن في داخل قلبك أنه بحسب مشيئة الرب، فلا تعطل عمل الروح القدس لكي ترضي الناس.

لقـــد قال بطرس الرسول: "فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد تسلحوا أنتم أيضاً بهـــذه النية، فإن من تألم في الجسد كف عن الخطية، لكي لا يعيش أيضاً الزمان الباقي في الجسد لشهوات الناس بل لإرادة الله" (رسالة بطرس الأولى ٤: ١-٢).

عـــندما تقـــرر أن تعـــيش لتحقق إرادة الله في حياتك، فستجد نفسك لا تحقق مشـــيئة الـــناس ولا ترضي رغباتهم وشهواتهم والنتيجة ستكون أنك ستتألم في الجســـد. لقـــد كان قادة اليهود المتدينين هم أكبر المقاومين للرب يسوع ذلك لأن المتدينين يؤمنون أن الرب يعمل فقط من خلال ما يعرفونه وما يفهمونه بأذهانهم، وهـــم يظـــنون أنهم هم الوحيدين الذين يفهمون طرق الله. فإذا كان المتدينون قد تضايقوا من يسوع منذ ألفي عام لأنه كان يتحرك بحسب قيادة الروح القدس، فألا يتضايقون اليوم من كل شخص يتبع يسوع ويخضع مثله لقيادة الروح القدس؟

لقد كان الاضطهاد الذي واجهه بولس الرسول أفضل مثل لذلك. فلقد ظن بعض المؤمنيـــن في كنيسة غلاطية خطأ أن بولس قد ساوم في الحق وأنه في محاولة لإرضاء بعض القادة المتدينين وعظ بين الناس أن الختان ضروري لكي ينال أحد الخـــلاص، ولكن بولس صحح لهم ظنهم الخاطئ وقال لهم: "وأما أنا أيها الأخوة فـــإن كنـــت بعـــد أكـــرز بالختان فلماذا أضطهد بعد؟ إذاً عثرة الصليب قد بطلت" (غلاطية ٥: ١١)

أي كـــان يريد أن يقول لهم: "انظروا إلى ما يحدث لي، فأنا أضطهد من القادة المتدينيـــن فـــي كل وقـــت. فإذا كنت حقاً أكرز بالختان، فلماذا يضطهدونني إذاً؟ ولكـــن لأنني أكرز بأن الصليب هو الطريق الوحيد للخلاص فذلك يعثرهم ولكنها الحقيقة ولن أكرز بغيرها ما حييت!"

إذا كنـــت مـــزمعاً أن تعلن حق الإنجيل كما هو وبدون مساومة فاعلم أن هذا ســـوف يضايق الكثيرين منك، ولكن يجب عليك ألا تتراجع مهما حدث بل ضع في

قلبك أنك سوف تطيع الرب مهما كانت التكلفة.

فـــلا تنـــتظر أن تأخذ هذا القرار وأنت تحت ضغط التجربة، بل خذ القرار الآن حتى تكون مستعداً لمواجهة أي ضغط في المستقبل.

الفصل العاشر

لئلا نعثرهم

لقد تسبب يسوع في مضايقة الكثير من الناس بسبب طاعته الكاملة للآب، ولكنه لم يضايق أحداً من أجل أن يطالب بحقوقه

"فــلا نحــاكم أيضــاً بعضــنا بعضاً بل بالحري احكموا بهذا أن لا يوضع للأخ مصدمة أو معثرة" (رومية ١٤: ١٣)

لقــد ناقشــنا في الفصل السابق كيف أن يسوع تسبب في مضايقة الكثير من الــناس نتــيجة لطاعته الكاملة للرب فكان يبدو أنه أينما ذهب كان يجد الكثيرين الذين يعثرون ويتضايقون مما يقوله أو مما يفعله. ولكنني في هذا الفصل أريد أن ننظر للأمر من ناحية أخرى.

فبعد رحلة طويلة للخدمة، رجع يسوع وتلاميذه إلى كفرناحوم لكي ينالوا قسطاً من الراحة، ولكن بينما هم هناك تقدم إلى سمعان بطرس واحد من المسئولين عن جمع الجباية أو الجزية التي كانت تدفع عن الهيكل وسأل بطرس قائلاً: *أما يوفي معلمكــم الدرهمين؟"* (متى ١٧: ٢٤)، فأجاب بطرس: "بلى" ثم ذهب ليناقش الأمر مــع يسوع. فسأله يسوع: *"ماذا تظن يا سمعان؟ ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجــزية؟ أمن بنيهم أم من الأجانب؟ قال بطرس: من الأجانب. قال يسوع: فإذاً البنون أحرار"* (متى ١٧: ٢٥-٢٦).

لقــد كان يسوع يريد أن يوضح نقطة هامة لبطرس وهي أن البنون أحرار أي أن ليس على البنون أن يدفعوا الجزية بل على العكس فالبنون هم الذين ينتفعون بــأموال الجــزية فهم يعيشون في قصور بنوها من أموال الجزية، ويأكلون على مــائدة الملك ويلبسون الثياب الملكية وكل هذا اقتنوه بأموال الجزية، فهم أحرار وكل ما يريدونه يأخذونه مجاناً.

والآن يأتــي ذلــك الــرجل الذي يطلب من يسوع أن يدفع الجزية عن الهيكل، ولكــن الســؤال هو: من هو صاحب هذا الهيكل؟ من هو الملك على الهيكل؟ لمن بني هذا الهيكل؟

الإجابــة هــي: الله الآب. ولأن سمعان بطرس كان قد أخذ إعلاناً من الرب أن يسوع هو المسيح إبن الله الحي، لهذا سأله يسوع: "ما دمت أنا إبن من يملك هذا الهيكل، إذاً ألا يجب أن أكون حراً من دفع الجزية عن الهيكل؟"

نعــم، بالطــبع هــو حر بل أن من حقه تماماً أن يمتنع عن دفع الجزية ولكن

دعونا نرى ما الذي قاله يسوع لبطرس بعد ذلك:

" ولكــن لئلا نــُعثــرهم اذهبِ إلى البحر والق صنارة والسمكة التي تطلع أولاً خذها ومتى فتحت فاها تَجد إستاراً فخذه وأعطهمْ عني وعنك " (متى ١٧: ٢٧)

فبالرغم من أن يسوع قد أثبت لبطرس أنه يجب أن يكون حراً من دفع الجزية لأنـــه إبن ولكن.. لئلا يُعثـــر أحداً.. قال لبطرس: "هلم ندفعها"، وكدليل آخر على حريته و بنوته للآب السماوي فحتى الأموال التي دفع منها الجزية قد وجدها في فم سمكة أي أن الله الآب هو الذي منحه المال الذي يدفع منه.

فيســـوع هو سيد الأرض كلها، هو ابن الله الحي خالق السموات والأرض وكل ما فيها، به وله خـــُلــقت كل الأشياء، لذلك علم أن المال سوف يكون في فم تلك الســـمكة فهو كإبن لا يَحتاج لأن يعمل لكي يحصل على المال، ومع ذلك اختار أن يدفع الجزية لئلا يعُثِر أحداً.

هـــل هـــذا هـــو نفس الشخص الذي رأيناه في الفصل السابق يواجه الكثيرين بـــالحق مما يؤدي لمضايقتهم وعثرتهم ولكن دون أن يتراجع؟ هل هو نفسه الذي يختار في هذا الموقف أن يدفع الجزية بالرغم من أن من حقه تماماً أن يمتنع عن دفعها، وذلك لكي لا يعثر أحداً؟!

هل هناك تناقض في هذا الأمر؟

الإجابة ستجدها في هذه الآيات:

فـــي تلـــك الساعة تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين: من هو الأعظم في ملكوت الســـموات؟ فدعا يسوع إليه ولداً وأقامه في وسطهم وقال: الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات. فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السموات" (متى ١٨: ١-٤).

المفـــتاح هو في هذه الجملة: "من وضع نفسه"، ولقد فسر يسوع هذه الكلمات أكثر بعد ذلك حين قال:

"مـــن أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً، ومن أراد أن يكون فيكم أولاً

فليكن لكم عبداً. كما أن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدِم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (متى ٢٠: ٢٦ – ٢٨)

يالها من كلمات مذهلة! فيسوع لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدِم! بالرغم من أنه ابن الله الحي، وبالرغم من أنه حر وليس مديون لأحد بأي شيء، إلا أنه اختار أن يستخدم حريته لكي يخدِم بها آخرين!

أحرار لكي نَخدِم

إننا مدعوين في العهد الجديد كأبناء الله أن نكون مشابهين لابنه البكر يسوع وأن نعمل أعماله.

"فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الأخوة، غير أنه لا تصيِّروا الحرية فرصة للجسد بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً" (غلاطية ٥: ١٣).

هناك ترجمة أخرى لكلمة (حرية) هي كلمة (امتياز). فلا يجب أن نستخدم حريتنا أو امتيازنا كأبناء الله الحي في أن نخدم أنفسنا ومصالحنا، فالحرية يجب أن تُستخدم لخدمة الآخرين. فهناك حرية في الخدمة ولكن هناك قيود في العبودية. فالعبد مضطر لأن يخدم، ولكن الخادم يعطي حياته لكي يخدم.

فدعونا نتأمل فيما يلي بعض نقاط الاختلاف بين العبد والخادم:

- العبد يضطر – الخادم يختار.
- العبد لا يعمل كل ما في وسعه – الخادم يعمل أقصى ما في وسعه.
- العبد يسير ميل واحد فقط – الخادم يسير الميل الثاني.
- العبد يشعر أنه مسلوب الإرادة – الخادم يعطي بإرادته.
- العبد مقيَّد – الخادم حر.
- العبد يصارع لكي ينال حقوقه – الخادم يتنازل بإرادته عن حقوقه.

لقــد وجدت الكثير من المؤمنين يخدمون ولكن بامتعاض وتذمر، ويدفعون ما علــيهم من ضرائب ولكن بشكوى ودمدمة، ذلك لأنهم يعيشون عبيداً لناموس هم في الحقيقة قد تحرروا منه ولكنهم لا يزالوا مستعبدين له في قلوبهم. ومع الأسف إن هــذا الــناموس الذي يستعبدهم هم يصنعونه بأنفسهم مستخدمين آيات العهد الجديــد وذلــك لأنهم لا يعرفون "الروح" الذي وراء الوصايا، فهم لا يدركون أن يسوع قد حررهم من العبودية لكي يخدموا آخرين لذلك هم لا يزالوا يحاربون من أجل أن ينالوا حقوقهم بدلاً من أن يحاربوا من أجل حقوق الآخرين.

لقــد واجه بولس الرسول مثل هذه الاتجاهات الخاطئة في رسائله إلى كنائس رومــية وكورونــثوس، فالحرية في نظر المؤمنين في تلك الكنيستين كانت فيما يتناولونه من أطعمة، لذلك أوضح لهم بولس أن عليهم أن يتصرفوا هكذا:

"من هو ضعيف في الإيمان فاقبلوه لا لمحاكمة الأفكار، واحد يؤمن أن يأكل كل شيء وأما الضعيف فيأكل بقولاً" (رومية ١٤: ١-٢).

فلقــد أوضــح يسوع قبل ذلك أن ليس ما يدخل الفم ينجسه ولكن الذي يخرج منه، وبهذا الإعلان جعل يسوع جميع أنواع الأطعمة طاهرة ومباحة للمؤمن (متى ٧: ١٨-١٩). ولكن وجد بولس أن هناك بعض المؤمنين الذين لا يزالوا ضعفاء في الإيمان لذلك هم لا يستطيعون أن يأكلوا اللحم الغير معروف المصدر خوفاً من أن يكــون ذلك اللحم قد ذبح للأوثان (بحسب تقليد العهد القديم)، فبالرغم من أن يسوع قد حسم ذلك الأمر من قبل إلا أنهم لا يزالوا لا يستطيعون أكل اللحم بضمير نقي.

"فمن جهة أكل ما ذبح للأوثان، نعلم أن ليس وثن في العالم وأن ليس إله آخر إلا واحــداً .... لكــن لنا إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له، ورب واحــد يســوع المســيح الــذي به جميع الأشياء ونحن به. ولكن ليس العلم في الجمــيع، بــل أنــاس بالضمير نحو الوثن إلى الآن يأكلون كأنه مما ذبح لوثن، فضميرهم إذ هو ضعيف يتنجس" (كورونثوس الأولى ٨: ٤، ٦-٧).

فــي تلــك الكــنائس كان المؤمنون ذوي الإيمان القوي يأكلون اللحم دون أن يســألوا عن مصدره أمام أخوتهم ذوي الإيمان الضعيف مما كان يعثرهم ويصنع الكثــير مــن المشاكل بين المؤمنين. فبينما كان المؤمنون الضعفاء لا يستطيعون

التغلب على فكرة أن هذا اللحم قد يكون قد ذبح للأوثان، يأكل منه المؤمنون الأقوياء بحرية إذ كانوا يدركون أن الأوثان هي لا شيء وأن يسوع قد سمح للمؤمن أن يأكل من كل أنواع الأطعمة دون خوف.

ولكن يبدو أن بفعلهم هذا كانوا حريصين على التمتع بحقهم كمؤمنين العهد الجديد أكثر من حرصهم على ألا يُعثروا أخوتهم، فبدون أن يدروا كانوا يضعون حجر عثرة في طريق أخوتهم الضعفاء في الإيمان.

لهذا قال لهم بولس الرسول: *فلا نحاكم أيضاً بعضنا بعضاً بل أحكموا بهذا أن لا يوضع للأخ مصدمة أو معثرة .... لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس*" (رومية ١٤: ١٣، ١٧).

لقد كان يريد أن يذكرهم بأن ملكوت الله الحقيقي ليس في ما نأكل أو نشرب، ولكن في الحياة بالبر والسلام والفرح في الروح القدس.

فهؤلاء المؤمنين الأقوياء في الإيمان استخدموا الحرية التي لهم في العهد الجديد لكي يطالبوا بحقوقهم وليس لكي يخدموا بها الآخرين، فلقد كان لديهم المعرفة والعلم عما لهم من امتيازات في العهد الجديد، ولكن العلم بدون محبة يدمر.

لم يكن لديهم قلب يسوع في ذلك الأمر، فيسوع أثبت لبطرس وللتلاميذ أن من حقه أن يكون حراً من دفع الجزية عن الهيكل ومع ذلك تنازل عن ذلك الحق ودفع الجزية لئلا يُعثر أحداً وذلك لكي يعلمهم ضرورة أن يضع كل واحد حياته من أجل الآخر، فليست مشيئة الآب أن تكون حريتنا هي السبيل للمطالبة بحقوقنا وامتيازاتنا على حساب عثرة الآخرين ومضايقتهم.

لقد حذر بولس كل من لديه المعرفة بحقوقه وامتيازاته في المسيح دون أن يكون لديه قلب يسوع الخادم، فقال: *فيهلك بسبب علمك الأخ الضعيف الذي مات المسيح من أجله، وهكذا إذ تخطئون إلى الأخوة وتجرحون ضميرهم الضعيف تخطئون إلى المسيح*" (كورونثوس الأولى ٨: ١١ - ١٢).

هل يمكن أن نستخدم حريتنا في المسيح لكي نخطئ؟

نعم، عندما نجرح أخوتنا ذوي الضمير الضعيف فنصبح حجر عثرة في طريق من مات المسيح لأجلهم أي نكون سبباً في عثرتهم وسقوطهم.

تنازل عن حقوقك

بعد أن أثبت يسوع لتلاميذه حقه كإبن في أن يكون حراً من دفع الجزية عن الهيكل، كان حريصاً بعد ذلك أن يعلمهم عن أهمية التواضع وإنكار الذات، فقال لهم:

" *من أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فخير له أن يُعلَّق في عنقه حجر الرحى ويُغرَق في لجة البحر. ويل للعالم من العثرات. فلابد أن تأتي العثرات ولكن ويل لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة. فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها والقها عنك، خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى في أتون النار الأبدية ولك يدان أو رجلان. وإن أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك، خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى في جهنم النار ولك عينان. انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار لأني أقول لكم أن ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات* " (متى ١٨: ٦-١٠).

إن إنجيل متى مليء بالتعليم عن العثرات، فيسوع هنا يوضح أهمية أن تتخلص من أي شيء يجعلك تخطئ حتى لو كان هذا الشيء من حقك وامتيازاتك كمؤمن في العهد الجديد، فإذا كان حقك أو امتيازك سوف يسبب عثرة لأحد أخوتك الضعفاء، فتنازل عنه واقطعه عنك أمام عينيه.

وقد تتساءل: لماذا إذاً يسوع كثيراً ما كان سبباً في مضايقة وعثرة كثيرين، كما رأينا في الفصل السابق؟

والإجابة بسيطة، فكثيرون تضايقوا وأعثروا في يسوع نتيجة لطاعته وخضوعه للآب أثناء خدمته للآخرين، ولكنه لم يكن يوماً سبباً في عثرة أو مضايقة أي شخص نتيجة لمطالبته بحقوقه أو امتيازاته.

فلقد أعثر منه الفريسيون لأنه كان يطيع الآب ويشفي المرضى في يوم السبت، وأعثر منه تلاميذه لأنه كان يعلمهم بالحق الذي كان الآب يريده أن يعلمهم إياه،

وأعــثرت مريم ومرثا منه لأنه أطاع قيادة الروح القدس وتأخر في مجيئه لشفاء لعــازر، ولكنك لن تجد أبداً أن يسوع قد أعثر آخرين وهو يطالب بحقوقه أو وهو يخدم نفسه ومصالحه.

لقــد حذر بولس الرسول المؤمنين في كنيسة كورونثوس قائلاً: *"ولكن انظروا لئلا يصير سلطانكم (حريتكم) هذا معثرة للضعفاء"* (كورونثوس الأولى ٨: ٩).

إن الــرب قــد أعطانــا الحــرية من أجل أن نخدم بها ونضع حياتنا من أجل الآخريــن، فنحــن مدعوين لأن نبني لا لأن ندمر بعضنا بعضاً. فكم من أشخاص اليوم معثرين بسبب الأسلوب الذي يحيا به المؤمنين حياتهم؟!

فلتســتمع جــيداً مــرة أخرى للتحذير الذي يحذرنا به بولس الرسول: "ولكن انظروا لئلا يصير سلطانكم (حريتكم) هذا معثرة للضعفاء".

اســمحوا لــي أن أحكي لكم موقفاً رأيت فيه كيف أنه بسهولة يمكننا أن نكسر هذه الوصية.

فلقــد كنــت فــي رحلة مع زوجتي للخدمة في إندونيسيا وكان يرافقنا أولادنا والمربــية. وبعدمــا قطعنا مسافة طويلة جداً في السفر وصلنا أخيراً إلى جزيرة نائــية هــناك تدعى "دنباسار" في "بالي" ونزلنا في فندق صغير في وسط منطقة مزدحمة جداً بالسكان، كان يمتلك هذا الفندق أحد شيوخ الكنيسة التي كنا مدعوين فــيها. ونظراً للرحلة الطويلة والتي لم نحظى فيها بكفايتنا من النوم، فقد كنا في أقصــى حــالات الإرهــاق والتعــب وكنا نأمل في أن نأخذ قسطاً وفيراً من النوم والــراحة في تلك الليلة ولكن مع الأسف لقد استيقظنا من نومنا عدة مرات أثناء اللــيل بســبب الضوضاء الفظيعة ونباح الكلاب التي كانت تملأ الشارع، وهكذا لم ننال الراحة والنوم اللذان كنا في أشد الحاجة إليهما.

وفــي الــيوم التالــي ســافرنا إلى مدينة "جافا" وخدمنا هناك لمدة أسبوعين متواصــلين ولــم نــأخذ راحة طوال تلك الفترة سوى لمدة يوم واحد قضيناه في الســفر مــن مــنطقة إلــى أخــرى، بل أننا في يوم واحد فقط وعظنا في خمس اجتماعات في إحدى الكنائس أمام ثلاثة آلاف شخص.

وفي النهاية، انتهت رحلتنا في تلك المدينة وكان علينا أن نعود مرة أخرى إلى مدينـــة "بالي" وقد علمنا من راعي الكنيسة أننا سوف نقيم في نفس الفندق الذي أقمـــنا فـــيه فـــي أول ليلة، وكم كان وقع ذلك الخبر سيئاً عليّ أنا وزوجتي، فبعد أسبوعين من الخدمة والحركة والتعب كنا في أمَسْ الحاجة للراحة والنوم العميق.

ولكن فجأة وفي نفس اليوم الذي كنا سنرحل فيه من "جافا" إلى "بالي" عرضت علينـــا إحـــدى السيدات في الكنيسة أنها على استعداد أن تتكفل بنفقة إقامتنا في واحد من أفخم الفنادق في "بالي"! يا لها من مفاجأة سارة، فأخيراً سوف أستطيع الـــنوم فـــي هـــدوء وفي مكان جميل. لقد تحمست للفكرة جداً وقبلت عرض تلك الســـيدة ولكننا ونحن نحزم حقائبنا لكي نرحل إلى "بالي" قالت لي زوجتي أنها لا تشـــعر بالراحة لقبولنا عرض تلك السيدة، ولكنني عارضتها وحاولت إقناعها أن الأمـــر علـــى ما يرام. ومرة أخرى ونحن على متن الطائرة التي تقلنا إلى "بالي" عـــادت زوجتي لتؤكد لي أنها تشعر في روحها أننا لا نفعل الصواب في هذا الأمر ولكن لحماقتي لم أبدِ اهتماماً لما تقول بل حاولت إقناعها بسلامة موقفنا وأننا لن نكلـــف الكنيســـة شيئاً. وأخيراً وصلنا إلى " بالي " ومرة أخرى ونحن في المطار كـــادت زوجتي أن تتوسل إليّ لكي أتراجع عن قراري ولكنني تجاهلت كلامها. ثم قابلنا راعي الكنيسة وأخبرته أننا لن نقيم في ذلك الفندق بسبب عرض تلك السيدة السخي، ولكنني لاحظت أنه لم يكن سعيداً وهو يسمع مني ذلك الكلام فسألته عما بـــه، فأجابنـــي بكـــل وضـــوح وصراحة قائلا: "جون، أعتقد أن هذا سوف يجرح مشـــاعر شيخ الكنيسة صاحب الفندق وزوجته، فلقد حجزوا لك بالفعل غرفة في الفندق بالرغم من أن الفندق كان كامل العدد".

ويبدو أنني قد جرحت مشاعر راعي الكنيسة أيضاً إذ أنني لم أقدِّر ما قاموا به ككنيسة من ترتيبات وتجهيزات من أجلنا، لذلك قررت على الفور أن أقيم في ذلك الفندق وأن أرفض عرض تلك السيدة.

لقـــد علمني الرب في ذلك اليوم أن اتجاه قلبي في هذا الموقف كان غير نقي، فلقد كنت أسعى جاهداً لكي أنال حقي في النوم والراحة ولكن كان هذا على حساب مشاعر أخوتي وهذه في نظر الرب خطية.

لقـــد اعتذرت لراعي الكنيسة وطلبت منه أن يسامحني وقد فعل، وتمنيت بعدها

ألا يأتي يوم أحتاج فيه لأن أتعلم هذا الدرس مرة أخرى.

هل هو للبنيان؟

لقد وضح الرسول بولس قلب الرب في هذا الأمر حين قال:

فلنعكف إذاً على ما هو للسلام وما هو للبنيان بعضنا لبعض" (رومية ١٤: ١٩)

يجب أن نكون حريصين على ألا نعثر الآخرين ونحن نفعل ما نراه من حقنا أو في نطاق حريتنا الشخصية، فقد يكون ما تفعله صحيح من الناحية الكتابية ولكن دائماً اسأل نفسك هذا السؤال أولاً: "هل ما أفعله هو للبنيان لمن حولي أو لمصلحتي أنا؟"

ولتتذكر دائماً هذه الآيات:

كل الأشياء تحل لي لكن ليس كل الأشياء توافق، كل الأشياء تحل لي ولكن ليس كل الأشياء تبني. لا يطلب أحد ما هو لنفسه بل كل واحد ما هو للآخر ... فإن كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله. كونوا بلا عثرة لليهود ولليونانيين ولكنيسة الله، كما أنا أيضاً أرضي الجميع في كل شيء غير طالب ما يوافق نفسي بل الكثيرين لكي يخلصوا"

(كورونثوس الأولى ١٠: ٢٣ – ٢٤، ٣١ – ٣٣)

أنا أشجعك أن تطلب الآن من الروح القدس أن يمتحن كل دائرة من دوائر حياتك من خلال هذه الآيات واسمح له أن يعلن لك عن أية دوافع أو اتجاهات مختبئة كنت تخدم بها مصلحتك أنت لا مصلحة الآخرين، ولتدع الروح القدس أن يعمل فيك لكي يجعلك تحيا خادماً للكل ولكي تستخدم حريتك في المسيح لكي تحرر آخرين، لا لكي تطالب بحقوقك وامتيازاتك على حساب الآخرين.

ولتتذكر ما قاله بولس الرسول: *"ولسنا نجعل عثرة في شيء لئلا تُلام الخدمة"*

(كورونثوس الثانية ٦: ٣).

الفصل الحادي عشر

الغفران: إذا لم تغفر... لن يغفر لك

إذا كنت لا تسامح الآخرين

فقد نسيت حجم الدين

الذي سامحك الرب فيه

لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم. ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السموات زلاتكم، وإن لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذي في السموات أيضاً زلاتكم"

(مرقس ١١: ٢٤ – ٢٦)

في الجزء الباقي من الكتاب أود أن أركز على عواقب تمسكنا بما نشعر به من جروح وعثرات وعدم رغبتنا في التحرر منها، كما أنني سأناقش أيضاً السبيل للتحرر منها.

في الآيات السابقة، يجب أن نعلم أن يسوع كان يعني تماماً ما يقوله حين قال: "إن لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذي في السموات أيضاً زلاتكم".

فنحن مع الأسف نعيش اليوم في عالم حيث عادة ما نقول ما لا نعنيه بالتالي كثيراً ما نعتقد أن الآخرين أيضاً لا يعنون ما يقولونه بالضبط، لهذا لم نعد نأخذ كلمات الآخرين بمأخذ الجد. وهذا في الواقع يرجع إلى التربية منذ الصغر، فنجد أن الأب كثيراً ما يقول لابنه: "إذا كررت ذلك الفعل مرة أخرى، سوف أعاقبك بكذا وكذا ...". ثم نجد أن الطفل قد كرر الفعل ليس مرة واحدة فقط بل مرات عديدة، وفي كل مرة يسمع نفس التحذير من الأب دون أن ينال عقابه، وحتى إذا نال عقابه فإن العقاب عادة ما يكون إما أقل بكثير مما قيل له أو أكثر بكثير بسبب أن الأب قد فاض به الكيل. ولكن في كلتا الحالتين يستقر في ذهن الطفل رسالة محددة وهي أنك لا تعني ما تقوله بالضبط أو أنك لست دائماً صادقاً فيما تقوله، وينمو الطفل وقد تعلم أن ليس كل ما يقوله هؤلاء الذين في سلطة يكون صحيحاً فهم عادة ما لا يعنون ما يقولونه بالحرف الواحد وبالتالي يجد نفسه مشوشاً ومحتاراً لا يعرف متى يصدق الذين في السلطة ومتي لا يأخذ كلامهم بجدية.

فالطفل ينظر إلى كل رموز السلطة في حياته (مثل المدرس، قادته في الكنيسة، رؤسائه في العمل...) من خلال منظوره لأبويه، وبعدما يكبر ويصبح رجلاً ناضجاً يجد نفسه ينظر إلى هذا الأمر على أنه الطبيعي بل ويصبح هو نفسه يتكلم بكلمات ووعود لا يعني معظمها.

دعوني أعطي لكم مثالاً صغيراً قد يحدث في حياتنا كل يوم دون أن ندري، فلنتخيل معي الموقف كما يلي:

(جيم) يرى (توم) الذي لم يراه ولم يكلمه منذ فترة طويلة أثناء ذهابه إلى عمله، ولكن نظراً لأن (جيم) في عجلة من أمره فهو يفكر في داخله قائلاً: "أتمنى ألا يراني (توم) الآن، فليس لدي وقت للكلام"، ويحاول جاهداً أن يتجنب ملاقاته ولكن مع الأسف تتلاقى أعينهما فجأة ويبدأ (توم) في الاتجاه نحو (جيم) لمصافحته وهنا يقول (جيم) ل (توم) بلهجة كلها حماس: "توم! شكراً للرب إنني رأيتك اليوم فلقد كنت مشتاقاً إليك جداً!"

ثم يتحدثان قليلاً ولكن نظراً لاستعجال (جيم) ورغبته في الرحيل يحاول أن ينهي الحديث قائلاً: "حسناً، يجب أن نتقابل سوياً في أقرب وقت على العشاء! من الضروري جداً أن نرتب ذلك .."

والآن دعونا نحلل ذلك الموقف:

أولاً، (جيم) لم يكن سعيداً برؤية (توم) كما صوّر له، لأنه كان في عجلة من أمره.

ثانياً، لم يكن (جيم) ينوي حقاً أن يتقابل مع (توم) على العشاء كما قال ولكنها كانت فقط محاولة لإنهاء الحديث سريعاً دون أن يجرح شعور (توم).

أي أن هــذا يعنـــي باختصار أن (جيم) لم يكن يعني أي كلمة مما قال في هذا الحوار!

وهكــذا، فمثل هذه المواقف تحدث يومياً في حياتنا فلقد أصبح الناس لا يعنون الكثير مما يقولونه، إذاً لا عجب أننا نجد صعوبة في أن نعرف متى نأخذ كلام أي شخص بجدية.

ولكـــن لـــيس الحال هكذا مع يسوع، فعندما يتكلم يسوع يجب أن تأخذ كلامه بجدية لأنه عندما يقول شيئاً فهو دائماً يعني ما يقول بالضبط. فهو أمين وصادق بالـــرغم مـــن عدم أمانتنا وعدم صدقنا، فكلامه وشخصيته يصلا إلى مستوى من الأمانة والصدق والحق يفوق بكثير كل ما يمكن أن نراه أو نتعلمه في هذه الحياة.

لهذا عندما يقول يسوع أنه "إن لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذي في السموات أيضـــاً زلاتكـــم"، فهـــو بالفعل يعني ما يقول. ولكي يؤكد يسوع على هذا التحذير الخطير لم يكتفي بقوله مرة واحدة بل كرره عدة مرات في الأناجيل الأربعة.

فتعالوا ننظر إلى القليل من تلك المرات التي قال فيها يسوع نفس المعنى:

"فإنـــه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم" (متى ٦: ١٤-١٥).

ومرة أخرى يقول:

"اغفروا يُغفر لكم" (لوقا ٦: ٣٧).

وفي الصلاة الربانية يقول:

"واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا" (متى ٦: ١٢).

إننـــي أتســـاءل متعجـــباً، هل بالفعل يريد كل مؤمن أن يعامله الرب ويغفر له بنفس الطريقة التي يعامل بها الذين يسيئون إليه وبنفس القدر الذي يغفر لهم به، كمـــا نصلي في الصلاة الربانية؟ هل فعلاً نعني ما نصليه وندرك معناه؟ إن الحق الـــذي فـــي كلمة الله يقول أن الرب بالفعل سوف يغفر لنا بنفس الطريقة وبنفس القـــدر الـــذي نغفـــر به للذين يسيئون إلينا، ولكن نظراً لأن عدم الغفران أصبح منتشـــراً جداً بين المؤمنين، لهذا كثيراً ما نجد أنفسنا لا نرغب في أن نأخذ كلام يســـوع بجدية في هذا الأمر ونحاول أن نقتنع أنفسنا أنه لا يعني ما يقوله بالحرف الواحـــد. ولكن دعني أصارحك بأن هذا غير صحيح، فالحق هو الحق ولن يتغير، والحق هو أنه إن لم نغفر للذين يسيئون إلينا فلن يغفر لنا أبونا السماوي.

الغفران والنمو الروحي

لقـــد رأيـــت العديد من حالات عدم الغفران في خدمتي. فأنا أذكر أنه في أولى رحلاتـــي للخدمة في إندونيسيا، أقمت في منزل واحد من رجال الأعمال الأغنياء الـــذي لم يكن قد أسلم حياته بالفعل للرب يسوع ولم يختبر الولادة الجديدة بالرغم مـــن حضـــوره الكنيسة بانتظام هو وأفراد أسرته. وفي أثناء إقامتي هناك، قبلت زوجته الخلاص ثم تبعها هو وكل أولادهما وقد حررهم الرب جميعاً من الكثير من القـــيود لدرجـــة أن الجـــو العام في المنزل قد تغير بشكل ملحوظ وامتلأ الجميع بالروح القدس.

وعـــندما علمـــوا أنني سوف أعود مرة أخرى للخدمة في إندونيسيا بعد فترة، دعوني للإقامة في منزلهم أنا وزوجتي وأولادي بل أنهم عرضوا أن يتكفلوا بقيمة تذاكـــر الطـــيران لنا جميعاً. وبالفعل عدنا إلى إندونيسيا مرة أخرى ووعظت في كنيســـتهم عشـــرة عظات كان معظمها عن التوبة وعن حضور الرب، وقد شعرنا جميعاً بحضور الرب يملأ الاجتماعات ويحرر ويشفي الكثيرين.

ولقد كانت أم ذلك الرجل تحضر جميع الاجتماعات ولكنها في نهاية الأسبوع جاءت إليّ متسائلة: "جون، إنني لم أشعر طوال حياتي بحضور الرب ولا لمرة واحدة، فلماذا؟! لقد حضرت كل الاجتماعات واستمعت بحرص لكل كلمة وعظت بها وقدمت للرب توبة حقيقية عن كل آثامي ومع ذلك لم أشعر بحضور الرب أبداً كما لم أشعر به طوال حياتي!"

فتحدثت معها لبعض الوقت ثم قلت لها: "دعينا نصلي من أجلك لكي تمتلئي بالروح القدس".

وبالفعل بدأت أصلي لها بوضع الأيدي لكي تمتلئ بالروح القدس، ولكن لم يكن هناك حضور للرب على الإطلاق. وحينئذ تحدث الروح القدس إلى قلبي قائلاً: "إن بداخلها عدم غفران لزوجها، لذلك اطلب منها أن تغفر له أولاً".

لقد كان زوجها توفي منذ فترة، فنظرت إليها وقلت: "لقد أراني الرب أنك لم تغفري لزوجك".

فأجابت: "نعم، هذا صحيح. ولكنني حاولت كثيراً أن أغفر له لكنني لم أستطع!"

ثم بدأت تقص علي كيف كان يعاملها بقسوة شديدة وما لاقته معه من إساءة وأذى، حينئذ أدركت لماذا كانت تصارع لكي تغفر له ولم تستطع، ولكنني قلت لها: "يجب أن تعرفي أنك لن تستطيعي أن تأخذي أي شيء من الرب قبل أن تغفري لزوجك". ثم بدأت أشرح لها ما الذي قاله يسوع عن ضرورة أن نغفر لبعضنا البعض، ثم قلت لها: "لن يمكنك أن تغفري له بقوتك الشخصية، فيجب أن تأتي إلى الرب وتتوبي وتطلبي منه أن يغفر لك خطية عدم الغفران، ثم اسأليه أن يمنحك القوة لكي تغفري لزوجك. ولكن يجب أن ترغبي حقاً في أن تطلقيه وأن تغفري له، فهل أنت هكذا؟"

أجابت: "نعم".

فبدأت أقودها في صلاة بسيطة:

"أبي السماوي، باسم ابنك يسوع أطلب منك أن تغفر لي عدم غفراني لزوجي. يا رب أنا أعلم أنني لا أستطيع أن أغفر له بقوتي الشخصية فلقد حاولت من قبل وفشلت ولكنني أمامك الآن وبفضل نعمتك أختار من كل قلبي أن أغفر لزوجي وأن أطلقه. نعم يا رب أنا أسامحه على كل ما فعل".

وبمجرد ما انتهت تلك السيدة من النطق بهذه الكلمات بدأت الدموع تنساب بغزارة من عينيها، فقلت لها: "الآن ارفعي صوتك وابدئي في الصلاة بالروح". ولأول مرة بدأت تصلي بألسنة ولقد شعر كل منا بحضور الرب المجيد يغمر المكان، ثم بعد قليل تركتها بمفردها بعد أن شجعتها على أن تستمر في العبادة والتمتع بحضور الرب.

عندما سمع ابنها وزوجته عما حدث تعجبا جداً وقال لي ابنها أنه لم يرى والدته تبكي طوال حياته بل أنها هي نفسها لا تستطيع أن تتذكر متى كانت آخر مرة نزلت الدموع من عينيها وقالت: "أنا لم أبكي حتى في لحظة وفاة زوجي".

وفي الثلاثة أيام التالية كنت أراها دائماً مبتهجة وسعيدة تعلو وجهها ابتسامة مشرقة لم أكن قد رأيتها من قبل.

لقد كانت مسجونة في سجن عدم الغفران ولكن عندما أخذت القرار بأن تغفر لزوجها امتلأت حياتها بقوة الرب واستطاعت أن تتمتع بحضوره المبهج.

العبد الذي لم يغفر

فـــي إنجـــيل مـــتى الإصحاح ١٨، ألقى يسوع الضوء على قيود عدم الغفران والعـــثرات وكان يعلم تلاميذه كيف يسعوا للمصالحة مع من يسيء إليهم (سوف نناقش موضوع المصالحة في فصل لاحق).

لقـــد سأله بطرس: "يا رب كم مرة يخطئ إلي أخي وأنا أغفر له، هل إلى سبع مرات؟" (متى ١٨: ٢١).

لقـــد كان بطرس يظن أنه بعرضه أن يغفر لأخيه سبع مرات يصبح بذلك رجلاً كـــريماً جـــداً! فلقد كان بطرس دائماً يميل إلى المبالغة وتضخيم الأمور، فهو مثلاً الـــذي قال ليسوع على جبل التجلي: "تصنع هنا ثلاث مظال.. لك واحدة ولموسى واحـــدة ولإيلـــيا واحدة" (متى ١٨: ٢١). والآن فهو يعتقد أنه سوف يبهر يسوع باستعداده لأن يغفر لمن يسيء إليه سبع مرات. ولكنه في الواقع تلقى من يسوع إجابـــة أدهشته وصدمته، فلقد أجابه يسوع قائلاً: "لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات" (متى ١٨: ٢٢).

بمعنى آخر قال له يسوع أنه يجب عليه أن يغفر كما يغفر الرب، أي بلا حدود.

ثم أعطى لهم يسوع مثالاً لكي يوضح لهم هذه النقطة:

"لذلـــك يشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً أراد أن يحاسب عبيده، فلما ابتدأ في المحاسبة قدِّم إليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنة" (متى ١٨: ٢٣-٢٤).

ولكـــي نفهـــم عمق ما كان يقوله يسوع يجب أن نعرف أولاً معنى " الوزنة"، فالوزنة هي وحدة قياس كانت تستخدم لقياس الذهب (٢صم ١٢: ٣٠)، و الفضة (١ مل ٢٠: ٣٩)، وبعض المعادن الأخرى.

ولكـــن بمـــا أنهـــا في ذلك المثل كانت تعبر عن دَين، لذا فلقد كانت هنا وحدة استبدال من الذهب أو الفضة. فدعونا نفترض أنها كانت من الذهب.

ولقـــد كانت الوزنة المستعملة في ذلك الوقت تزن حوالي ٧٥ رطل، وهذا كان أقصـــى وزن يمكـــن أن يحمله رجل (٢مل ٥: ٢٣)، وهذا يعني أن عشرة آلاف وزنـــة كانت تساوي حوالي (٧٥٠,٠٠٠) رطل وهو ما يوازي ٣٧٥ طن. أي أن ذلك العبد كان مديون للملك بـــ ٣٧٥ طن من الذهب!

فـــي عصرنا هذا، يصل سعر أوقية الذهب إلى حوالي ٣٧٥ دولار أمريكي، إذاً فوزنـــة الذهـــب فـــي عصرنا هذا تساوي ما يقرب من (٠٠٠ ، ٤٥٠) دولار، وبالتالـــي فـــإن عشرة آلاف وزنة من الذهب تساوي حوالي أربعة ونصف بليون دولار أمريكي.

إذاً ذلـــك العـــبد كان مديون للملك بما يوازي أربعة ونصف بليون دولار! هل تعـــرف ماذا يعنى ذلك؟ إنه يعني أن الرب يسوع يريد أن يقول هنا أن ذلك العبد كان مديون للملك بدين من المستحيل أن يستطيع تسديده طوال حياته.

ثم قال يسوع: "وإذ لم يكن له ما يوفي أمر سيده أن يباع هو وامرأته وأولاده وكـــل مـــا له ويوفي الدين، فخر العبد وسجد له قائلاً: يا سيد تمهل عليّ فأوفيك الجميع. فتحنن سيد ذلك العبد وأطلقه وترك له الدين" (متى ١٨: ٢٥-٢٧).

إن الملك قد ترك الدين للعبد لأنه لم يكن في مقدوره أن يدفعه، والملك في هذا المثل يشير إلى الله الآب، ففي رسالة بولس إلى كنيسة كولوسي يقول: "وإذ كنتم أمواتـــاً في الخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا. إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب" (كولوسي ٢: ١٣-١٤).

لقــد كان الدين الذي علينا ضخم جداً لدرجة أنه لم يكن في مقدورنا أن ندفعه مهمــا حاولــنا، فلم يكن هناك سبيل لأن نرد للرب ما كنا مديونين له به فخطايانا وإســاءاتنا للرب كانت غير محدودة لذلك منحنا الرب الخلاص مجاناً كهبة مجانية ودفع يسوع بموته الدين الذي كان علينا ومحا الصك الذي كان ضدنا.

من هنا نرى أن علاقة الملك والعبد في هذا المثل كانت تشير إلى علاقتنا نحن بالرب.

فلنقرأ باقي المثل:

"ولما خرج ذلك العبد وجد واحداً من العبيد رفقائه كان مديوناً له بمائة دينار، فأمسكه وأخذ بعنقه قائلاً: أوفني ما لي عليك" (متى ١٨: ٢٨).

فلتلاحظ هنا كيف يشير هذا المثل إلى عدم غفران الإساءة، فهذا المثل يوضح أنه عندما لا تغفر للشخص الذي أساء إليك يصبح ذلك الشخص وكأنه مديوناً لك بديــن، لذلــك كثــيراً ما نسمع عبارة: "سوف أجعله يدفع ثمن ما فعله معي من إساءة".

فــي هــذا المثل، كان ذلك الرجل مديوناً للعبد رفيقه بمائة دينار والدينار كان يساوي تقريباً أجرة الموظف في اليوم الواحد، لذا فالمائة دينار تساوي في يومنا هذا ما يقرب من أربعة آلاف دولار.

دعونا نكمل ما حدث:

"فخــر العبد رفيقه على قدميه وطلب إليه قائلاً: تمهل عليّ فأوفيك الجميع. فلم يرد بل مضى وألقاه في سجن حتى يوفي الدين" (متى ١٨: ٢٩-٣٠).

لقـد كـان أحد رفقاء ذلك العبد مديون له بمبلغ كبير من المال ما يوازي ثلث مرتـب سـنة، فماذا يكون شعورك لو أنك فقدت ثلث مرتبك؟ ولكن تذكر أن ذلك العـبد كان هو أيضاً مديون لسيده الملك بما يقرب من أربعة ونصف بليون دولار وهو مبلغ من المال لم يكن في استطاعته أن يوفيه طوال حياته ومع ذلك ترك له الملك ذلك الدين!

إن حجم الإساءة التي نتعرض لها من الآخرين ولا نريد أن نغفرها لهم بالنسبة لحجـم إساءتنا وخطايانا في حق الرب تمثل بالضبط ال ٤٠٠٠ دولار بالنسبة إلى ال ٤،٥ بليون دولار!

قـد نتعرض بالفعل للإساءة من الآخرين ولكن هذه الإساءة لا تقارن بإساءتنا وآثامـنا نحـن ضد الرب، قد تظن أنه لم يوجد شخص قد تعرض للإساءة بالقدر الـذي تعرضـت له أنت ولكنك بهذا لا تدرك قدر الإساءة التي تعرض لها يسوع وهو البريء الذي بلا خطية، حمل بلا عيب ذبح لأجلك. إن الشخص الذي لا يغفر قـد نسي قدر الدين الذي غفره له الرب، فلو أنك أدركت حقاً كيف حررك يسوع مجانـاً من الموت والهلاك الأبدي فحتماً سوف تستطيع أن تحرر وتطلق الآخرين بـدون شـرط. فـلا يوجد أسوأ أو أقسى من أن تحيا أبديتك في البحيرة المتقدة بالـنار، فلـيس فـيها راحة فالنار لا تنطفئ والدودة فيها لا تموت! لقد كان هذا مصير كل منا حتى سامحنا الآب في موت ابنه يسوع المسيح .. هللويا!

إذا كنت تشعر بصعوبة أن تغفر فاقضي وقتاً في التفكير في حقيقة الجحيم وفي محبة الرب التي خلصتك منه مجاناً.

دروس للمؤمنين

دعونا نكمل قراءة المثل:

"فلمـــا رأى العبـــيد رفقاؤه ما كان حزنوا جداً وأتوا وقصوا على سيدهم كل ما جرى. فدعاه حينئذ سيده وقال له: أيها العبد الشرير، كل ذلك الدين تركته لك لأنك طلبـــت إلــــيّ، أفمـــا كان ينبغي أنك أنت أيضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا؟" (متى ١٨: ٣١ - ٣٣)

لــــم يكـــن يسوع يشير إلى غير المؤمنين في هذا المثل بل إلى المؤمنين. فلقد كان يتحدث عن عبد للملك كان عليه دَين ضخم وترك له من قِبل الملك وهذا يشير إلـــى الخـــلاص، ولقد كان هذا العبد يطلق عليه "عبد للسيد" والعبد الأخر الذي لم يســـامحه كان يطلق عليه "العبد رفيقه". إذاً فالحديث هنا عن مؤمنين نالوا، وهذا يعني أن مصير ذلك العبد الذي رفض أن يغفر لرفيقه سيكون هو نفسه مصير كل مؤمن يرفض أن يغفر للآخرين.

أما مصير ذلك العبد فكان كما يلي:

"وغضـــب ســـيده وســـلمه إلـــى المعذبين حتى يوفي كل ما كان له عليه. فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته" (متى ١٨: ٣٤-٣٥)

إن هذه الآيات توضح أمرين هامين جداً:

أولاً ... إن العبد الذي لم يغفر كان مصيره أنه سُلم للعذاب على يد المعذبين.

ثانياً ... هكذا يفعل الآب السماوي مع كل مؤمن لا يغفر لأخيه زلاته.

أولاً: العبد الذي لم يغفر سلم للعذاب علي يد المعذبين.

إن تعـريف كلمـة (عـذاب) هو: ألم للجسد أو للذهن، أو ألم شديد يُضرَب به شخص للعقاب أو لأسباب أخرى.

إن المحرضين على هذا العذاب هم الأرواح الشريرة أي "المعذبين"، إذاً فمعنى ذلـك أن الـرب يسـمح للمعذبيـن أن يأتوا بالألم والضربات على جسد أو ذهن الشـخص الـذي لا يغفر، حتى لو كان هذا الشخص مؤمناً. فكم من مرات صليت فيها لمؤمنين في الكنائس من أجل أن ينالوا الشفاء أو التحرير أو راحة من الرب ولكـنهم لـم ينالوا شيئاً بسبب أنهم يرفضون أن يغفروا من قلوبهم لمن أساءوا إلـيهم. بل أن الأطباء والعلماء اليوم يرجعون الكثير من الأمراض الجسدية (مثل التهاب المفاصل والسرطان) وأيضاً الكثير من الأمراض النفسية إلى المرارة وعدم غفران الإساءة.

والغفـران هنا لا يعني فقط أن تغفر لمن أساء إليك ولكن يعني أن تغفر لنفسك أيضـاً، لقد قال يسوع أننا يجب أن نغفر للجميع زلاتهم بما فيهم أنت نفسك. فمن أنت حتى ترفض أن تغفر لشخص قد غفر له الرب حتى لو كان هذا الشخص هو نفسك؟!

ثانـياً: إن الآب السـماوي سوف يفعل هكذا مع كل مؤمن يرفض أن يغفر من قلبه مهما كان حجم الإساءة التي تعرض لها.

لقد كان يسوع محدداً جداً في هذا المثل لأنه كان يريد أن يتأكد من فهمنا الجيد لـه. ففي معظم الأمثال التي قالها يسوع كان عادة ما لا يعطي تفسيراً لها إلا إذا سـأله التلامـيذ، ولكن في هذا المثل بالتحديد لم ينتظر يسوع سؤالاً حتى يوضح الحكـم الـذي يقضـي به الرب على هؤلاء الذين يرفضون أن يغفروا لمن أساء إليهم. بل أن يسوع كرر ذلك الحكم في الكثير من المواقف موضحاً أنه إذا لم نغفر

للذيـــن يسيئون إلينا لن يغفر لنا أبونا السماوي، وأرجو أن تتذكر أن يسوع دائماً يعني ما يقوله بالضبط.

ولكـــن مع الأسف، فهذا التعليم ليس موجوداً بكثرة في كنائسنا هذه الأيام، بل علـــى العكـــس فإننا نجد الكثير من الأعذار التي تعطى لتبرر عدم الغفران بل أن خطـــية عـــدم الغفران ينظر لها الآن على أنها خطية أصغر وأقل بكثير من خطية الـــزنى أو الشـــذوذ الجنسي أو السرقة أو الإدمان وغيرها. ولكن في الحقيقة إن هـــؤلاء الذيـــن يمارسون خطية عدم الغفران هم في نظر الرب مثلهم مثل هؤلاء الذين يمارسون غيرها من الخطايا.

قد يظن البعض أن هذه الرسالة التي أقولها صعبة وقاسية ولكنني على العكس أراها رسالة للرحمة وللتحذير. فهل تقبل تبكيت الروح القدس لك الآن وتقدم توبة حقيقـــية عـــن تلك الخطية لتختبر غفران الرب العظيم؟ أم أنك ستظل رافضاً لأن تغفر لمن أساء إليك وتلقى مصير ذلك العبد الذي لم يغفر لرفيقه؟

الفصل الثاني عشر

فخ الانتقام

يجب أن نبتعد كل البعد عن أي رغبة في الانتقام لأنفسنا حتى لو كان هذا سيجعلنا عرضة لأن يُساء إلينا مرة أخرى

لا تجازوا أحداً عن شر بشر. معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس"

(رومية ١٢: ١٧)

رأينا بوضوح في الفصل السابق أنه إذا رفضت أن تغفر لشخص أساء إليك، فإن هذا يكون بمثابة دين تمسكه عليه، فعدم غفرانك للإساءة يعني أنك تعتبر الشخص الذي أساء إليك مديوناً لك وتظل منتظراً أن يوفي لك ما عليه من دين سواء كان هذا الدين ماديّ أو معنوي.

وفي دول العالم المختلفة توجد المحاكم المتعددة حتى تقوم بدور المنتقم لحساب الطرف الذي تعرض للأذى،

فالعدالة الإنسانية تقول: "إذا تعرض شخصاً للأذى من شخص آخر، فإن الجاني يجب أن يُقدَّم للمحاكمة لينال عقابه ويدفع ثمن خطئه". وهذا ما فعله العبد الذي لم يغفر (في المثل السابق)، فهو أراد أن يجعل رفيقه يدفع ما كان مديوناً له به وعندما لم يدفع ألقاه في السجن.

ولكن دعوني أقول لكم أن هذا ليس هو طريق البر، فالكتاب المقدس يقول:

"لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل أعطوا مكاناً للغضب، لأنه مكتوب: لي النقمة أنا أجازي، يقول الرب" (رومية ١٢: ١٩).

إنه ليس من البر ونحن أولاد الله أن نسعى لأن ننتقم لأنفسنا، ولكن مع الأسف هذا بالضبط ما نفعله عندما نرفض أن نغفر لمن أساء إلينا فهذا ليس له سوى معنى واحد هو أننا نريد ونسعى بداخلنا لأن ننتقم. فنحن نأخذ بداخلنا قراراً ألا

نغفر لهذا الشخص إلا عندما يدفع الدين كاملاً ، ونحن فقط الذين نحدد كيفية دفع ذلك الدين وما هو التعويض المناسب الذي يرضينا. ولكن عندما تفعل هذا فإنك في الواقع تكون قد جعلت من نفسك ديّاناً .. أي قاضي يحكم ويدين. ولكن هل تعرف ماذا يقول الكتاب المقدس؟

"واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلص ويهلك. فمن أنت يا من تدين غيرك؟ ..... لا يئن (لا يتذمر) بعضكم على بعض أيها الأخوة لئلا تدانوا. هوذا الديان واقف قدام الباب" (رسالة يعقوب ٤: ١٢؛ ٥: ٩).

إن الرب هو الديان العادل وهو الذي يقضي بالعدل والبر.

قد تقول لي: إنني تعرضت للإساءة ظلماً، فأنا لم أخطئ في حق ذلك الشخص الذي أساء إليّ حتى يكون له عذر فيما فعله معي. ولكن دعني أسألك: ما الذي فعله يسوع جعله يستحق ما تعرَّض له لأجلك؟ وما فعلته أنت لكي تستحق منه الغفران؟ فلقد كان ضحية بريئة لم يفعل جرم ولا خطية في حين أخطأ الجميع وكانوا يستحقون الموت و العقاب. فمن منا لم يكسر وصايا الرب و ناموسه الذي يفوق بكثير ناموس الناس؟ جميعنا ضللنا وكان من العدل أن يُحكم علينا جميعاً بالموت والهلاك الأبدي على يد الديان الأعظم. فإذا قارنت الإساءة التي تعرضت أنت لها بتلك التي تعرَّض لها يسوع فستدرك أنه لا يوجد وجه للمقارنة، فالدَين الذي تمسكه على أخيك أتفه بكثير من أن يقارَن بالدَين الذي تركه لك الرب وسامحك عليه.

لا مجال للمجازاة عن الشر بشر في العهد الجديد

كان من حق الناس تحت ناموس العهد القديم أن ينتقموا لأنفسهم ممن يسئ إليهم، فكان من حقهم أن يطالبوا الآخرين بما عليهم من ديون، وكان من حقهم

أن يجــازوا عن الشر بشر مثله (انظر لاويين ٢٤: ١٩؛ خروج ٢١: ٢٣-٢٥). فلقد كان الناس في العهد القديم يعيشون تحت الناموس ذلك لأن يسوع لم يكن قد مات بعد لكي يطلقهم أحرار.

ولكن لنرى ما الذي يقوله يسوع لمؤمنين العهد الجديد:

"سمعتم أنه قيل: عين بعين وسن بسن. وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر بل مــن لطمك على خدّك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً، ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين. من سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا تردّه" (متى ٥: ٣٨-٤٢).

لقــد محــا يســوع كل مجال للانتقام والضغينة بهذا الكلام، بل أنه أوضح أنه يريدنا أن نبتعد كل البعد عن أي محاولة للانتقام لأنفسنا حتى لو كان ذلك سيجعلنا عرضــة لأن نستغل مرة ثانية! فعندما تسعى لأن تنتقم للإساءة التي تعرضت لها فأنــت بهذا تجعل من نفسك ديّاناً، وهذا ما فعله العبد الذي لم يغفر (في متى ١٨) عــندما ألقى برفيقه في السجن ولكن كان نتيجة ذلك أن هذا العبد قد أسلم إلى يد المعذبيــن وأصبح عليه أن يدفع الدين الذي كان عليه لسيده. أما نحن فيجب أن نعطي مكاناً للغضب وأن نسلم الأمر للقاضي العادل فهو وحده الذي يحكم ويقضي بالعدل والبر.

لقد كنت أعظ في أحد الأيام عن موضوع الغفران في إحدى الكنائس في ولاية فلوريدا، وبعد العظة جاءتني إحدى السيدات وقالت لي أنها بالرغم من أنها بالفعل قــد غفرت لزوجها السابق عن كل ما فعله معها إلا أنها عندما سمعتني أتكلم عن ضرورة أن نطلق من يسئ إلينا، شعرت بانزعاج شديد في داخلها.

فأجبتها بلطف: "إذاً أنت لم تغفري له بعد يا سيدتي".

فقالت: "لا.. بل غفرت له".

فقلت: "ولكن واضح أنك ما زلت لم تطلقيه"

فأجابت: "ولكنني لا أنتظر منه شيئاً، لقد أطلقته"

فسألتها أن تخبرني بما فعله معها. وبدأت تحكي وتقول: "لقد كان زوجي راعي أحد الكنائس وكنت أعينه في الخدمة ولكنه تركني فجأة أنا وأولادنا الثلاثة ورحل مع امرأة أخرى كان لها دور بارز في الكنيسة".

ثـم أضافت والدموع تلمع في عينيها: "لقد قال لي أن زواجه مني لم يكن في مشـيئة الرب من البداية وأنه بزواجه من هذه السيدة هو في ملء مشيئة الرب. بـل أنه قال أنه الآن سوف يكون أكثر إثماراً في الخدمة لأنها ستعينه أكثر مني، وقال أنني كنت العائق الوحيد لانطلاقه في الخدمة لأنني كنت كثيراً ما أنقده.

لقـد ألقى بكل اللوم عليّ وكأنني أنا وحدي المسئولة عن فشل ارتباطنا، ومنذ ذلك اليوم لم يرجع ولم يعترف بخطئه أبداً".

لقـد كـان واضحاً أن ذلك الرجل كان مخدوعاً وقد تسبب في الكثير من الأذى لزوجته وأسرته. أما عن الزوجة فلقد عانت منه الكثير والآن هي تنتظر أن يوفي لهـا ما عليه من دين، ليس الدين على هيئة أموال أو نفقة مالية إنما الدين الذي كانـت تنتظره كان على هيئة اعتراف منه أنه أخطأ في حقها وأنها ليست مخطئة في شيء.

ولكـن يسوع لم ينتظر حتى يعتذر له من أساءوا إليه وصلبوه، لم ينتظر حتى يـأتوا إليه قائلين: "قد أخطأنا وأنت لم تخطئ، لذا أرجوك سامحنا". لقد صرخ إلى الآب وهـو معلقـاً علـى الصليب قائلاً: "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا

يفعلون" (لوقا ٢٣: ٣٤). بل أنه سامحنا جميعاً في الصليب من قبل أن نأتي إليه معترفين بإساءتنا في حقه. لهذا يحثنا الرسول بولس قائلاً: "كما غفر لكم المسيح هكـذا أنـتم أيضاً" (كولوسي ٣: ١٣)، كما قال أيضاً: "وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح" (أفسس ٤: ٣٢).

لقـد نظرت للسيدة وقلت لها: "يا سيدتي، أنتِ لا تريدين أن تغفري لزوجك إلا إذا جـاء إليك واعترف لك بخطئه وأن فشل ارتباطكما كان بسبب أخطاؤه وليس بسـببك أنـتِ. هـذا هو الدين الذي تمسكيه على زوجك وهو نفسه الذي جعلك مسجونة في سجن عدم الغفران حتى الآن".

عندما قلت للسيدة هذه الكلمات انهمرت الدموع من عينيها، فقد كان ما تنتظره من زوجها يبدو لها ضئيلاً جداً أمام ما سببه لها ولأولادها من آلام وجروح ولكن ذلـك جعلها مسجونة داخل سجن العدالة الإنسانية تطالب فيه باسترداد حقها في الدين الذي على زوجها ومنتظرة التعويض منه. وبالرغم من أن تلك السيدة كانت قـد تزوجت مرة أخرى إلا أن ما بداخلها من مرارة وعدم غفران ظل عائقاً أمام علاقتها بزوجها الثاني.

كثيراً ما كان يسوع يشبه قلوبنا بالأرض، فالكتاب المقدس يحثنا على أن نكون متأصلين وثابتين في محبة الله حتى تستطيع كلمة الله التي يبذرها الآب في قلوبنا أن تمـد جذورهـا وتنمو وفي النهاية تأتي بثمار البر في حياتنا. و ثمار البر هي المحبة والفرح والسلام وطول الأناة واللطف والصلاح والإيمان والوداعة والتعفف (انظر غلاطية ٥: ٢٢ - ٢٣).

ولكـن نـوع البذرة التي تزرعها في الأرض هو الذي يحدد نوع الجذر الذي سينمو فيها، فإذا زرعنا بذور عدم الغفران والديون والإساءة فإن جذراً آخر غير محبة الله سوف ينمو في قلوبنا وهو جذر المرارة.

إن مـــن أفضل ما قرأته عن تعريف لكلمة المرارة هو: أن المرارة هي الانتقام الغـــير تـــام. أي أن المرارة تنتج في قلوبنا عندما لا نستطيع أن ننتقم ممن أساء إلينا بالدرجة التي ترضينا وتكفينا.

ولقد تحدث كاتب رسالة العبرانيين مباشرة عن هذا الأمر قائلاً:

"اتـــبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب، ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمة الله، لئلا يطلع أصل (جذر root) مرارة ويصنع انزعاجاً فيتنجس به كثيرون" (عبرانيين ١٢: ١٤-١٥).

لاحـــظ هنا عبارة (فيتنجس به كثيرون). ترى هل من الممكن أن يكون هؤلاء ال (الكثيرون) هم أنفسهم الـــ (كثيرون) الذين تحدث عنهم يسوع في متى ٢٤: ١٠؟!

فـــي الآيـــات السابقة يتضح لنا أن الكتاب المقدس يشير إلى المرارة على أنها "جـــذر"، ومـــن المعروف أن الجذور إذا اعتنينا بها وسقيناها واهتممنا أن نغذيها ونحمـــيها فالنتيجة حتماً ستكون أنها ستنمو وتزداد في العمق والقوة والصلابة، وبالتالـــي تصـــبح مـــع الوقت صعبة الاقتلاع أي لا يمكننا أن نقتلعها من الأرض بسهولة.

هكـــذا أيضـــاً جذور المرارة وعدم الغفران إذا لم نتعامل معها ونعالجها سريعاً تزداد في العمق والقوة وتصبح صعبة العلاج، لهذا حثنا الكتاب المقدس ألا تغرب الشـــمس عـــن غيظـــنا (أفسس ٤: ٢٦). فإذا تركنا تلك الجذور تنمو وتمتد فلن نســـتطيع أن نحصـــد ثمـــار الـــبر بل على العكس سوف نحصد ثماراً أخرى مثل الغضب والغيظ والغيرة والكراهية والنزاع، مثل هذه الثمار قد وصفها يسوع بأنها ثماراً ردية (انظر متى ٧: ١٨-١٩).

ويقول الكتاب المقدس (في عبرانيين ١٢: ١٤-١٥) أن الشخص الذي لا يتبع

السلام عن طريق التخلص من الجروح والعثرات وعدم الغفران سوف يتنجس في النهاية بجذور المرارة، فعدم الغفران سوف يفسد ويدمر كل ما هو جيد وثمين لديك.

"أبشالوم" تنجس بالمرارة

لقد رأينا في الفصول الأولى لهذا الكتاب كيف أن داود ظل أميناً لشاول الملك حتى بعد ما أصبح شاول خطراً على حياته، فداود لم يسعى لأن ينتقم لنفسه من شاول بالرغم من أن الفرصة إلى ذلك جاءته مرتين ولكن لأن داود كان رجلاً بحسب قلب الرب لذلك ترك الرب يقضي بينه وبين شاول، وحتى عندما وقع قضاء الرب على شاول لم يفرح داود بل على العكس ناح على شاول من كل قلبه وذلك إن دلّ على شيء فهو يدل على أن داود لم يكن يحمل في قلبه أية جذور للمرارة أو الضغينة تجاه شاول.

بعد موت شاول الملك، جلس داود على العرش وأصبح ملكاً على إسرائيل ولقد قويت مملكة داود وازدهرت اقتصادياً وعسكرياً، أما داود فلقد تزوج عدة مرات وأنجب الكثير من الأبناء كان منهم ابنه الأكبر "أمنون" وابنه الثالث في الترتيب "أبشالوم".

وفي أحد الأيام ارتكب أمنون جريمة بشعة في حق أخته من أبيه "ثامار" والتي كانت أخت أبشالوم الشقيقة. فلقد تظاهر أمنون بالمرض وطلب من داود أبيه أن يرسل ثامار إليه لتطعمه، وعندما حضرت ثامار أمر أمنون الخدم والعبيد أن يخرجوا خارجاً ثم اعتدى عليها رغماً عنها، وبعد ذلك أبغضها وطردها ولم يرد أن يراها. وهكذا أذل أمنون وأهان أميرة ملكية ودمَّر حياتها بالعار والخزي إلى الأبد (انظر صموئيل الثاني ١٣).

وعندما علم أبشالوم بهذا امتلأ قلبه بالغيظ والكراهية تجاه أمنون ولكنه لم يتكلم معه عما فعله بل أحضر ثامار أخته وجعلها تقيم معه في بيته وتعهد برعايتها، وظل أبشالوم ينتظر والده داود أن يفعل شيئاً يعاقب به أمنون على جريمته في حق ثامار ولكن بالرغم من أن داود اغتاظ جداً وغضب عندما علم بالأمر إلا أنه لم يتخذ أي إجراء ضد أمنون، وهكذا امتلأ قلب أبشالوم بالغيظ والإحباط بسبب ظلم داود أبيه وعدم عدالته.

لقد كانت ثامار قبل ذلك اليوم المشئوم تلبس الثياب الملكية وتتمتع بالاحترام والإعجاب من الجميع ولكنها الآن تلبس ثياب الخزي والعار وتعيش في عزلة وقد حُرمت من الزواج طوال حياتها لأنها فقدت شرفها.

وكل هذا حدث بسبب أنها ذهبت إلى أمنون بناءً على أوامر الملك وكانت النتيجة أن حياتها تحطمت أما الرجل الذي حطمها فهو يعيش حياته وكأن شيئاً لم يكن. ليس هذا عدلاً، أليس كذلك؟ لقد كان أبشالوم يرى أخته في عذابها وألمها كل يوم وقد تحولت حياتها إلى كابوس ليس له نهاية وقد تحمل ذلك لمدة عاماً كاملاً على أمل أن يتحرك داود ويفعل شيئاً ولكن بلا جدوى، وهكذا امتلأ قلب أبشالوم بالضيق والغضب من والده وبالكراهية لأمنون.

وفي النهاية وبعد مضي عامين دفعته كراهيته لأمنون إلى أن يخطط لقتله، فربما قال في نفسه: "سوف أنتقم لأختي بيدي طالما تقاعس من له سلطة الانتقام والعقاب عن أن يفعل شيئاً!".

وهكذا صنع أبشالوم وليمة دعا إليها كل بني الملك وهناك قتل أمنون ثم هرب إلى "جشور". لقد تمم انتقامه من أمنون ولكن ظل بداخله جرح من والده داود ظل ينمو ويزداد مع الأيام. لقد تسممت أفكار أبشالوم بالمرارة وأصبح ينظر بعين النقد لنقاط الضعف في حياة أبيه وتصرفاته.

فربما كانت تدور في رأسه أفكار مثل: "إن جميع الشعب يكرم ويعظم داود أبي ولكــنهم في الواقع غافلين عن حقيقته، فهو إنسان أناني لا يهتم إلا بنفسه بينما يــأخذ الرب ستاراً يتستر وراؤه، فهو في حقيقته أسوأ من الملك شاول! فلقد فقد شــاول المملكــة بســبب أنه لم يقتل ملك عماليق وبسبب أنه احتجز بعض الغنم والــبقر، أما والدي فقد سقط في خطية الزنى مع زوجة واحد من أخلص وأوفى أعوانه ولم يكتفي بذلك بل قتل زوجها لكي يغطي جريمته. إنه قاتل وزاني.. لهذا هــو لم يعاقب أمنون، لأنه مثله! والفظيع في الأمر أنه يغطي كل هذا أمام الناس بعبادته الواهية للرب!"

لقد أقام أبشالوم في "جشور" ثلاثة سنوات، بعدها استطاع يوآب أن يقنع داود بــأن يســمح لأبشالوم بالعودة إلى أورشليم وبالرغم من موافقة داود إلا أنه ظل رافضــاً لأن يقابل أبشالوم وجهاً لوجه. وظل الحال هكذا لمدة عامين ثم بعد ذلك وافــق داود أن يقابل أبشالوم وردّ له كل امتيازاته مرة أخرى. ولكن بالرغم من هــذا ظلت المرارة مشتعلة في قلب أبشالوم ضد داود، فبدأ يجذب نحوه كل مستاء وكــل مــن له شكوى وأعطى نفسه بالكامل لشعب إسرائيل فكان يقضي كل وقته يســمع لشكواهم ويقضي بينهم وبينما هو يفعل ذلك أخذ يردد على مسامع الشعب كــيف أن الأمور كانت ستختلف كثيراً لو أنه كان هو الملك على عرش إسرائيل.. وهكــذا اســتطاع أبشــالوم أن يستولي على قلوب الشعب ويستميلهم إليه بسبب تظاهــره بأنــه يهتم بهم وبأحوالهم. ولكن هل حقاً كان يهتم بهم أم أنه كان فقط يسعى لأن يأخذ مكان داود على العرش وينتقم من الذي تسبب في كل هذه المرارة التي في داخله؟!

خبراء في النقد والحكم

لقد نجح أبشالوم في أن يستميل قلوب شعب إسرائيل إليه وضد أبيه داود حتى اشـتعلت نيران الفتنة في المملكة واضطر داود إلى أن يهرب من أورشليم إنقاذاً لحـياته. وإلـى هـنا كان يبدو أن أبشالوم قد نجح في تحقيق ما كان يسعى إليه وأصـبح علـى وشـك أن يكون ملكاً على إسرائيل ولكن على العكس، فلقد قتِل أبشالوم وهو يسعى وراء داود ويلاحقه بالرغم من أن داود كان قد أعطى أوامره لـرجاله بـأن لا يمس أحدهم أبشالوم بأذى. في الواقع لقد قتِل أبشالوم بمرارته وحقـده، ذلـك الرجل.. الذي كان وليّ عهد المملكة والذي كان ينتظره المستقبل الباهر المشرق.. مات في ريعان شبابه لأنه رفض أن يطلق لأبيه الدَين الذي كان يظن أنه مديوناً له به، لهذا مات متنجساً بالمرارة.

إن هـذه القصـة، مع الأسف، ليست ببعيدة عن كنائسنا هذه الأيام. فكثير من المؤمنيـن يُجـرَحون ويعثرون من قادة لهم في الكنيسة وتكون نتيجة ذلك أنهم سـريعاً مـا يـبدأون في النظر بعين النقد والحُكم على كل ما يحدث في الكنيسة ويـتحولون فجأة إلى خبراء في نقد العيوب والحكم على الأخطاء سواء كانت تلك الأخطـاء خاصـة بالقـادة أو بالذين هم معيَّنون من قبل القادة. إن المرارة التي بداخلهـم قـد أفسدت عيونهم وشوَّهت أفكارهم فأصبحوا ينظرون للأمور بنظرة بعـيدة كل البعد عن نظرة الرب ومشيئته، فتصبح فجأة كل مهمتهم في الحياة أن يسـاعدوا مـن حولهـم فـي الكنيسة وينقذوهم من يد ذلك القائد الظالم وبالفعل ينجحون في استمالة كثيرين من المستاءين والمتذمرين وقليلي المعرفة والنضج ، وفجـأة وبدون أن يدروا يكونون قد أحدثوا انقساماً في الكنيسة وفي الخدمة. وقد يكون ما يقولونه وما يرونه من أخطاء في القادة صحيحاً، فربما كان داود مخطئاً عندما ترك أمنون بلا عقاب وكان عليه بالفعل أن يتخذ إجراءً حاسماً ضده، ولكن

دعني أسألك سؤالاً: من هو القاضي والديّان.. أنت أم الرب؟

إن مـــا حدث مع أبشالوم وما يحدث في الكثير من الكنائس اليوم لا يحدث في يوم وليلة، بل هو أمر ينمو مع الوقت ولكننا عادة ما لا ننتبه إلى أن جذر المرارة والجروح بدأ ينبت في قلوبنا من البداية، فجذور المرارة تنبت في الخفاء دون أن يلاحظها أحد ولكن كلما راعيناها.. كلما نمت وازدادت في القوة والعمق،

لذلك يحثنا كاتب رسالة العبرانيين أن نكون "ملاحظين... لئلا يطلع أصل (جذر) مرارة ويصنع انزعاجاً فيتنجس به كثيرون" (عبرانيين ١٢: ١٥).

لذا يجب علينا أن نمتحن قلوبنا ونقبل كل تصحيح وتقويم من الرب لنا، فكلمة الـــرب هـــي فقط القادرة على تمييز أفكار القلب ونيّاته، لذا فلتقبل تبكيت الروح القـــدس لضـــميرك وأنـــت تسمع كلمة الرب لك ولا تطفئ الروح القدس بتجاهلك لتبكيته، وإذا كنت قد فعلت ذلك يوماً فتب الآن أمام الرب وافتح قلبك لتقويمه لك.

لقد جاءني يوماً أحد الخدام ليسألني إذا كان قد فعل مثلما فعل أبشالوم مع داود أم لا. فلقـــد كـــان يخـــدم في أحد الكنائس بأمانة حتى فوجئ ذات يوم أن راعي الكنيســـة قد فصله من الكنيسة دون سبب، فقد كان يبدو أن قلب ذلك الراعي كان ممتلـــئاً بالغيرة من ذلك الخادم لأن يد الرب ومسحته كانت واضحة على خدمته. وبعد مضي سنة على ذلك شعر الخادم أن الرب يريده أن يؤسس كنيسة في الجهة المقابلة للمدينة، ففعل ولكنه وجد أن الكثير من الناس الذين كانوا ينتمون لكنيسة ذلـــك الراعي قد تركوها وانضموا لكنيسته الجديدة، ومن هنا دخله خوف من أن يكون قد فعل مثلما فعل أبشالوم مع داود.

لقـــد كـــان واضـــحاً أن ذلك الخادم لا يحمل أي ضغينة أو مرارة تجاه راعي الكنيســـة وأنه عندما قرر أن يؤسس كنيسة جديدة كان هذا القرار بناءً على قيادة

من الرب له وليس بناءً على رد فعل للإساءة التي تعرض لها من راعي الكنيسة.

وهكـــذا بدأت أوضح لذلك الخادم الفرق بين أبشالوم وداود، فأبشالوم قد سرق قلوب الناس من داود لأنه كان مجروحاً من داود ويشعر بمرارة تجاهه، أما داود فقد كان يحث الناس أن يظلوا مخلصين وأوفياء لشاول الملك بالرغم من أن شاول كان يطارده ليقتله. لقد رحل أبشالوم آخذاً معه الكثير من الرجال بعد أن استمالهم إليه، أما داود فلقد رحل بمفرده دون أن يطلب من أحد أن يرافقه ودون أن يحاول استمالة أحد إليه.

وهـــنا سألت ذلك الخادم قائلاً: "عند رحيلك من الكنيسة، هل فعلت أو قلت أي شـــيء بهـــدف أن تشـــجع آخرين على أن يرحلوا معك أو أن يساندوك.. أم أنك رحلت بمفردك؟"

فأجاب: "لا لقد رحلت بمفردي ولم أفعل أي شيء لكي أجذب إليّ أحد"

فقلـــت له: "إذاً أنـــت فعلت مثلما فعل داود. ما عليك الآن أن تفعله مع هؤلاء الذين تركوا كنيستهم وانضموا إليك هو أن تتأكد من أنهم لا يحملون أي مرارة أو عثرة من راعي كنيستهم السابقة وإذا وجدتهم كذلك فساعدهم حتى ينالوا الحرية والشفاء مما يشعرون به".

إن كنيسة ذلك الخادم تزداد وتنمو يوماً بعد يوم، ولكن ما أعجبني حقاً في ذلك الـــرجل هو أنه لم يكن خائفاً من أن يمتحن قلبه ودوافعه بأمانة بل أنه كان أميناً فـــي ذلـــك لدرجة جعلته لا يتردد في طلب المشورة الروحية، فرغبته في أن يحيا خاضـــعاً للرب كانت أهم بكثير من رغبته في أن يثبت صحة وسلامة موقفه أمام نفسه وأمام الآخرين.

فلا تخف من أن تدع الروح القدس يكشف لك عن دوائر المرارة وعدم الغفران

داخــل قلبك، فعلى قدر ما تتركها مختبئة داخلك دون علاج، على قدر ما تنمو في القــوة والعمق وعلى قدر ما يزداد قلبك في القسوة والجمود. وتذكر دائماً كلمات الرب لك:

"لــيرفع مــن بيــنكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث، وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين، متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح" (أفسس ٤: ٣١ – ٣٢).

الفصل الثالث عشر

الهروب من الفخ

كلما تدربت على مقاومة العثرات والجروح

كلما زاد نموك ونضوجك الروحي

أنا أيضاً أدرّب نفسي ليكون لي دائماً ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس"

(أعمال ٢٤: ١٦)

إن الأمــر يحــتاج لــبذل بعض الجهد حتى تبقى حراً من العثرات والجروح، فــبولس الرســول في هذه الآية يشبه ذلك بالتدريبات والتمرينات الرياضية، فمن المعــروف أن الشخص الذي يمارس التمرينات الرياضية يصبح جسمه وعضلاته أقل عرضة للإصابة من غيره.

فلقــد ذهبت يوماً إلى هاواي في أمريكا وهناك تسلقت حائطاً متوسط الارتفاع لكــي ألــتقط بعــض الصــور التذكارية ولكن تسببت تلك الحركة في تمزق أحد العضــلات فــي ركبتي لدرجة أنني لم أستطع السير لمدة أربعة أيام. ولقد قال لي الطبيــب حيــنذاك: "لو كنت تمارس التمرينات الرياضية لما حدث لك هذا، ولكن بســبب عــدم ممارســتك للرياضــة أصبحت عضلاتك ضعيفة وعرضة للإصابة بسهولة".

وعــندما أصــبحت قــادراً على السير مرة أخرى نصحني الطبيب قائلاً: "يجب عليك أن تقوم ببعض التدريبات الرياضية حتى تعود عضلات ركبتك إلى طبيعتها"، ولقد استغرق الأمر أربعة شهور كاملة حتى عادت ركبتي إلى حالتها الطبيعية.

وفــي الآيــة الســابقة (أعمال ٢٤: ١٦) نجد أن أصل كلمة (أدرّب) في اللغة اليونانــية هي كلمة (آسكيو) والتعريف الدقيق لهذه الكلمة هو: "أن يبذل الشخص جهــداً عظــيماً، أو أن يعمــل بجد، أو أن يتدرب عن طريق التمرين أو التهذيب وضبط النفس".

قــد نــتعرض أحــياناً لبعض المضايقات من أشخاص حولنا ولكننا نجد أنفسنا نعــبرها بســهولة وبدون صراع، ذلك لأننا قد درّبنا قلوبنا وأنفسنا من قبل على مواجهة مثل تلك المضايقات لذلك عند مواجهتها لم يحدث لنا أية إصابات خطيرة. إن ذلــك يشــبه محاولتي لتسلق ذلك الحائط في هاواي، فبالتأكيد يوجد الكثيرين الذيــن يســتطيعون تسلــّق ذلك الحائط دون أن تتمزق عضلات ركبتهم ذلك لأن عضلاتهم مدرَّبة على عمل مثل هذه الحركة. وبالمثل، يوجد الكثيرين الذين درّبوا قلوبهــم على أن يطيعوا كلمة الرب ويخضعوا لها لذلك يجدوا أنفسهم من السهل أن يواجهــوا المضــايقات دون أن يصــابوا بالعــثرات والجروح، فدرجة نمونا ونضــوجنا الروحي هو الذي يحدد قدرتنا على مواجهة المضايقات والصعاب دون أن يتســبب لــنا ذلك في أية إصابات. ولكن سنجد دائماً أنه هناك بعض المواقف والمضــايقات الصعبة التي لم نتدرب على مواجهتها من قبل وبالتالي تصبح أكثر صعوبة في مواجهتها من تلك التي تدرّبنا على اجتيازها، ولهذا قد تتسبب لنا تلك المواقــف فــي الإصابة ببعض الجروح والكدمات التي يجب أن نبذل بعض الجهد وأن نــدرب أنفســنا روحــياً حتى نــشُفــى ونتحرر منها تماماً ونستعيد صحتنا الروحــية مــرة أخرى، ولكن صدقوني إن الأمر يستحق أن نبذل هذا الجهد لأن الثمر الذي سوف نحصده في النهاية يكون أعظم بكثير من الجهد الذي نبذله.

وفــي هــذا الفصل أريد أن أتحدث عن تلك المواقف والمضايقات الصعبة التي تحتاج منا إلى بذل جهداً أكبر حتى نستطيع التغلب عليها.

لقــد واجهــت فــي فترة من حياتي أحد تلك المواقف مع واحد من الخدام في كنيستي، وفي الواقع لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يسيء فيها ذلك الشخص إلــيّ بل أنها كانت واحدة من سلسلة من الإساءات ظلت تزداد وتتفاقم على مدار سنة ونصف. وفي ذلك الوقت كان يأتي إليّ الكثير من الناس الذين كانوا يدركون ما يفعله ذلك الشخص من أذى وإساءة لي وكانوا يسألونني: "لابد وأنك جــُرحت

مما فعله ذلك الرجل، أليس كذلك؟ ماذا ستفعل إذاً؟ هل ستتركه يفعل ذلك بك دون أن تفعل شيئاً؟!".

وكنت دائماً أجيبهم: "لا.. أنا لم أجرح ولم أتأثر بما فعله مطلقاً!".

ولكــن في الواقع لم يكن وراء إجابتي هذه سوى الكبرياء والغرور، فالحقيقة كانت أنني قد جــُرحت بل جــُرحت بشدة ولكنني كنت أنكر ذلك حتى أمام نفسي، فقد كنت أقضي الساعات في ذهول ودهشة أفكر كيف يمكن أن يحدث لي ذلك من هذا الشخص ولكنني كنت أكبت تلك الأفكار واضعاً على وجهي قناع الرجل القوي الذي لا يهتز ولا يــُجرَح بينما في داخلي كنت في منتهى الضعف وكنت مجروحاً جرحاً عميقاً لم أكن قادراً على تحمله.

ومرت شهور وشهور بدأت أشعر فيها بجفاف روحي لم أختبره من قبل، فلقد أصــبحت خدمتــي بلا ثمر وبلا قوة وفقدت حضور الرب في حياتي حتى صلواتي فقــدت قوتهــا وتأثيرها، فكان أول ما فكرت فيه هو أن هذا لابد وأنه مقاومة من العــدو لي بسبب دعوة الرب على حياتي وأنه يجب عليّ أن أخوض حرباً روحية حتى أتخلص من ذلك العذاب، وبالفعل بدأت أحارب العدو وأنتهر الأرواح الشريرة كل يوم ولكن دون جدوى، لم تتغير حالتي ولم أتخلص من عذابي ذلك لأن ما كنت فــيه مــن عــذاب وصــراع كان في الواقع بسبب ما في داخلي من عدم غفران ومرارة، ففي كل مرة كانت عينيّ تقع على ذلك الرجل كنت أشعر بأنني أزداد في الضعف والجفاف الروحي.

ولــن أنســى ذلك اليوم الذي كنت فيه جالساً في حديقة منزلي أصلي وسألت الرب قائلاً: "يا رب، هل أنا أشعر بالجرح والمرارة من ذلك الرجل؟"

وما لبثت تلك الكلمات أن خرجت من شفتيَّ حتى سمعت صوتاً قوياً يدوي في داخل روحي قائلاً:

"نـعـم!"

لقد كان الرب يريدني أن أدرك ما أشعر به من جروح ومرارة. وهنا صرخت للرب: "يا رب أرجوك ساعدني أن أتحرر من ذلك الشعور بالإساءة والجرح. إنه أصعب من أن أتحمله وليس لديّ القدرة على مواجهته!".

ولقد كان هذا بالضبط ما ينتظره الرب، فلقد كان منتظراً حتى أصل إلى آخر ما عندي من قوة فنحن كثيراً ما نحاول أن نعالج الأمور بقوتنا الطبيعية ولكن النتيجة تكون دائماً أننا نفشل ونسقط لهذا ينتظر الرب حتى ندرك ضعف قوتنا لكي يتدخل هو بقوته.

إن أول خطوة في طريق الشفاء والحرية من الجروح هو أن تدرك أنك بالفعل مجروح، فكثيراً ما يمنعنا كبرياؤنا من أن نعترف بأننا جُرحنا وأننا نشعر بالمرارة تجاه من جرحونا. وهذه كانت حالتي لوقت طويل ولكن بمجرد أن اعترفت بحقيقة ما أشعر به، بدأت في طلب الرب وأصبحت مهيئاً لتقويمه وتصحيحه لي.

لقد شعرت في ذلك اليوم أن الرب يريدني أن أصوم لبضعة أيام من أجل ذلك الأمر، فالصوم يجعلك أكثر حساسية لسماع صوت الرب، ذلك إلى جانب فوائده الأخرى المتعددة.

"أليس هذا صوماً أختاره: حل قيود الشر، فك عقد النير وإطلاق المسحوقين أحراراً وقطع كل نير" (أشعياء ٥٨: ٦)

وهكذا لقد كنت مستعداً لأن يحل الرب قيود الشر من على حياتي ويطلقني حراً مما أنا فيه.

وبعد عدة أيام كنت في جنازة أحد الأشخاص وهناك رأيت ذلك الرجل واقفاً في آخر الكنيسة وفي تلك اللحظة وجدت الدموع تنهمر من عينيّ وصرخت إلى الرب من كل قلبي قائلاً:

"يا رب.. أنا أسامح ذلك الرجل، نعم.. أسامحه وأطلقه في كل ما فعله ضدي"

وفـــي الحـــال شـــعرت بأن حملاً ثقيلاً قد رُفِع عن كاهلي! لقد غفرت له.. وما أعجب ذلك السلام الذي غمرني في تلك اللحظة!

ولكـــن لقد كانت هذه فقط هي الخطوة الأولى في طريقي للشفاء، فبالرغم من أننـــي قد غفرت له من كل قلبي إلا أنني كنت ما زلت معرّضاً لأن أجرح منه مرة أخـــرى وبســـهولة. فلقـــد كـــان هذا يشبه تماماً شفائي من الإصابة التي أصابت عضـــلات ركبتي، فبالرغم من شفائها إلا أنني كان يجب أن أقوم ببعض التدريبات الرياضـــية حتى يكون الشفاء كاملاً. وبالمثل، في ذلك الموقف كان يجب عليّ أن أبـــدأ فـــي التدريب لكي أقوّي قلبي وذهني ومشاعري حتى لا يحدث أي إصابات أخرى في المستقبل.

خطوة أخرى نحو الشفاء الكامل

مـــرت بضعة شهور كنت فيها كثيراً ما أقاوم بعض الأفكار ضد ذلك الرجل تشبه تلك التي كانت تصارعني قبل أن أغفر له، فكان يحدث ذلك مثلاً عندما كان يأتي إليّ شـــخص يشكو لي من إساءة تعرض لها وجُرح منها تشبه الإساءة التي تعرضت أنا لهـــا من قِـــبَـــل ذلك الرجل، أو أحياناً عندما كنت أرى ذلك الرجل أو حتى يأتي ذكر

اسـمه أمامي، ولكنني كنت في كل مرة أقاوم تلك الأفكار وأعلن رفضي لها وأطردها مـن داخلـي بمجرد ملاحظتي لها (انظر كورونثوس الثانية ٥: ١٠). فلقد كان هذا بمثابة التدريب الذي كان يلزم عليّ أن أمارسه حتى أبقى حراً من الجروح والعثرات، ولكننـي في النهاية توجهت إلى الرب وسألته كيف يمكنني أن أمنع مثل تلك الأفكار من أن تجذبني مرة أخرى إلى سجن عدم الغفران والمرارة، فلقد كنت أدرك أن الرب يريدني أن أحيا على مستوى من الحرية أعلى من ذلك الذي كنت أعيش فيه كما أنني لـم أكـن أرغب في أن أظل طوال حياتي مهدداً بالوقوع مرة أخرى في فخ الجروح والعـثرات مـن هذا الرجل. وهنا أرشدني الرب إلى أن أبدأ في الصلاة من أجل ذلك الرجل الذي أساء إليّ وقد ذكـرّني الرب بكلماته حين قال:

"وأمـا أنـا فـأقول لكم أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم" (متى ٥: ٤٤)

وبالفعل بدأت في أن أصلي لأجله ولكن كانت صلاتي له باهتة وجافة بلا حرارة وبلا مشاعر، فقد ظللت ألزم نفسي أن أضيف في نهاية صلاتي بضع كلمات مثل: "يا رب بارك ذلك الرجل. امنحه يوماً طيباً وساعده في كل ما يفعله. بإسم يسوع.. آمين".

واسـتمر الحـال هكـذا بضعة أسابيع كنت فيها ملتزماً بأن أصلي له كل يوم ولكنني لم أرى أي نتيجة لما كنت أفعله، حتى جاء يوم شعرت في روحي أن الرب يقودنـي لأن أقرأ مزمور ٣٥ فأطعت قيادة الروح القدس وفتحت الكتاب المقدس وبـدأت فـي قراءة المزمور، وبعد ما قرأت بضعة آيات، أدركت أن هذا المزمور يصف حالتي، فلقد قال داود:

"شهود زور يقومون وعمّـا لم أعلم يسألونني. يجازونني عن الخير شراً ثكلاً (حـزنـاً) لنفسي" (مزمور ٣٥: ١١-١٢).

لقد كنت أشعر تماماً مثلما كان يشعر داود في ذلك المزمور، فلقد كنت أرى ذلك الرجل وأعوانه يجازونني عن الخير شراً وكان ذلك يصيب نفسي بالحزن والأسى.. تماماً مثل داود. لقد استخدم الرب كلمات هذا المزمور لكي يجعلني أدرك طبيعة المعركة التي كنت أحاربها طوال تلك السنوات.

وأكملت قراءة المزمور حتى وصلت إلى المقطع التالي:

"أما أنا.. ففي مرضهم كان لباسي مسحاً، أذللت بالصوم نفسي وصلاتي إلى حضني ترجع. كأنه قريب كأنه أخي كنت أتمشى، كمن ينوح على أمه انحنيت حزيناً" (مزمور ٣٥: ١٣ - ١٤)

لقد قال داود أن هؤلاء الرجال كانوا يحاولون أن يحطموه وأنهم كانوا يجازونه بالشر بالرغم من أنه لم يخطئ في حقهم في شيء، ثم قال في عبارة واحدة الحل الذي كنت أبحث عنه لما أنا فيه، هذه العبارة هي: "أما أنا..."

فداود لم يتصرف معهم بناءً على تصرفاتهم معه بل قرر أن يفعل الصواب في عينيّ الرب بغض النظر عما يفعلونه هم معه، ومن هنا بدأ يصلي لأجلهم كمن يصلي لأخيه وينوح على مصائبهم كمن ينوح على فقدان أمه! لقد أراني الرب الطريقة التي كان يريدني أن أصلي بها لذلك الرجل إذ قال لي: "صلي لأجله طالباً نفس الأشياء التي تطلبها لنفسك في الصلاة!"

ومنذ تلك اللحظة اختلفت صلاتي كل الاختلاف، فلم تعد جافة وباهتة بل أصبحت قوية ومفعمة بالحياة، فأصبحت أصلي لأجله قائلاً: "يا رب أعلن له عن نفسك بشكل أعمق من ذي قبل، واغمره بحضورك المبهج واجعله يتمتع بعلاقة حميمة معك و اجعله يخدمك بأمانة ليتمجد اسمك في حياته...".

لقد بدأت أطلب له ما كنت أطلبه لنفسي وأسأل الرب أن يفعل في حياته ما كنت أريده أن يفعله في حياتي.

وبعــد مضيّ شهر واحد من صلاتي الحارة له بانتظام، جاء يوم وجدت نفسي أصرخ من كل قلبي: "إني أبارك ذلك الرجل! أني أحبه وأباركه بإسم يسوع!"

لقــد كانــت صــرخة صادرة من أعماق قلبي، فلم أعد أصلي له كالتزام إنما أصــبحت أصلي له لأني بالفعل أحبه وأريد كل الخير له. وفي تلك اللحظة أدركت أن الشفاء أصبح كاملاً!

شفاء عن طريق المواجهة

ومرت بضعة أسابيع أخرى ثم جاء يوم ورأيته وهنا فوجئت بأن شعور غريب بالانزعاج انتابني في اللحظة التي وقعت عيني عليه، ووجدت نفسي أتصارع مرة أخرى مع أفكار النقد والحكم عليه وعلى تصرفاته.

فقالــت لــي زوجتــي فــي ذلك اليوم: "جون، أعتقد أنك تحتاج أن تذهب إليه وتتحدث معه"

فأجبتها: "لا.. لا، لا حاجة لي أن أفعل ذلك. فأنا شفيت من أي شعور بالمرارة ضده"

ولكننــي شعرت بداخلي أن الروح القدس لا يؤيدني فيما قلته لها، لذلك سألت الرب: "هل فعلاً أحتاج أن أتحدث معه؟"، وكانت إجابة الرب لي: "نعم".

وبــالفعل حــددت موعــداً مــع ذلك الرجل وذهبت إليه في مكتبه ومعي هدية بســيطة، وتقدمــت إليه متضعاً ومعترفاً له بأنني كنت كثيراً ما أنقده وأحكم على

تصــرفاته وطلبــت مـــنه أن يغفر لي. لقد تصالحنا ومنذ تلك اللحظة امتلأ قلبي بالغفــران والشــفاء. لقد خرجت من مكتب ذلك الرجل وأنا أشعر بالشفاء الكامل وبقــوة مــتدفقة فــي روحي فلم أعد أتصارع مع جروحي ولا مع مشاعر النقد والإدانة. ومنذ ذلك اليوم ونحن نتمتع بعلاقة قوية وحميمة بعضنا مع بعض بل أن كل منا أصبح مسانداً ومؤيداً للآخر في كثير من الأمور.

وأذكــر أنني قلت لزوجتي بعد ذلك: "إن أول مرة تقابلت فيها مع ذلك الرجل لم أكــن أرى فيه عيباً أو خطأ ولهذا أحببته من كل قلبي، فلقد كنت أحبه لأنني كنت أعتقد أنه رجلاً كاملاً بلا عيوب. ولكن عندما جــُرحت منه وجدت أنه من الصعب علــيّ أن أحبه بالرغم من محاولاتي العديدة. والآن وبعد أن شــُفيت من جروحي وتصــالحت معه أشعر أنني أحبه بنفس القدر وبنفس الحرارة التي كنت أحبه بها فــي الــبداية بالــرغم مــن أخطائه وعيوبه. فلقد أصبحت محبتي له الآن محبة ناضجة.. محبة الروح القدس".

وهنا ذكــّرني الروح القدس بهذه الآية:

"ولكن قبل كل شيء لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة لأن المحبة تستر كثرة من الخطايا" (رسالة بطرس الأولى ٤: ٨).

إنــه مــن الســهل أن تحب هؤلاء الذين لا ترى فيهم عيباً أو خطأ ولكن من الصــعب جداً أن تحب من تعرف أخطاؤه وترى عيوبه خاصة لو أنك أصبحت أحد ضــحاياه وجــُرحت بسببه، ولكن هذا النوع من المحبة هو محبة المشاعر وهي محــبة نفســية غير ناضجة، ولكن المحبة التي من الله بالروح القدس هي محبة ناضــجة، وهكــذا أدركــت أن الرب من خلال ذلك الموقف كان ينضجني ويقوي مشاعري بمحبته الناضجة الباذلة.

لقـد استغرق الأمر عدة شهور بداية من ذلك اليوم الذي تحدث فيه الرب إليّ فـي حديقة منزلي طالباً مني أن أصلي لأجل ذلك الرجل وحتى اليوم الذي خرجت فيه من مكتبه متصالحاً معه متمتعاً بشفاء حقيقي لمشاعري، ولكن هذه الفترة لم تكـن وقتاً ضائعاً بل كانت في الواقع فترة تدريب وتمرين لقلبي و مشاعري حتى تـتقوى وتنضـج. فلقد كنت كثيراً ما أشعر خلال تلك الفترة بأن حالتي لا تتحسن على الإطلاق بل على العكس كنت أحياناً أشعر بأن الأمور تزداد سوءاً ولكنني في الحقيقة كنت على الطريق الصحيح للشفاء والتحرير.

والرائع في الأمر أنه منذ ذلك الوقت قد تعرضت للكثير من المواقف المشابهة ولكننـي فـي كل مرة لم أكن أحتاج لوقت طويل ولا لجهد كبير لكي أتخلص من مشـاعر الجـرح والضيق، ذلك لأن قلبي أصبح مدرّباً ومتمرناً على التخلص من الجروح والعثرات. لقد نضجت وكان جزء كبير من سبب نضوجي هو تلك التجربة التي خضتها مع ذلك الرجل. والآن أنا أشكر الرب من كل قلبي على هذا الاختبار وعلى ما فعله في حياتي من نمو ونضوج.

النضوج من خلال الصعاب

إنـنا نـنمو وننضـج من خلال ما نتعرض له من تجارب وصعاب، ففي أثناء رحلتـنا وراء الرب سوف يعترض طريقنا الكثير من المواقف الصعبة والتحديات فـلا يجـب أن نهرب منها بل على العكس علينا أن نواجهها لأنها دائماً ما تكون خطـوة على طريق نمونا ونضوجنا حتى نصبح كاملين في المسيح، لذا فاعلم أنه إذا اخترت الهروب من مواجهتها فأنت بهذا تعوق نموك ونضوجك بيدك.

ففـي كل مرة تواجه مثل هذه التحديات والصعاب وتخرج منها منتصراً فستجد نفسـك بعدها وقد ازددت في القوة والصلابة وازدادت معرفتك ومحبتك للرب. لو

كنت قد خرجت من أحد الصعاب دون أن تلمس هذا التغيير فيك فغالباً أنت ما زلت تحمل جروحاً بداخلك ولم تنل بعد الشفاء الكامل من العثرات. ولكن يجب أن تعلم أن الأمــر بيدك أنت، فإما أن تختار أن تــشُفى أو لا، فكم من أناس جــُرحوا ولم يــنالوا الشفاء أبداً من هذه الجروح ولكن، بقدر ما هذا يبدو قاسياً، إلا أنه يكون في الحقيقة بسبب أنهم اختاروا ألا يــشُفوا.

لقد تعلم يسوع الطاعة من خلال ما جاز فيه من آلام (عبرانيين ٥: ٨)، وكذلك بطــرس وبولس فكل منهما تعلم الطاعة من خلال ما تعرض له من آلام وصعاب. والآن مــاذا عــنك؟ هل تعلمت أنت أيضاً، أم أنك ما زلت كما أنت ولا يزال قلبك قاسياً بارداً مليء بالمرارة والغضب والاستياء كما هو؟ لو أنك هكذا.. فإذاً أنت لم تتعلم الطاعة.

أنــا أتفــق معــك في أن بعض الجروح والعثرات لا يمكن أن تنتهي بسهولة وبســرعة، وأن الأمر سيحتاج بعض الوقت والجهد حتى تتحرر منها، ولكن هذا الجهــد المبذول لن يضيع هباءً بل أن هذا هو الطريق الوحيد لكي تنمو وتنضج. فالنضــوج ليس بالأمر السهل، ولهذا فهو ليس في متناول الجميع لأن في الواقع قليلون هم الذين يختارون أن يسيروا في طريق النضوج للنهاية و ذلك لأنه طريق ملــيء بالمقاومــة والــتحديات. فنحن نعيش في عالم تحكمه الأنانية والشهوات ويتسلط عليه "رئيس سلطان الهواء" أي إبليس (أفسس ٢: ٢). لذلك إذا أردت أن تــنمو وتنضــج في المسيح فلا سبيل إلى ذلك سوى بمواجهة العديد من الصعاب والتحديات والانتصار عليها.

لقد رجع بولس الرسول يوماً مع برنابا إلى ثلاث مدن كانا قد أسسا فيهم عدة كنائس بهدف أن يشددا ويقويا أنفس التلاميذ في تلك الكنائس، ولكن هل تعرف ما الذي قالاه لهم لتشديدهم وتشجيعهم؟

"... يعظانهم أن يثبتوا في الإيمان وأنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله" (أعمال الرسل ١٤: ٢١ – ٢٢)

إن بولــس وبرنابا لم يعطوا وعوداً للتلاميذ بأن حياتهم ستكون سهلة ورحبة وبــلا تعــب، ولــم يعطوهم وعوداً بالنجاح الذي بحسب مقاييس العالم، بل على العكــس لقــد قــالا لهم أنه إذا كانوا يريدون أن يكملوا المسيرة إلى النهاية حتى يصــلوا إلــى الملكــوت، فعليهم أن يعلموا أن هذا سيجعلهم يواجهون الكثير من المقاومة والمضايقات.

فلو أنك تجدّف في نهر تسير فيه ضد التيار فعليك أن تستمر في التجديف بجد واجــتهاد حــتى الــنهاية لأنــك لو قررت في أي وقت أن تستريح وتوقفت عن الــتجديف، فستحملك مياه النهر حتى تجد نفسك في النهاية ودون أن تدري تسير مــع التيار. وبالمثل.. عندما تختار أن تتبع الرب وتسير في طرقه فحتماً ستواجه الكثــير مــن المضــايقات والصــعاب ذلك لأنك اخترت أن تسير ضد تيار العالم ومقاييسه،

ولكن السؤال هو: هل ستختار أن تستمر في حياة الخضوع وإنكار الذات وراء الــرب أم أنك ستتراجع وتبدأ في البحث عن ذاتك كما يفعل العالم من حولك؟ إنه اختــيارك، ولكن تذكــر أنه عندما نختار أن نضع حياتنا ونهلكها من أجل المسيح فإنــنا في الواقع نجدها فيه ونجد حياته فينا، فتعلــم أن تثبــت عينيك دائماً على النتــيجة النهائــية لما تجوز فيه من صعاب ولا تنظر تحت قدميك، وتذكر كلمات الرسول بطرس حين قال:

"أيها الأحباء لا تستغربوا البلوى المحرقة التي بينكم حادثة لأجل امتحانكم كأنه أصــابكم أمــر غريب، بل كما اشتركتم في آلام المسيح افرحوا، لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين" (رسالة بطرس الأولى ٤: ١٢ – ١٣).

لاحـــظ أن بطـــرس يضـــع الفرح مقابل ما نتعرض له من آلام، فإنك ستفرح وتبتهج عندما يستعلن مجد الرب لأنك حينذاك سوف تتمجد معه، ولكن هذا المجد يكـــون بقـــدر مـــا ســـمحت للرب أن يعمل في حياتك ويغيّرها حتى تصل إلى تلك الصورة عينها.. صورة الرب يسوع وشخصيته الكاملة.

فـــلا تـــنظر إذاً إلـــى الصعاب والمضايقات، بل انظر إلى المجد الذي يليها... هللـــويـــا!!

الفصل الرابع عشر

المصالحة هي الهدف

إن مساعدة أخيك المعثر أو المجروح أهم بكثير من أن تثبت صحة موقفك وسلامته

قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحُكم. وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحُكم، ومن قال لأخيه "رَقا" (أي فارغ) يكون مستوجب المجمع، ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم. فإن قدَّمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعال وقدم قربانك" (متى ٥: ٢١-٢٤)

هذه الآيات هي جزء من موعظة يسوع على الجبل، وقد كان أسلوب يسوع في هذه الموعظة يتسم في الكثير من الأجزاء بأنه كان يبدأ بعبارة: " سمعتم أنه قيل للقدماء ..."، ثم يكمل كلامه بعبارة: "أما أنا فأقول لكم ..."، فلقد كان يبدأ بسرد الناموس الذي كان ينظّم سلوكيات البشر الخارجية ثم يكمّل الناموس بأن يجعله يصحح القلب ودوافعه وليس فقط السلوك والتصرفات.

ومن تلك الآيات السابقة يتضح لنا أن القاتل - في نظر الرب - ليس هو من يرتكب جريمة قتل فحسب، بل أن كل من يكره أخاه هو قاتل في عينيّ الرب. فما في قلبك هو حقيقتك!

ولقد أوضح يسوع في هذا الجزء من العظة النتائج التي تنتج من الاستسلام لمشاعر الغضب والمرارة، فبدأ بقوله أنه إذا غضب أحد على أخيه باطلاً يكون مستوجباً للحكم والإدانة، ثم إذا ترك ذلك الغضب ينمو بداخله حتى نتج عنه أنه قال لأخيه: "رقا"[1] يكون بهذا مستوجباً المحاكمة أمام المجمع. ثم إذا زاد الغضب والمرارة بداخله لدرجة أنه قال لأخيه: "يا أحمق" فإنه بهذا يستوجب نار جهنم.

---

(1) كلمة "رقا" تعني فارغ أو غبي، وهو لفظ كان يستعمل كثيراً بين اليهود في ذلك الوقت.

وكلمـــة (أحمـــق) في هذه الآية تعني: (جاهل)، ولفظ (جاهل) في ذلك الوقت كان يــُطلـــَق علـــى الشخص الكافر الذي لا يؤمن بوجود إله.. "قال الجاهل في قلبه ليس إله" (مزمور ١٤: ١). إذاً فكلمة (أحمق أو جاهل) في ذلك الوقت كانت تعبر عـــن اتهـــام خطـــير لا يأتي إلا من شخص قد تحول غضبه من أخيه إلى كراهية وبغضة.

ومـــن هـــنا نرى أن يسوع كان يريد أن يوضح أنه إذا غضب أحدهم من أخيه ولم يحرص على التخلص من ذلك الغضب بل تركه ينمو ويتزايد داخله، فستكون النتـــيجة أن الغضب سوف يتحول مع الوقت إلى كراهية والكراهية إذا لم يقاومها ويتحرر منها سوف تجعله مستوجباً لنار جهنم.

ثـــم قال يسوع بعد ذلك أنه إذا كان أحدهم يقدم قربانه على المذبح ثم تذكر أن "لأخـــيه شـــيئاً عليه" أي تذكر أن أخيه مجروح منه أو في ضيق بسببه، فعليه أن يترك قربانه ويذهب أولاً ليصطلح مع أخيه أي أن الصلح مع أخيه يجب أن يكون له الأولوية قبل تقديم القرابين للرب.

والســـؤال هو: لمصلحة مَن هذه الجدية في السعي وراء الصلح مع من يشعر بالضـــيق والإساءة منا؟ هل لمصلحتنا نحن أم لمصلحة ذلك الشخص الجروح أو المعثر؟

إن الصلح هنا يكون في مصلحة هذا الأخ الذي يشعر بالضيق منا، فإننا نسعى للصلح معه حتى نساعده على الخروج والتحرر مما بداخله من مرارة وجروح.

وقد تسألني قائلاً: ولكنني لم أخطئ في حقه!

ولكنـــي أقول لك لا يهم إذا كنت قد أخطأت في حقه أم لا، فلو أنك تحب أخيك المحـــبة التي من الله لن تستطيع أن تتركه هكذا يسقط في فخ الجروح والعثرات

دون أن تمد له يدك وتحاول إنقاذه حتى لو لم تكن قد أخطأت إليه من وجهة نظرك. فمساعدتك لأخيك وإنقاذه من المرارة والغضب أهم بكثير من أن تثبت صحة موقفك وسلامته.

فالجروح والعثرات تحدث بين الناس لأسباب متعددة، فقد يُجرَح أحد الأشخاص ويشعر بالضيق منك بسبب أنه سمع عنك بعض المعلومات الغير صحيحة وبالتالي استنتج منها نتائج غير صحيحة وكانت النتيجة أنه أصبح مقتنعاً بأنك أسأت إليه وظلمته بينما الحقيقة غير ذلك تماماً.

ومن ناحية أخرى قد يُعثَر شخص ويُجرَح بسبب أنه سمع بعض المعلومات الصحيحة عنك ولكنه استنتج منها استنتاجات خاطئة، فقد تكون قد قلت شئ ما بدافع معين ولكن بسبب تناقل الكلام من شخص إلى آخر تشوهت الصورة النهائية لكلامك وكانت نتيجة ذلك أنه تسبب في إيذاء مشاعر أحد الأشخاص بالرغم من أن دوافعك كانت نقية من البداية.

وفي النهاية قد تكون بالفعل أخطأت في حق ذلك الشخص وآذيت مشاعره، فقد تكون اندفعت تحت ضغط الغضب والانفعال وأسأت إليه بل قد يكون هو الذي بدأ في استفزازك والضغط عليك حتى انفجرت في النهاية وعاملته بنفس أسلوبه. ولكن مهما كان السبب فالنتيجة واحدة وهي أن ذلك الأخ أصبح مجروحاً ومعثراً ويشعر بالمرارة تجاهك وأصبح مقتنعاً تمام الاقتناع أنك أسأت إليه وجرحته بشكل أو بآخر، وبغض النظر عما إذا كانت هذه هي الحقيقة أم لا، فعليك أن تتواضع وتنكُر ذاتك وتذهب إليه للمصالحة. إن هذا ما يطلبه الرب منا، فيسوع يريدنا أن نسعى للصلح مع أخوتنا حتى لو لم نكن قد أسأنا إليهم في شيء، ولكن هذا يتطلب مستوى معيَّن من النضوج وإنكار الذات حتى تستطيع أن تضع نفسك من أجل الآخرين بالرغم من أنك لم تخطئ في حقهم. فلا تنتظر حتى يبادر هذا الأخ

المجروح ويأتي بنفسه إليك، فشعوره بالجرح والمرارة تجاهك عادة ما يجعله من الصـــعب أن يــأخذ هو الخطوة الأولى نحوك، لهذا طلب منا يسوع أن نخطو نحن هذه الخطوة وأن نذهب إليه.

كيف تكون المصالحة؟

لقد قال بولس الرسول: "فلنعكف إذاً على ما هو للسلام وما هو للبنيان بعضنا لبعض" (رومية ١٤: ١٩).

هذه الآية تعلمنا كيف تتصالح مع الشخص المجروح أو المعثر منك، فإذا ذهبت إلـــيه وأنت تشعر بالإحباط أو خيبة الأمل مما هو فيه فلن يحقق هذا السلام الذي تســـعى إلـــيه بل على العكس أنت بهذا تزيد من صعوبة الأمر عليه وعلى نفسك. ولكن السعي وراء السلام والمصالحة يجب أن يكون عن طريق الاتضاع والوداعة وإنكار الذات، فالطريقة الوحيدة التي تحقق المصالحة يجب أن تكون على حساب كبريائك.

كثيراً ما ذهبت لأتصالح مع أشخاص كانوا يشعرون بالجروح والمرارة تجاهي، ولكنني كنت أفاجأ بهم ينفجرون في وجهي بالعديد من الاتهامات مثل: أنني إنسان أناني ومغرور .. أو أنني عنيف وقاسي وغير مبال بمشاعر الآخرين .. وغيرها، وكان رد فعلي الطبيعي أمام هذه الاتهامات هو أنني كنت أرد عليهم مدافعاً وأقول: "لا، هذا غير صحيح، أنا لست كذلك بل أنت الذي تسئ فهمي". ولكن كانت نتيجة دفاعي عن نفسي هكذا دائماً ما تكون إشعال نار الغضب والجروح أكثر وأكثر.

ولكننـــي مع الوقت تعلمت أن أفضل وسيلة لمواجهة مثل هذه المواقف هو أن أصـــمت وانتظر حتى يقولون كل ما عندهم ضدي، ثم بعد ذلك لو كنت غير متفقاً

معهـــم في رأيهم في شخصي فأنا أقول لهم: "أنا أقدّر رأيكم، وسوف أمتحن قلبي ودوافعي في ظل ما قلتموه"، ثم أعتذر لهم عما سببته لهم من جروح أو أذى.

ولكن في مواقف أخرى كنت أجد أن ما يقولونه عني صحيحاً وأنني بالفعل قد أخطــأت، وفـــي هذه الحالة كنت أقول: "نعم أنتم على حق. أنا أخطأت وأرجو أن تغفروا لي ما فعلته".

ببساطة إنه التواضع وإنكار الذات هو الذي يحقق السلام والمصالحة. لهذا قال يسوع هذه الكلمات:

"كـــن مراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه في الطريق لئلا يسلمك الخصم إلى القاضي ويسلمك القاضي إلى الشرطي فتلقى في السجن. الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفي الفلس الأخير" (متى ٥: ٢٥ – ٢٦).

الكـــبرياء يجعلك تدافع عن نفسك وعن حقك، أما الاتضاع وإنكار الذات يجعلك تقول: "أنت على حق .. أنا أخطأت .. أرجوك سامحني على ما فعلته".

"وأمـــا الحكمـــة الـــنازلة من فوق فهي أولاً طاهرة ثم مسالمة مترفقة مذعنة (قابـلـــة للتـــنازل) مملـــوّة رحمـــة وأثمـــاراً صـــالحة عديمة الريب والرياء" (رسالة يعقوب ٣: ١٧).

إن الحكمـــة التي من الله تتصف بأنها مذعنة أي قابلة لأن تتنازل، فهي ليست عنيدة أو صلبة الرأي في المواجهات. وهكذا فالشخص الذي يخضع لحكمة الله لا يخـــاف مـــن أن يتـــنازل عن وجهة نظره وعن حقه وأن يـــسلّـــم بوجهة النظر الأخرى طالما أنها ليست ضد الحق وكلمة الله.

المصالحة مع من أساء إليك وجرحك

لقـد ناقشـنا ماذا نفعل مع الشخص الذي يشعر بالجرح أو المرارة من جهتنا وكـيف نتصالح معه. والآن دعونا نناقش ما الذي يجب أن نفعله تجاه من أساء إلينا وتسبب لنا في الأذى والجروح.

"وإن أخطـأ إلـيك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما. إن سمع منك فقد ربحت أخاك" (متى ١٨: ١٥).

إن كثـير من الناس يسيئون تطبيق هذه الآية، فهم عندما يتعرضون للإساءة مـن شـخص مـا يذهبون إليه ليعاتبونه ولكن يكون عتابهم عبارة عن سيل من الغضـب والغـيظ والاتهامات القاسية التي يحققون من خلالها رغبتهم الخفية في الانـتقام لأنفسهم، فهم يستخدمون تلك الآية لكي يبرروا إدانتهم لمن أساء إليهم وجـرحهم. ولكنهم بهذا يكونون قد فقدوا الهدف الذي من أجله طلب منا الرب أن نذهـب لأخوتـنا ونعاتبهم، فالهدف هو المصالحة وليس الإدانة، فهولا يريدنا أن نذهـب لمـن أسـاء إلينا بهدف أن نوضح له كيف أن ما فعله معنا كان منحطاً ودنيئاً، بل أنه يريدنا أن نذهب إليه لكي نزيل الحاجز الذي يفسد علاقتنا معه.

أن هـذا يشـبه تماماً ما فعله الرب لكي يردّنا إليه، فبالرغم من أننا جميعاً قد أخطأنـا في حق الرب وأسأنا إليه بخطايانا وآثامنا، إلا أنه "بيـَّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (رومية ٥: ٨).

فهل أنت مستعد لأن تضع نفسك وتنكر ذاتك وتتنازل عن محاولاتك للدفاع عن نفسـك وتموت عن كبرياءك في سبيل أن تسترد الشخص الذي أساء إليك وترمم علاقتك به؟

إن هــذا هو ما فعله يسوع معنا، فهو وضع نفسه وأخلى ذاته لكي يصل إلينا ويصالحنا، فهو لم ينتظر حتى نطلب منه أن يسامحنا ويغفر لنا خطايانا بل اختار أن يسامحنا ويصالحنا حتى من قبل أن ندرك أننا قد أخطأنا في حقه.

ولكــن بالرغم من أن الرب قد بدأ هو بالمبادرة لكي يصالحنا ويردنا إليه، إلا أنه لا يمكننا أن ننال ذلك الصلح بالفعل مع الآب قبل أن نقبل "كلمة المصالحة":

"ولكــن الكــل مــن الله الــذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصــالحة، أي أن الله كــان فــي المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطايــاهم، وواضعاً فينا كلمة المصالحة. إذاً نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا، نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله" (كورونثوس الثانية ٥: ١٨).

إنـــنا نقبل "كلمة المصالحة" عندما ندرك أننا أخطأنا إلى الرب وأسأنا إليه، فلن يطلــب أحد الخلاص والمصالحة مع الرب إلا إذا أدرك أولاً أنه أخطأ وأنه بسبب خطاياه أصبح في انفصال وعداوة مع الرب. لذلك نجد أن التلاميذ في العهد الجديد كــانوا دائمــاً يعظون الناس قائلين لهم أنهم أخطأوا في حق الرب، ولكن السؤال هو: هل كانوا يقولون للناس أنهم أخطأوا لكي يدينوهم؟

لا.. لأن الرب لا يدين، فلقد قال يسوع: "لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم" (يوحنا ٣: ١٧).

لــذا لــم يكــن التلامــيذ يقولون للناس أنهم أخطأوا لكي يدينوهم، ولكن لكي يجعلوهــم يدركوا حقيقة حالتهم بعيداً عن الله ويقودوهم إلى التوبة عن خطاياهم وطلب الغفران من الرب فينالون المصالحة.

ولكن هل تعرف ما الذي يقود الناس إلى التوبة؟ الإجابة تجدها في الرسالة إلى (رومية ٢: ٤).

"أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة".

إن لطف الله هو الذي يقودنا إلى التوبة، فمحبته لنا لم تتركنا للهلاك بل أنه بيَّن محبته لنا بأن أرسل يسوع ابنه الوحيد لكي يموت بدلاً عنا على الصليب. فبالرغم من كل خطايانا وآثامنا التي ارتكبناها نحو الله إلا أنه اختار أن يأتي هو إلينا، ليس لكي يديننا بل لكي يردّنا إليه ويصالحنا لنفسه.

ونحن يجب أن نكون "متمثلين بالله" (أفسس ٥: ١)، أي يجب أن نفعل مثله وأن نبادر نحن أيضاً بالذهاب إلى أخوتنا الذين أساءوا إلينا لكي نستردهم ونصالحهم. لهذا السبب طلب منا يسوع في (متى ١٨: ١٥) أن نذهب إلى من أساء إلينا ونعاتبه، لا لكي ندينه بل لكي نزيل أي شيء يقف حائلاً بيننا وبينه ونسترد علاقتنا معه. إن لطف الله الذي فيك هو الذي سيقود أخيك الذي أساء إليك إلى التوبة وبالتالي إلى المصالحة.

"فأطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دعيتم بها، بكل تواضع ووداعة وطول أناة محتملين بعضكم بعضاً في المحبة مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام" (أفسس ٤: ١-٣).

إننا نحفظ وحدانية الروح برباط السلام، وذلك بأن نسلك بعضنا مع بعض في تواضع ووداعة وطول أناة وبأن يحتمل كل منا ضعف الآخر في محبة ولطف.

على مدى سنوات حياتي كثيراً ما جرحت مشاعر بعض الناس، فكان يأتي إليّ بعضهم ليواجهني بأخطائي ويدينني على ما فعلت وكانت النتيجة دائماً أنني كنت أفقد كل الرغبة في التصالح معهم ذلك لأنني كنت أشعر أنهم لا يريدون المصالحة

حقـــاً ولكــــنهم فقـــط يريدون أن يعرفونني أنهم غاضبون مني وأنني أخطأت في حقهم.

بينما كان يأتي إليّ البعض الآخر في منتهى الوداعة والتواضع وكانت النتيجة دائمــــاً أننــــي كنت أسرع بالاعتراف بخطأي وطلب الغفران منهم حتى من قبل أن ينهوا كلامهم.

لذلك لا تذهب لتعاتب من أساء إليك قبل أن تقرر أولاً أن تغفر له من كل قلبك مهما كانت الإساءة التي أساء بها إليك ومهما كان رد فعله لعتابك له. فيجب عليك أن تـــتخلص أولاً من كل مشاعر الغضب والعداوة التي بداخلك ضده قبل أن تذهب إليه لأنك لو لم تتخلص منها فغالباً ما ستظهر تلك المشاعر وأنت تعاتبه وبالتالي سوف تجرحه بدلاً من أن تشفيه.

والآن .. ماذا لو أننا ذهبنا إلى من أساء إلينا لنعاتبه بدوافع نقية وفي تواضع راغبين في المصالحة ولكنه لم يسمع لنا ولم يتجاوب معنا؟

"وإن لــــم يســـمع فخـــذ معك أيضاً واحداً أو اثنين لكي تقوم كل كلمة على فم شـــاهدين أو ثلاثـــة، وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة، وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار" (متى ١٨: ١٦- ١٧).

إنها خطوات متتالية رسمها لنا الرب يسوع بهدف واحد فقط: المصالحة. فكأن يســـوع يريد أن يقول "استمر في المحاولة". ولكن لاحظ هنا أن في كل خطوة من تلـــك الخطوات كان الاتجاه نحو الشخص الذي أساء إليك وليس بعيداً عنه، فنحن كثـــيراً ما نذهب بالإساءة التي تعرضنا لها ونتحدث عنها مع جميع من هم حولنا إلا شـــخص واحد.. هو الشخص الذي صدرت منه الإساءة، ولكننا بهذه الطريقة نخـــالف مــــا أوصـــانا به الرب يسوع. فلأننا لم نتعامل مع ما بداخلنا من جروح

ومــرارة وعدم غفران لهذا نحن نحاول أن نبرر موقفنا بأن نقص على كل الناس الموقــف من وجهة نظرنا ونصف لهم قدر الإساءة التي تعرضنا لها وهكذا نشعر بالراحة والقوة عندما نجد من يوافقنا على ما نشعر به من جروح ويؤيد موقفنا. ولكن في الواقع إن هذا السلوك ما هو إلا أنانية مطلقة من جهتنا.

امتحن دوافعك

لــو أنــنا تأكدنا دائماً من أن دوافعنا أساسها محبة الله الباذلة لما سقطنا ولا فشــلنا أبــداً، ذلــك لأن المحــبة لا تسقط أبداً. فلو أننا أحببنا الآخرين كما يحبنا يســوع، فســنبقى أحــراراً مــن الجــروح والعثرات حتى لو اختار الآخرون ألا يتصالحوا معنا.

فلتنظر جيداً إلى هذه الآية:

"إن كان ممكناً، فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس" (رومية ١٢: ١٨).

إنه يقول: "إن كان ممكناً.."، ذلك لأنه أحياناً قد يرفض البعض أن يسالموك، أو قــد تجــد أنــه لكي تتصالح مع أحد الأشخاص لابد أن تساوم في الحق أو تقدم تــنازلات فيما يخص علاقتك بالرب، وفي كلتا الحالتين يصبح من الغير ممكن أن ترمم تلك العلاقة.

ولاحظ أيضاً أنه يقول: "حسب طاقــتــكم.."، وهذا يعني أننا يجب أن نفعل كل ما في طاقتنا وكل ما في وسعنا حتى نتصالح مع الآخرين طالما أن ذلك لن يجعلنا نساوم أو نتنازل في الحق الكتابي أو نخرج خارج مشيئة الرب، ولكننا مع الأسف عادة ما نستسلم سريعاً إلى اليأس ونكف عن المحاولة.

لن أنسى طوال حياتي النصيحة التي نصحني بها أحد الأصدقاء يوماً ما حينما كنت أواجه موقفاً محبطاً للغاية يخص علاقتي بأحد الأشخاص وكنت يومها على وشك الانسحاب من هذه العلاقة والاستسلام لليأس والكف عن الاستمرار في محاولات الصلح.

لقد قال لي صديقي حينذاك: "يا جون أنا أعرف أنه يمكنك أن تجد من الأسباب النفسية والروحية ما يبرر موقفك هذا وانسحابك ولكن قبل أن تأخذ هذا القرار أرجوك تأكد أولاً من أنك صليت للأمر بما يكفي وأنك قد فعلت كل ما في وسعك لكي تحقق سلام الله في هذا الموقف، لأنك إن لم تفعل هذا قد يأتي يوم تندم فيه على أنك لم تبذل كل ما في طاقتك لكي تنقذ تلك العلاقة. لذلك من الأفضل الآن أن تكون متأكداً من أنه لا يوجد سبيل آخر أمامك وأنك قد عملت كل ما يمكن عمله دون أي مساومة في الحق".

وكم أشعر الآن بالامتنان والتقدير لهذه النصيحة الغالية التي أراها الآن أنها كانت مؤيدة بحكمة الرب، فلقد قال يسوع: "طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعَون" (متى ٥: ٩).

لاحظ أن يسوع لم يقل هنا: "طوبى لحافظي السلام ..."، فحافظ السلام يتجنب المواجهة بأي ثمن حتى يحفظ السلام حتى لو كان ذلك على حساب الحق وكلمة الله، ولكن مثل هذا السلام الذي يحافظ عليه ليس سلام حقيقي بل هو سلام شكلي وسطحي سريعاً ما يزول ويتحطم.

أما صانع السلام فهو الذي يواجه في محبة ووداعة معلناً الحق الذي يأتي بالمصالحة والسلام، فهو لا يقبل سلام سطحي أو ظاهري بل يسعى إلى سلام حقيقي ثابت وعميق مبني على الصراحة والوضوح والمحبة والحق. فهو يرفض

أن يخفي جروحه وراء ابتسامة مزيفة بل يسعى لصنع السلام بجرأة المحبة التي لا تسقط أبداً.

إن هــذا هو بالضبط ما يفعله الرب معنا، فبالرغم من أن إرادة الله أن الجميع يخلصــون مــن الهــلاك إلا أنه لا يقبل أن يساوم في الحق، فهو يسعى معنا إلى المصــالحة ولكن على أساس تكريس حقيقي وكامل من جهتنا وليس على أساس علاقــة ســطحية شكلية غير حقيقية. فهو قد وضع نفسه وحياته من أجلنا لذلك يجب علينا بدورنا أن نعطيه كل حياتنا.

فلنتذكر دائماً أن أساس كل شيء في حياتنا هو محبة الله، فهي المحبة التي لا تســقط ولا تتغــير ولا تنتهي، وهي المحبة التي لا تطلب ما لنفسها (كورونثوس الأولى ١٣: ٥).

لقد كتب بولس الرسول عن المحبة قائلاً: "وهذا أصليه أن تزداد محبتكم أيضاً أكــثر فأكــثر في المعرفة وفي كل فهم حتى تميزوا الأمور المتخالفة لكي تكونوا مخلصين وبلا عــثرة إلى يوم يسوع المسيح، مملوءين من ثمر البر الذي بيسوع المسيح لمجد الله وحمده" (رسالة فيلبي ١: ٩-١١).

إن المحــبة هــي السبيل الوحيد للحرية من فخ العثرات والجروح، ولكن تلك المحــبة يجب أن تكون محبة قوية وفائضة تتزايد باستمرار أكثر فأكثر في القوة والعمق. فكم من أناس في مجتمعنا اليوم يخدعون نفوسهم بمحبة مزيفة ظاهرية شكلية تتكلم كثيراً ولا تعمل، ولكن ليست هذه هي المحبة التي من الله. فمحبة الله القــادرة على أن تحفظنا من العثرات والجروح هي محبة باذلة لا تعرف الأنانية.. تعطي بلا حدود وتنكر نفسها بلا مقابل حتى لأعدائها وللذين يسيئون إليها. لو أننا نتبع هذا النوع من المحبة، لما استطاع إبليس أن يخدعنا ويوقعنا في فخاخه أبداً.

الخاتمة

فلتبدأ الآن

وأنــت تقــرأ هذا الكتاب، ربما ذكــّرك الروح القدس بعلاقات مع أشخاص في الماضــي أو الحاضر كنت تحمل في داخل قلبك مرارة أو جروح تجاههم أو كنت تمسك بداخلك شيئاً ضدهم. إن الرب يريدني الآن أن أقودك في صلاة لكي تطلقهم وتغفــر لهــم، ولكــن قبل أن تصلي معي هذه الصلاة أطلب من الروح القدس أن يكشــف لك عن كل مرارة أو جرح بداخلك تجاه أي شخص، فقط اركع في هدوء أمام الرب وهو سيكشف لك من هم هؤلاء الأشخاص الذين ما زلت تحمل بداخلك شيئاً ضدهم. لا تحاول أن تبحث بنفسك أو تفترض أي شيء فالروح القدس قادر أن يكشــف لك عن هذه المواقف دون صراع أو شك. وقد تشعر بالألم حين تتذكر تلــك المواقف التي جــُرِحت فيها و تعرضت للإساءة، ولكن لا تخف فروح الرب المعزي بجانبك، هو يعينك ويعزيك.

وأنــت تصلي من أجل هؤلاء الأشخاص الذين أساءوا إليك وتطلقهم، أريدك أن تتصور أنهم أمامك وأن تغفر لكل واحد منهم على حدة، أترك له الدين الذي كنت تمســكه علــيه وتشعر أنه مديوناً لك به ثم صلي معي هذه الصلاة. لا تتقيد بهذه الكلمــات بعينها فهي فقط لمساعدتك وإرشادك ولكن دع الروح القدس يقودك في الصلاة كيفما يشاء.

أبي السماوي .. باسم ابنك يسوع .. أعترف أمامك بأنني أخطأت في حقك حينما لم أغفر لمن أساءوا إليّ، ولكنني اليوم أتوب عن هذه الخطية وأطلب غفرانك لي.أنا أيضاً أعترف بعدم قدرتي على أن أغفر لهم بقوتي الشخصية، فأنا لا أقدر أن أفعل هذا بدونك وبدون نعمتك. لهذا أنا أختار من كل قلبي أن أغفر لــ (أذكر أسماءهم كل واحد على حدة)، إنني أضع كل أخطائهم وإساءاتهم في حقي تحت دم الرب يسوع وأعلن أنهم ليسوا مديونين لي بأي شيء لأني

أسامحهم على كل أخطائهم.أبي السماوي .. كما سألك الرب يسوع أن تغفر لكل من أساء إليه على الصليب، هكذا أنا أيضاً أسألك أن تغفر لكل من أساء إلـــيّ وجرحني. أسألك أن تباركهم وأن تقودهم لكي يختبروا علاقة حميمة وعميقة مع شخصك ... باسم المسيح يسوع ...

آمين.

والآن اكتـــب أســـماء هـــؤلاء الأشخاص الذين غفرت لهم في مفكرتك ودوّن التاريخ الذي فيه قررت أن تغفر لهم.

قـــد تحتاج بعد ذلك أن تدرِّب نفسك حتى تبقى حراً من العثرات والجروح (اقرأ الفصل الثالث عشر إذا كنت لا تعرف

.. كـــيف)، وواظب على أن تصلي لأجلهم دائماً كما تصلي لنفسك تماماً. وإذا ظلـــت أفكار الجروح والعثرات تصارع ذهنك فانتهرها وقاومها مستخدماً كلمة الله وأعلـــن قـــرارك الذي أخذته من قبل بأن تغفر لهم وتطلقهم. وتذكر أنك قد طلبت نعمـــة الـــرب لكي تعينك على الغفران ونعمة الرب أقوى بكثير من عدم الغفران، فتشدد وتمسك بالإيمان وقاوم للنهاية.

وعندما تدرك في قلبك أنك قد شـــُفيت وتحررت تماماً من كل جرح أو مرارة، فاذهـــب لهـــؤلاء الأشخاص ولكن تذكر أنك تذهب لهم بهدف المصالحة من أجل منفعـــتهم هـــم ولـــيس منفعـــتك أنـــت. واعلم أنك بفعلك هذا أنت تؤكد انتصارك وتحريرك بل وأيضاً تكون قد ربحت أخاك (متى ١٨: ١٥)، وهذا مـــسُـــرِ جداً في عينيّ الرب.

"والقـــادر أن يحفظكـــم غير عاثرين ويوقفكم أمام مجده بلا عيب في الابتهاج، الإلــــه الحكيم الوحيد مخلصنا له المجد والعظمة والقدرة والسلطان الآن وإلى كل الدهور .. آمين" (رسالة يهوذا ٢٤-٢٥).

هـل وقعـت فى الفخ؟

- هل كثيراً ما تجد نفسك مضطراً لأن تبرر موقفك؟
- هل تحاربك أفكار الشك وعدم الثقة فى من حولك؟
- هل كثيراً ماتتذكر جراحك القديمة؟
- هل فقدت رجاءك بسبب ما فعلة الآخرون معك من إساءة؟

كتاب (فخ إبليس) يكشف عن واحد من أخطر فخاخ العدو وأكثرهم خداعاً وقدرة على إقتناصك خارج مشيئة الرب. إنه فخ العثرات- أى ما تتعرض له من إساءة ومضايقات وجروح. لقد قال يسوع: لا يمكن إلا أن تأتى العثرات. (لو ١٧:١). ومع ذلك فإن معظم هؤلاء المأمورين فى هذا الفخ لا يدركون حقيقة حالتهم. لذا لا تنخدع فأنت حتما ستتعرض للعثرات والإساءات فى حياتك وأنت وحدك تستطيع أن تحدد كيف ستجعلها تؤثر على علاقتك بالرب. فرد فعلك هو الذى سيحدد مستقبلك. هذا الكتاب سيساعدك على أن تعرف كيف تنتصر على العثرات والجروح والمرارة وكيف تحفظ نفسك حراً من هذ الفخ اللعين.

إن "چون بيڤير" من خدام الرب المتميزين وهو يرعى فى العديد من الكنائس والمؤتمرات حول العالم. تتميز كتبه وشرائط الڤيديو التى تحتوى على عظاته بأنها من أكثر الكتب والشرائط مبيعاً فى العالم، فقد وزع منها حتى الآن أكثر من ربع مليون نسخه حول العالم.

چون بيڤير متزوج من ليزا ولديهم ٤ أبناء.

دار النشر الأسقفية